

٥١٢



دار م. الفحاس

عبر
قلوب

512



HARLEQUIN



www.biblos.com

amarige

عدوي العزيز

أليسون يورك

قال ماركوس ببرودة: «من
الواضح ان فن الخداع يجري
في عروق العائلة.»

أجابته اليكس: «أنت حقير!»
«وأنت قد نسيت أمراً.»
نظرت إليه نظرة يتطاير منها الشر، وقالت:
«لكنني متأكدة انك ستخبرني ما هو.»
«لقد سبق لك وعقدت اتفاقاً معي ما من شيء قد
تغير. هل تقولين لي انك تتراجعين الآن بعدما
كشفت خديعتك الرخيصة؟»

عدوي العزيز

أليسون يورك

«طالما أنت موظفة لدي، فأنا مسؤول عنك.»
ماركوس وكافور: لم يرفق مشاعر الحب
واللامسؤولية تجاهها. وبينما كانا مسافرين معا
في الريف الفرنسي الجميل تعهد ان يراقبها عن
كثب مثل مثل صقر ولكن، كان رجلاً قاسياً جرح قلب
شقيقتها دون راحة وأدركت اليكس ان عذابها ان
تبقى بعيداً عنها مهما كلف الأمر.. أو ان تنجرف
وتقع في حب عدوها اللدود.

ثمن النسخة

٢٠٠٠ ل.ل

2000 L.L

الفصل الأول

نهضت الفتاة فجأة من وراء حاجز نبات الشعار الذي ما زال يخفي الجزء الأسفل من جسمها، كانت بشرتها البرونزية اللون تتلألأ تحت انعكاس الضوء على المياه العذبة التي تغطيها من الجدول الذي يصب في البحيرة عند تلك النقطة. الراكب، الذي اقترب بسكون إلى ضفة البحيرة، دون أن يرى أو يسمع، كبح جماح حصانه، وأخذ يراقبها عبر جدول المياه الضيق الذي يفصل بينهما. فكّر وطيف ابتسامة يعلو شفتيه... أوندين. إنما أوندين من لحم ودم، وليست حورية الماء التي تتحدث عنها الأسطورة. كانت حقيقة، وامرأة بكل معنى الكلمة.

كانت هناك إلى جانبها شجرة مقطوعة نحيلة الأغصان، وكان جذعها وأغصانها المشوهة تؤكد على جمال ذراعي الفتاة الذهبيتين والمستديرتين اللتين رفعتهما لتبعد شعرها عن وجهها الذي كشف عن عنق جميل جداً، ثم تركته يتراخي مجدداً. كانت الشمس تظهر من خلال ضباب الصباح الرقيق مشرقة بأشعتها النحاسية اللون، ضاربة النار المنبعثة من الشلال الكثيف، النحاسي الداكن اللون المتساقط بوفرة فوق الأكتاف الهيفاء.

استبد به شعور قوي وسريع لرؤية الوجه الذي يحيط به ذلك الشعر النابض بالحياة، والساقين اللتين تساويان بالتأكيد جمال هذين الذراعين. لكنه كبح ذلك الشعور بسرعة. لم يكن

في نيته أن تستدير هذه الأودين الحقيقية وتراه يتلصص عليها. ستبقى تلك اللحظة على ما كانت عليه، إحدى الصور الأبدية في الكامارغ التي سيجملها معه إلى موطنه. إلى سوسكس. ساق حصانه، ثم استحثه ليعدو بسرعة، غير آبه لرذاذ المياه الناجمة عن وقع حوافر حصانه فيها.

استدارت اليكس ليوارد باتجاه الشمس وراءه، باحثة عن سبب الصوت المفاجيء الذي أثار انتباهها وظللت عينها الخضراوين بيدها الرطبة. وظهرت على شفتيها ابتسامة عفوية عندما رأت سروال الجينز الأبيض، القميص البيضا، الحصان الأبيض وشعر عنقه وذيله الأبيض المتطاير. فكرت... الراكب الأبيض، ودون وعي منها أسمته كما أسماها. أجفلت سرعته النحام عند ضفة الماء البعيدة. فنهضوا من أعشاشهم الطيبة وهم يصيحون بصوت أجش، وأخذوا يدورون في توتر، ثم طاروا باتجاه البحر، أعناقهم ممدودة، أرجلهم متدلّية، وريشهم الزهري اللون قد بدا مشرقاً بشكل رائع مقارنة مع زرقة السماء.

إنطلاقهم الصاخب تسبب بدوره في إزعاج مجموعة من الأحصنة البرية التي، حتى تلك اللحظة، كانت ترعى بأمان. فسقوا طريقهم في المياه الضحلة حيث الكثير من القصب، وأخذوا يعدون بسرعة في اتجاه الفتاة حتى بلّغها رذاذ المياه نتيجة لعدوهم. كان منظراً لا ينتسى حيث الأمهرة تركض بين حوافرهم المسرعة. وشعر أعناقهم وذيلهم تتطاير كما شعر عنق وذيل حصان الراكب الأبيض، وأنوفهم المتسعة المتوهجة.

كان الراكب، الذي بدا الآن كظل صغير في الأفق، قد اختفى

عن الأنظار تقريباً. وكانت قبعة الحارس السوداء التي كان يرتديها، الشيء الوحيد المغاير في ملابسه البيضاء، قد انزلت لتستريح على كتفيه. فرأت الفتاة وميض شعره الأشقر بينما كان يستقيم باتزان فوق سرج حصانه.

وكان ليضع لحظات قصيرة جزءاً من سحر هذا المكان المقفر، جزءاً من شيء افتنتت به. لكن ذلك كان كافياً لتسج أحلام اليقظة. إن شخصاً في بلد غريب ومن دون مال كما هو حالها، حيث أن مالها وتذكرة السفر الخاصة بعودتها إلى انكلترا قد سرقا منها، يجب أن يتعامل مع الأمور العملية، وليس مع رحلات على متن التخيلات.

عادت بعزم إلى كوخ الحارس حيث أمضت ليلة غير مريحة إطلاقاً. ما عليها القيام به الآن هو الانتهاء من ارتداء ملابسها ثم المباشرة بالعمل على مخطط النجاة الذي اقترح عليها الليلة الماضية عندما أحضرت إلى الكوخ. إن نجح المخطط، ستمكن من العودة إلى انكلترا. وإن لم ينجح، فذلك يعني العودة إلى التقشف. حيث أنها بالتأكيد لن تتصل بوالديها هاتفياً. فهما بالكاد تخطيا صدمة من إحدى بناتهما ويستطيعان الاستمرار بدون مشاكل من الأخرى. قد تساعدوا السفارة، لكن، كيف ستمكن من الوصول إليها وهي لا تملك من المال شيئاً، ولا حتى ثمن فنجان من القهوة وقطعة كرواسان لتناول فطور هذا اليوم؟

كانت اليكس، بعد نحو ساعة، واقفة تتفحص اللائحة على مدخل النادي، وقد ارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً أخضر اللون، وحملت حقيبتها الصغيرة وقد تدلت من فوق كتفها الأخرى حقيبة من الدفيل. نعم، هذا هو، نادي المونت.

رفع الرجل الفرنسي الأسمر ذو الشعر الرمادي الذي كان يجلس إلى الطاولة، نظره نحوها وسألها كيف يمكنه مساعدتها. وعندما سألت عن السيد مارك، الزائر الإنكليزي كما قالت لها ليز، التي لم تعرف اسم عائلة الرجل، نهض وفتح نافذة الجهة المقابلة من المكتب بعيداً عن الغناء، ونادى باللغة الفرنسية التي لم تجد اليكس صعوبة في فهمها.

«أنت، يا مارك! إنك محظوظ جداً! هنا شابة جميلة ذات شعر أحمر تسأل عنك.»

ثم، ابتسم لها ابتسامة عريضة، استأذن وخرج عابراً الغناء ليدخل إلى المبنى المقابل عبر باب في الزاوية البعيدة، تاركاً اليكس وحدها مع خوفها مما يحدث.

كان الهدوء يخيم على المكان، وكانت الأسطبلات في الجانب الآخر من الغناء خالية، وأبوابها مفتوحة على مصراعها. كان هناك رجل برونزي البشرة يبدو قوياً ومرناً، يرتدي رداءً تقليدياً أزرق اللون يزيل الروث بروية. لا بد أن الركاب خلال العطلة قد غادروا في وقت مبكر في رحلتهم اليومية. كانت متوترة حيث أنها أصبحت قريبة جداً من النجاة أو العودة إلى الفراغ. شغلت اليكس نفسها في عدة أحواض نبات الجرنيس المزهرة على الحائط المقابل، ثم بدأت تعد قطع الزجاج في نوافذ المكتب. كان عليها القيام بأي عمل لتبقى هادئة. وأخيراً سمعت وقع أقدام تقترب وبدأ باب المكتب يفتح.

أحد ما تكلم، فتراجع الذي يفتح كان الباب إلى الغناء ليجيب عن سؤال طرحه عامل الاسطبل، فتمكنت من مشاهدته عبر النافذة. تمكنت اليكس من رؤيته بشكل

وكان من الواضح أنه يهتم كثيراً بأعمال السياح، لأن اللوحة تشير أنه يتم التحدث باللغات الإنكليزية، الألمانية والإسبانية من أجل راحة الزوار الذين يشاركون في ركوب الخيل خلال العطلة، الأمر الذي يتخصص به النادي.

كان يحد الطريق الفرعية سياج أبيض اللون نظيف. ورأت اليكس خلف السياج، وعلى بعد مسافة، مجموعة من ثيران الكامارغ السوداء، ومن حجمها توقعت أنها تبلغ نحو السنة من العمر، وعلى الأرجح أنها مجموعة في انتظار أن توسم. كانت تخور خوفاً من شر وألم مرتقبين. ارتعشت قليلاً، وشاركتها ألمها بينما كانت تسير.

تمنت أن تبدو أنيقة. حيث أنها قامت بارتداء ملابسها وتوضيب نفسها معتمدة على التخمين بما أنه لم يكن هناك من مرآة أو ما شابهها في الكوخ المهجور. لقد نظفت سروالها جيداً، وكانت قميصها نظيفة. كما أنها غسلت شعرها في الفندق حيث أمضت الليلة التي سبقت حصول الكارثة، وقد كان من المبهج جداً أن العناية به لا تتطلب الكثير بعد قصة جميلة. على أية حال، لم يكن هناك من شيء تستطيع القيام به حيال مظهرها، لذا عليها أن تتكيف مع الأشياء وتساها.

كانت الأشجار تحيط بالمكان. أخذت تسير بينها فوجدت نفسها في فناء مركزي حيث بناء المزرعة الجميل يحيط بها من ثلاثة جوانب. كانت هناك علامة تشير إلى وجود مكتب على الجهة اليمنى. وضعت اليكس حقيبتها وحقيبة الدُّفيل قرب الحائط، شعرت بومضة صغيرة من الخشية، وقرعت الباب ثم دخلت.

واضح ورأت شعره اللامع الجميل معقوصاً عند مؤخرة عنقه البرونزي اللون. رفع يده ليمرر أصابعه من خلاله، فرأت وميض الذهب ذاته يتوهج فوق ذراع قوي العضلات برونزي اللون. وأدركت على نحو لا يقبل التصديق أن عينيها كانتا تنظران ببطء نحو قميص ناصع البياض وقد أدخل طرفه تحت كمر أنيق لسروال جينز أبيض اللون. كان من غير المحتمل في هذه الأرض من الشرق الأوسط حيث معظم الناس يمتازون بشعر أسود وبشرة ذهبية اللون، أن يتواجد شخصان بهذا اللون، وكليهما معتاد على ارتداء اللون الأبيض. وأدركت. من خلال شعور وهمي أدخلها إلى عالم الخرافات الخيالي، أنها تنظر إلى الراكب الأبيض كانت متأكدة من ذلك. وشعرت أن تلك المعرفة جعلت نبضها يتسارع وراحتي يديها تتعرقان بينما اتسعت عيناها الخضراوان، دون أن تتمكن من رفع نظرها بعيداً عنه.

ثم استدار، فرأت من خلال أوراق نبتة التين المتدلية، التي كانت تنظر إليه عبرها، وجهه لأول مرة. وخطفتها تلك الرؤية الوشيكية من العالم الأسطوري إلى أكثر الكوايبس كابتة. لقد عرفت! ليس من اللقاء الذي حصل في وقت مبكر من ذلك الصباح، والذي لم يكن لقاءً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إنما من ترابط عائلي قريب جداً وذو تأثير كبير ومرهق جداً للأعصاب. وكان اليد القوية أسرته ثانية، لأنها لم تكن تستطيع التكلم، فلقد صعقتها رؤيته مما جعل عضلات حنجرتها تتحجر تماماً.

إنه الرجل الذي نبذ أختها إيلين، والذي تسبب في تمزيق حياتهم العائلية الأمر الذي كاد أن يودي بحياة والدها، لأن

الأكم والصدمة تسببا بذبحه قلبية لجون ليوارد، الذي كان محظوظاً بالشفاء منها ببطء.

الرجل الذي أتت لتطلب منه خدمة كان من عائلة ويكفورد، وعائلتا ويكفورد وليوارد كانا قد قطعاً أي علاقة إجتماعية بينهما منذ جيلين مضياً. بالطبع، اكتشافه أن إيلين هي من عائلة ليوارد التي يمقتها كان السبب في جعل هذا الرجل يترك شقيقتها وكأنها جمرة مشتعلة. لم تلتقه اليكس فعلياً من قبل، لكنها كانت قد رأت صورة له. لقد أطلعها إيلين عليها وجعلتها تقسم بأن تحفظ ذلك سرّاً، متظاهرة بالشجاعة من ناحية، ومن ناحية أخرى خائفة من ردة فعل العائلة على علاقتها النامية مع أقل رجل جدير بها في العالم من وجهة نظر عائلة ليوارد.

اتجه نحو الباب ثانية، وتلاشى الشلل الذي جمد اليكس من هول الصدمة في موجة من الخوف المشتعل. أحنت رأسها خوفاً وتظاهرت بانشغالها بشرائط قميصها، غير قادرة على تأجيل مواجهته وجهاً لوجهه. لقد رأت ما يكفي لتعرف أنه لم يتغير كثيراً. كان هناك من الناحية الجسدية المحضة ذات لمعان شعره المتموج الأشقر، حتى أنه بدا أكثر استقراراً من تعرضه لأشعة شمس بروفانس. وكانت القوة تظهر في ملامحه الطبيعية بالإضافة إلى الوسامة التي يتحلى بها، كانت خطوط وجهه الحازمة وذقنه العريض تعطي انطباعاً إيجابياً عن شخصيته. بدا أنه رجلاً يعرف ماذا يريد وإلى أين يتجه. وأنه عرف أيضاً لماذا هو لا يريد شقيقتها وجعلها تدفع ثمن ذلك. كانت عيناها تعكسان شخصيته أكثر من أي جزء آخر في جسمه. عينا رما ديتان

بالإرتباك. أصبحت نظراته باتجاه نظراتها مباشرة. وأخذت تفكر بسرعة، محاولة أن تجد جواباً مناسباً. ما قد تستطيع تحمل القيام به قد يكون الشيء المطلوب. كانت شبه متأكدة أنه لا يوجد سبب يجعله يدرك أنها شقيقة إيلين. لم تكن تشبه إيلين إطلاقاً، وشعرها الذهبي اللون كان بعيداً كل البعد عن شعر إيلين القصير البني اللون. ربما أنه لا يعرف أن لإيلين شقيقة. لكنها متأكدة أنه لن يرغب في الكلام معها ان عرف من هي. كما هي متأكدة من أن حواء هي من أعطت آدم التفاحة. إنه لن يرغب بذلك أبداً، وسيعتبره أمراً مقبلاً. لذا إن استطاعت أن تتحمل هي بدورها استغلاله، فعليها بطريقة ما أن تسير بخطوات يقظة.

حشها على الكلام قليلاً. «حسناً! لقد عرفت انك طلبتني باسمي. إننا ما الذي أستطيع أن أفعله لك؟ وبكلمات أكثر دقة، ما الذي يجعلك تعتقدين أن في إمكانني أن أفعل أي شيء لك؟» جالت ثانية في رأسها المشاكل التي عليها مواجهتها لتتمكن من العودة إلى لندن وهي لا تملك من المال شيئاً. ابتلعت اليكس ريقها، واتخذت قراراً حاسماً. إن استطاعت تجنب ذلك، يمكنها استغلاله ومن ثم نبذه.

قالت: «علمت انك عائد إلى لندن مع زوج من أحصنة الكامارغ؟»

رفع حاجبيه السوداوين قليلاً بدهشة. وقال: «صحيح.» بدا وكأن عينييه الرماديتين تقولان لها، وأي شأن لك بهذا؟ قالت: «إنني سمعت أنك قد تحتاج إلى شخص ليساعدك في العناية بهما خلال رحلتك. في إطعامهما، ووضعهما في الأسطبل وتمرينهما. شيء من هذا القبيل.»

هما نافذتان لروح كان من الحكمة أن لا تنظر إليهما. تمتد اليكس أن تكون مخطئة. إن طرفت عينيها ببطء، هل ترفعهما لترى وجه رجل آخر أمامها؟ شخص يبدو وكأنه من عائلة ويكفورد، إنما هو شخص آخر يشبههم كثيراً فقط؟ تمتد لو يكون الأمر كذلك. رأت قدميه وقد انتعل حذاءً طويلاً مصنوعة جيداً وقد أصبحتا على مقربة منها فأدركت أنها ما عادت تستطيع تأجيل تلك اللحظة أكثر. تكلم، وبدا خطأ أن يكون صوته عميقاً، صوت لو أنها لم تعرف من هو لكانت انتابته أفكار سارة. فقال: «سيدة البحيرة، على ما أعتقد!»

فقال: «نعم؟» نهضت على قدميها ببطء، ودفعت إلى الوراء بعنفية شعرها المتوهج الذي كشف عن وجهها. سار نحو طاولة المكتب. وقال: «لقد رأيتك تستحمين في البحيرة في وقت مبكر من هذا الصباح. لا يمكنك أن تزعمي أنك لم تشاهدينني بعد الجلبة التي أحدثتها طيور النحام. أعتقد أن انزعاجك يعود في الواقع إلى أنك قد قضيت ليلة في اللوخ من دون أن تدفعي أي أجر؟ حسناً، إنك بالتأكيد لست أول شخص يستفيد من المالمونت بتلك الطريقة. ولا أعتقد انك ستكونين الأخيرة. على أية حال، ما من حاجة لأن تفكري في عذر لذلك. فذلك أمر لا شأن لي به.»

ابتلعت ريقها وتكلمت بثبات أكثر مما تعتقد انها تستطيع. وقالت: «لقد أمضيت الليلة هناك. ليلة واحدة فقط، ولدي سبب مقنع لذلك. لقد تركت المكان كما وجدته تماماً. لم يكن مقفلاً.» قال: «كما قلت، ذلك أمر لا شأن لي به.»

جلس على حافة طاولة المكتب، وقد جعلتها نظراته تشعر

قال: «أخشى أن معلوماتك خاطئة. لقد تمت كل الترتيبات منذ أيام. ليس هناك من وظيفة شاغرة. إن كان هذا ما تقصدينه» أضاف وهو يتأملها: «يبدو أن شخصاً ما يحاول وضعك في هذا الموضع، من هو؟»

«ليز، عندما أرشدتني إلى مكان الكوخ الليلة الماضية.» استحوذت الآن على اهتمامه. نهض واقفاً، وتغصنت جبهته تجهماً. وقال: «إذاً، لقد رأيت ليز. ربما في إمكانك إعطائي بعض المعلومات عن مكان وجودها؟ كان من المفترض أن تكون هنا في الصباح الباكر لتهتم بالجياد. ليس عندني راكب للجواد الآخر.»

فقال بلهجة تهكمية حاقدة: «عندما رأيتها آخر مرة، كانت تركب الدراجة النارية الخاصة بصديقها، وكنا متجهين نحو سانت ماري دو لامير.» فقال بصوت هادئ لدرجة مخيفة: «كانت ماذا؟ هل صدف أن توقفت لوقت كاف حتى تخبرك متى تنوي العودة من هذه الرحلة الصغيرة غير المتوقعة؟»

التقت عينا اليكس الخضراوان بعينييه. وقالت: «لا أعتقد أنها ستعود. في الحقيقة، انها لن تعود. ولهذا السبب أنا هنا. لقد أخبرتني بأنك ستكون في حاجة للمساعدة.» تجعدت عيناها الرماديتان، وقال: «هل تقولين لي انها انسحبت من الترتيبات التي كنا قد أعدناها؟»

أجابته: «ليس تماماً. لقد... أجرت تبديلاً بسيطاً فقط.» قال: «تباً لها! كيف فعلت ذلك؟» خطى خطوتين باتجاه النافذة وقد نفذ صبره، ثم استدار نحو اليكس، مما تطلب منها أن تستجمع كل سيطرتها على نفسها كي لا تجفل. وسالها: «ومن ألقعها بذلك؟ أنت؟»

أجابته بشجاعة: «بالتأكيد لا. ربما أدركت فجأة أن البقاء هنا أمر ممكن، فور معرفتها اني مستعدة لأحل محلها. لم أحاول إقناعها بذلك. إنما الرغبة في البقاء هنا كانت موجودة داخل نفسها. فليها صديقها الفرنسي، وكانت الأمور معه تتخذ منحىً جدياً. وارادت فعلاً أن تمضي المزيد من الوقت معه، تفهم ذلك بالطبع.»

قال بصوت متهدج: «على العكس، إنني بالتأكيد لا أفهم ذلك إطلاقاً. الأمر الوحيد الذي أفهمه في الوقت الحالي أن ليز قد عقدت اتفاقية للعودة معي، والقيام بعمل مهم بالطبع. والآن، ودون أي إيضاح، قد اختفت عن وجه الأرض. إنني أو من بذلك المبدأ القديم، الذي لا يفهم الأطفال الذين هم في مثل عمرك، انه يجب المحافظة على الوعود، ويجب أن لا ننكث. وإن كان هناك تغيير في الخطة، إنني بالتأكيد لا أتوقع أن يعلمني به شخص غريب تماماً، لا دخل له في هذه المسألة لا من قريب ولا من بعيد.»

فكرت اليكس بامتعاض شديد، كان الحديث عن الوعود أمراً مضحكاً، خاصة لأنه نابع منه حيث أن وعوده لإيلين قد نكثت. من هو ليتكلم عنها كطفلة؟ من يظن نفسه؟ مصلح؟ وقيل أن تفتح فمها وتتكلم، سالها ثانية: «من أنت، على أية حال؟ ولماذا علي أن اصدق ان هذا ما حدث فعلاً؟»

عندما تعرف إلى إيلين، كان إسم اليكس والذي هو الكسندرا قد اختصر إلى إسم ساندي، إسم كان يناديها به رفاقها في المدرسة. لذا فإن اسم اليكس يناسبها تماماً الآن. فقالت: «اليكس» وسقط عليها الإلهام للحظة فأضافت: «اليكس واردي». الإسم المختصر لعائلتها والذي يتناسب مع

وسارت بسرعة بين الأشجار واتجهت إلى بقعة رائعة إلى جانب الطريق الفرعية، وشعرها الذهبي اللون يتطاير كالشلال وراءها. ليجد ذلك الرجل نفسه في مأزق كما وجدت هي نفسها. ليبدأ في حل مشاكله كما ستفعل هي مع مشاكلها. إنها لا تريد منه شيئاً، لا الرينج روثر الذي يقوده، ولها جياده لقد تمت له المرارة في عودته إلى انكلترا. أي عمل متبجح، بأية حال، القدوم إلى جنوب فرنسا من أجل شراء جوادين. بالتأكيد هناك جياد رائعة جداً في انكلترا.

لم تكن قد وصلت بعد إلى الطريق الرئيسي، عندما مر من أمامها بسرعة الرينج روثر وتوقفت فجأة مما جعل عجلاته تزعق، ثم استدار بسرعة على الطريق الفرعية. ونزل منه مارك ويكفورد. وقال: «امرأة أخرى تغير قراراتها بشكل دائم كما تغير ملابسها، ألسنت كذلك؟»

فأجابت: «إعادة النظر في الأمور هي ميزتي». فهم قصدها وتحرك إلى إحدى الجهات ليمنعها من محاولة المرور وتركه. سألتها: «هل لي أن أسأل إلى أين تفكرين في الذهاب؟» أجابته: «بعيداً من هنا. ذلك أيضاً، من مميزاتي». قال: «أعذريني إن وجدت ذلك مدهشاً. فمنذ خمس دقائق كنت مهتمة جداً في القيام بعكس هذا تماماً».

قالت: «كان ذلك حينها. وليس الآن».

«ألا تعتقدين أن هذا كله عمل طفولي؟ لقد اعتقدت أن تصرف ليز غير المسؤول قد يكون اعطاك دافعاً لتظهري أن بعض النساء قدرات على التصرف بشكل واع...»

قاطعتة اليكس قائلة بلهجة ساخرة: «لقد صُنغت هناك في المكتب كطفلة. شكراً على التشجيع».

اسمه المختصر الذي يطلقه على نفسه الآن. لقد كانت إيلين دائماً تتحدث عنه باسم ماركوس ويكفورد. إن كان في إمكانه اختيار اسم مارك فقط، ففي إمكانها إذاً أن تختصر اسمها ليصبح اليكس وارد. كان الاسم بعيداً جداً عن اسم ساندي ليوارد لتضليله، فيما لو أن إيلين قد حدثته صدفة عنها. وأضافت بوقار متزن: «وفيما يختص بتصديقك لما أخبرتك به، فذلك لن يكون ضرورياً. لقد أخبرتني ليز بأنها تركت لك رسالة توضح فيها كل شيء في غرفتها هنا. لقد توقعت ردة فعلك».

قال بفظاظة: «ردة فعلي الطبيعية كلياً». وهرع نحو الباب بسرعة، وتوقف فقط ليقول لها: «انتظري هنا، من فضلك. أريد أن أتأكد من أننا نتحدث عن مشكلة موجودة فعلاً قبل تضيق الميز من الوقت». عندما غادر المكتب، فكرت بحماس في من أذى اليكس. يمكنها أن تتدبر أمرها من دون الخوض في هذه المشاحنة كلها. لقد كان من السوء كفاية لأن تبقى معزولة هنا، إنما ليس سيئاً جداً، ربما، لتخوض معركتها ضد حقد هذا الرجل، وليس حقد فقط. لأن حقد لها عليه كان يوازي حقد قوة. وماذا عندها لتتظن؟ إضفاء أيام مع شخص من عائلة ويكفورد؟ وليس أي شخص من تلك العائلة، إنما ذاك الذي معاملته لإيلين تعني أن حقد لها عليه أكبر من حقد لها تجاه كل أفراد تلك العائلة مجتمعين. بالنسبة إلى اليكس، جرائم عائلة ليوارد قد دفنت مع الماضي، إنما جريمته هو فلم تنسها بعد. بل هي مطبوعة في ذاكرتها بقوة. اتخذت قراراً سريعاً وغادرت المكتب. التقطت حقيبتها

فتابع كلامه، متجاهلاً ما قالتها: «لم أنه حديثي معك بعد.
لقد تقدمت لي بعرض لم أرفضه ولم أقبله. كان في إمكانك
أن تمنحني لطف انتظارك لمعرفة جوابي».

قالت: «ليس من الحكمة دائماً أن تتعامل مع المجهول
بتقديم عرض. لدي أفكار ثابتة فيما لا أريد اختياره
لتعريض نفسي له، وأخشى أن اسلوبك يقع تحت تلك النقاط».
فقال بازدياء: «شخص أحمر الشعر تقليدي! مزاج
يتناسب ولون شعرك».

التقطت اليكس الحقيبة التي كانت قد وضعتها أرضاً
وقالت: «لقد قدمت إلى هنا بحسنة، معتقدة أنني قد أستطيع
أن أوفر عليك المشاكل حين أعمل في المكان الذي تركته ليز
شاغراً. لقد جعلتني ابدل رأيي. وليس هناك المزيد ليقال».
مد يده، وأخذ الحقيبة منها ووضعها بقوة على الأرض
ثانية. وقال: «بل اعتقد أن هناك. إهدأي واستمعي إلى ما
سأقوله. دعينا لا نكون أغبياء لننهي كل شيء قبل أن نعرف
إن كان في إمكاننا تسوية الأمر من أجل مصلحتنا
المتبادلة. لقد نقلت إلي مفاجأة غير سارة بما أخبرتني به
بشأن ليز. ربما انفعلت أكثر من اللازم قليلاً».

قالت اليكس بلهجة ساخرة: «قل الأمر ببساطة أكثر،
اتوقع أن ذلك يعني أن الوقت لا يسمح لك لتدرك أن من
الصعب إيجاد شخص لمساعدتك في العناية بالحياد».

قال: «فسري ذلك كما يحلو لك. لدي إحساس يقول لي أن
رغبتك في أخذ مكان غيرك يعني أن أمنيته في العودة إلى انكلترا
لا تقل قوة عن حاجتي لمن يساعدني في العناية بالحياد».
هزت كتفها وقالت: «ربما لكن ليس بأي ثمن».

أوما برأسه قليلاً. وقال: «إذاً ربما نكون كلانا أكثر تعقلاً
في أخذ الوقت الكافي لإعادة النظر في الأمر» استدار وفتح
باب الرينج روغر، وبطريقة ما، رغم أنها لم تقصد فعلاً
القيام بشيء كهذا، وجدت نفسها تصعد إلى الرينج روغر
بينما وضعت حقيبتها على المقعد الخلفي.

حاولت اقناع نفسها بأن رحيلها من المكتب ربما كان
تصرفاً انفعالياً قليلاً، بينما كان مارك ويكفورد يقود
الرينج إلى الطريق العام ليتمكن من الإستدارة بدورة كاملة
والإتجاه عبر الطريق الفرعية نحو المزرعة. لم يكن هناك
من ريب أنها إن استطاعت أن تتخطى تحفظاتها بشأن العمل
معه، ولو بشكل مقتضب، فقد تستفيد منه كثيراً. وكانت
متأكدة أيضاً أنها تستطيع القيام بالعمل الذي كان على ليز
أن تقوم به وبالمهارة ذاتها التي كانت لتقدمها.

وقاد هذه المرة سيارته مباشرة باتجاه الجهة الخلفية
لبناء المزرعة، وعندما نزل من الرينج روغر ارشدها إلى
طاولة تحت تعريشة كثيفة من البوغنيلية وازاح لها مقعداً
لتجلس عليه.

سألتها: «إن ذهبت لأعد بعض القهوة، هل تعتقدين أنه في
إمكانك قمع الدافع للهروب ثانية؟»

فأجابته: «لا يمكنني الهروب إلى أي مكان، أليس كذلك؟
فقد أقفلت على أمتعتي في سيارتك».

ابتسم ابتسامة صغيرة بطريقة تدل على أنه منتبه جداً لما
فعله، ولماذا فعل ذلك.

قال: «لقد فعلت ذلك. يا لشدة ملاحظتك. لن أتغيب طويلاً».
أخذت تنظر إلى الثيران على بعد مسافة منها بينما كانت

عرضها في أن تسكب له فنجاناً آخر. وأضاف قائلاً: «على أي حال، لقد علقنا بما قامت به الآن. لذا دعينا نتحدث عن العمل. كائنات من كانت الإنسانية التي سترافقني يجب أن تعرف على ماذا ستقدم. قبل أن تتحمسي كثيراً لكي تأخذي مكانها، دعيني أقول لك ماذا يتضمن عملك.»

قالت: «في الواقع، لقد أخبرتني ليز.»

قال: «رغم ذلك، يجب أن أخبرك ذلك ثانية. تتضمن الخطة الانطلاق بالرحلة عبر فرنسا بثبات قدر الامكان، دون القيادة أكثر من ثلاث إلى أربع ساعات في اليوم، ومنح الجوادين الوقت الكافي من الراحة والكثير من التدريب. أرى أن الرحلة قد تستغرق على الأقل ثلاثة أيام للوصول إلى ضفة القناة، وربما أكثر.» وأخبرها بشكل منظم بكل التفاصيل التي سبق أن أخبرتها بها ليز، منها كلامه بتحذير فظ، حيث قال: «لن تكون نزهة. لا أعرف كيف ستكون ردة فعل الجوادين تجاه السفر، لذا فإنني لم أحجز مقدماً. قد نضطر إلى قضاء ليلة غير مريحة حيثما نصل.»

قالت بلا مبالاة: «ذلك ليس بالأمر الذي قد يقلقني.» وعندما رأت أن تعابير وجهه قد تغيرت إلى تعابير لم تفهمها جيداً، أضافت: «هل هناك خطب ما في ذلك؟»

أجابها: «كنت أفكر فقط أن كلتاكما، أنت وليمز، عرضة لاتخاذ قرارات فجائية وسريعة. لقد رحلت هي إلى مكان مجهول فجأة مع رجل لا أعتقد أنها تعرفه جيداً. وأنت تصرحين بأنك جاهزة لتمضية أكثر من ثلاثة أيام، وليال... مع رجل لا تعرفينه تقريباً. لا يمكن للمرء ألا يشعر بأنكما أنتما الاثنان يجب أن تكونا أكثر حذراً في عالم اليوم.»

ترمى أَرْضاً لتوسم، وشعرت بالسرور لأنها لم تستطع أن ترى تماماً ما كان يحدث بالتفصيل. بدا ذلك عملاً قاسياً. كان ينتابها إحساس صعب أن هناك شيئاً رمزياً في ذلك، لكنها لم تكن ترغب في التفكير كيف بالضبط.

قال: «ها نحن هنا.» ووضع صينية على الطاولة. وأضاف: «إنني أتناول قهوتي ثقيلة، مع حبتين من السكر.» سكبت اليكس القهوة، ووضعت بعض الحليب في فنجانها. وسال لعابها عندما رأت طبقة من الكعك المحلى بالشوكولا. توقعت أن يهدى أول فنجان لها من القهوة هذا اليوم مزاجها، وتوقعت أن يتحسن أكثر عند تناولها الكعك المحلى.

قال مارك ويكفورد بتأمل: «يجب أن أقول انني قد وجدت صعوبة في فهم السبب الذي جعل ليز تقبل بمرافقتي ومساعدتي في العودة مع الجوادين إلى انكلترا للحظة ومن ثم تذهب مع فائن النساء الفرنسي هذا في اللحظة التالية.»

قالت: «لم تكن تلك نزوة مفاجأة. إنما هي توافر الظروف الملائمة. قالت انها أصبحت مغرمة جداً بفرانسوا خلال الأيام القليلة الماضية، وحالما أدركت انني مستعدة لأن أحل مكانها، حيث أن لي سبباً هاماً للقيام بذلك، في الواقع، لقد وضع كل شخص في مكانه.»

قال: «كان يجب أن تتمتع بالكياسة لتخبرني شخصياً ما تنوي القيام به.»

قالت: «اعتقد أنها شعرت بأنك قد تحاول نصحتها بالعدول عن ذلك.»

قال: «كانت محقة.» وضع فنجانه على الطاولة، رافضاً

«إنني أعرف نفسي، وذلك كافٍ بالنسبة إلي».

قال: «لا رغبة عندي في مناقشة نقاط ثانوية في الوقت الحاضر. إذ... ما هو السبب المقنع الذي أشرت إليه؟ ذلك الذي جعلك متحمسة جداً لتأخذني مكان ليز؟»

قالت: «لقد سرقت كل أموالي في الإحتفال في سانت ماري دولا مير. كل أموالي، وشيكات السفر، وتذكرة العودة. التقيت ليز واصدقاءها في وقت مبكر من النهار وبقيت معهم لمشاهدة موكب الفجر. لقد كان هناك جموع كثيرة من الناس على الشاطئ، وعندما اكتشفت أنني قد فقدت محفظتي عرفت على الفور أنه من المستحيل إيجاد الشخص الذي أخذها. فأخذني ليز وشريكها إلى مركز الشرطة، حتى أنهما قدما لي العشاء فيما بعد. والبقية... حسناً، أنت تعرف ماذا حصل بعد ذلك».

فقال بطريقة جافة: «آه، أجل. وأعرف تماماً ماذا تتوقعين أن يحدث الآن. إن دوافعك واضحة جداً. إنك تتوقعين أنني سوف أهرع في الحال للقيام بدور الشخص الذي سيزودك بالطعام وتذكرة السفر في الوقت المناسب». فأجابته بسرعة: «مقابل الخدمات التي سأقدمها، افترض أن ليز ما كانت لتقوم بعمل ليومين أو ثلاثة دون مقابل. يجب أن يستحق ذلك أجرة راكب عبر القناة».

«لا تقلقي. إن استخدمتك، سأدفع لك أجرك. إن...»
«لن ألمس أي قرش، عدا المصاريف الضرورية».
قال: «هكذا؟ وافترض إن وقع سكين بين يديك فسقطعين ذلك الأنف الصغير الجميل لتغيظي وجهك».
قالت بفضاضة: «أرجوك لا تكن راعياً».

قال: «إنك تأخذين الأمور بجدية».

قالت: «يقدر ما تظهره من جدية، فقط».

دفع فنجانها عبر الطاولة، وقال: «سأتناول ذلك الفنجان الآخر من القهوة الآن».

ملأت فنجانيهما، وقد تضرع وجهها، وفكرت، لعلها لم يكن مجرد غريب تماماً يعود بالحياد إلى انكسار شخص من دون أصدقاء مؤلمة، وحزينة من الماضي؛ تناولوا قهوتهم في صمت يتخلله خوار الثيران البعيدة فقط.

قال مارك ويكفورد أخيراً: «بالطبع إن كنت لا تستطيعين الإهتمام بجواد، فلن أكون في حاجة إليك».

قالت: «لست خائفة في أن أضع قدراتي تحت الإمتحان. لقد امتطيت الجياد طوال حياتي».

قال: «لكن هذين الجوادين لم يمتطيا طوال حياتهما، لقد أمسك بهما حديثاً تقريباً. لا أريد أن يحدث لأي منهما مكروه في طريق العودة».

قالت بسخرية: «ولا أريد أن يحدث لي أي مكروه».

قال: «ذلك أيضاً، على ما أعتقد. إذاً هذا ما أقدمه. تبقيين هنا لبقية هذا النهار، خلال الوقت الذي اقنع فيه نفسي بمرافقتك كعمتلية للجياد. إن اقتنعت بذلك، فسوف ننطلق كما خططت غداً. ما رأيك؟»

أجابته بتحفظ: «يبدو لي ذلك عادلاً جداً».

قال: «إذاً لنتفق على ذلك. من الأفضل أن تأتي وتتعرفني إلى هنريت مالمونت. ستسمح لك باستعمال الغرفة التي كانت تستعملها ليز... ونظر إليها مباشرة وهو ينهض، ثم أكمل كلامه قائلاً: «... إذاً مهما حدث ستحصلين على ليلة

أكثر راحة من الليلة الماضية. وإن لم ينجم شيء عن تجربة اليوم، فعلى الأقل ستحظين بمزيد من الوقت قد يبدو ضرورياً لتجدي حلاً آخر لمشاكلك.»

نهضت ونظرت إليه بتحد: «يبدو لي ذلك عادلاً جداً.»
لوى شفتيه بتهمك. وقال: «لا أشك بذلك. احدي نساء اليوم... جاهزة للقيام بأي شيء، مهما كان يقتصر للحكمة.»
استدار ومشى، وتبعته إلى داخل المنزل، وعيناها تتأملان القميص الأنيق المشدود فوق كتفيه العريضين، وهي تفكر، أكان الأمر يستحق حقاً أن ترمي بنفسها في هذا الخضم من المشاعر الحزينة، فقط لتحصل على تذكرة عودة إلى الوطن؟

ستكون ممثلة بارعة إن استطاعت أن تفعل ذلك، لأن آخر شيء على الأرض يجب أن يعرفه ماركوس ويكفورد، إن استطاعت أن تحمل نفسها على العمل لديه، أنه بالفعل يقدم خدمة لشخص، وربما الأسوأ من وجهة نظره، تقديم خدمة إلى عائلة ليوارد.

الفصل الثاني

كانت هنريت مالمونت، المرأة السمينة، ذات الشعر الداكن اللون، والمحتشمة المظهر، مشغولة في القيام بعدد من الأعمال في المطبخ. استمعت إلى قصة رحيل ليز. وكانت ردة فعلها مجرد ابتسامة ارتسمت على ثغرها، وهزة استهجان هادئة من كتفها، وعلقت قائلة: «إنها شابة صغيرة! يجب أن تتوقع أي شيء من شابة صغيرة، عندها، لن يدهشك أي تصرف قد تقوم به، أليس كذلك!» وقالت إن اليكس تستطيع بكل سرور أن تستعمل الغرفة التي كانت تشغلها ليز، وأخبرتها بأنها سترشدها إليها بعد لحظة قصيرة.

تركهما مارك، بعد ما اتخذ الترتيبات الضرورية التي تشعره بالارتياح، قائلاً أنه سيحمل متاعها إلى غرفتها في ما بعد. بعدما أنهت إعداد فطيرتين بالتفاح، رافقت هنريت اليكس عبر غرفة الطعام الطويلة ذات الشكل البروفانسي التقليدي حيث الطاولة الضخمة تتسع لجلوس ثلاثين شخصاً على الأقل حولها، قادتها بعدها إلى زاوية الفناء الخارجي. وهناك، انعطفتا نحو درج غير ظاهر يؤدي إلى الغرف الموجودة فوق الاسطبل. أخذت هنريت ملاءة من خزانة على أعلى السلم، وسألت اليكس إن كانت تمانع في ترتيب سريرها بنفسها.

قالت لها شاكرة: «يسعدني أن أقوم بأي عمل للمساعدة، لطف منك أن تسمح لي باستعمال الغرفة.»

أجابتها هنريت ببساطة: «واحد يذهب وآخر يأتي... هذه هي طريقة الحياة هنا». ثم، وبعد أن أعطتها القليل من المعلومات عن مكان الحمام وغرفة الغسيل، استأذنت وعادت مسرعة إلى المطبخ. نظرت اليكس بامتنان في أرجاء مسكنها لهذه الليلة. كانت غرفتها واحدة من نحو ستة غرف تفتح على ممشى، أرضيتها الباردة مكسوة ببقايات من الفلين ذات لون داكن، مصراعان ضروريان لا يد منهما على النافذة، وأثاث بسيط ومريح من خشب الصنوبر. نزع الملاءة عن السرير وأعدت ترتيبه بالملاءة النظيفة. عادت بعد أن أخذت الملاءة الوسخة إلى نهاية الممشى لتتأكد على حاجز نافذتها المفتوحة، وأخذت تنظر إلى الفناء الخارجي المهجور. ظهر ماركوس ويكفورد، فاجفها ظهوره مما جعلها تتراجع قليلاً إلى الوراء. كان يحمل مجموعتين من الحبال، وشعرت اليكس، عندما نظرت نحو شعره اللامع وخطواته الرشيقة، بأحاساس ينتابها بعيد كل البعد عن العدائية. واعترفت لنفسها بحزن أنها تستطيع ادراك سبب تورط ايلين معه تماماً. رغم معرفة اليكس بما فعله والنتائج التي ترتبت على أعماله، كان في إمكانها أن تدرك أنه من الرجال الذين يلفتون نظر أي امرأة ويطلقون مخيلتهن المستكنة السريعة التأثير بالاغراء.

وضع الحبال إلى جانب باب الاسطبل، ونظر حوله، في كلا الاتجاهين. لاحظت اليكس أنه كان يشعر بأنه مراقب، احتقرت نفسها لحماقتها التي جعلتها مأخوذة لجاذبية مظهره الرائع، تحركت بسرعة لتبتعد عن النافذة قبل أن

يرفع عينيه ويراها، ثم جلست على السرير. لم تخالجه الشكوك حيال قدرتها على أن تسوس جواداً، إنما لمسايسة رجل من عائلة ويكفورد، وخاصة هذا الرجل بالذات، كان أمراً مختلفاً كلياً.

لقد أعاد لقاءها بماركوس، أو مارك كما يسمي نفسه الآن، إلى نفسها كل التوتر الذي شعرت به على ايلين منذ عامين. لم يكن في إمكانها التحرر مما حدث في ذلك الوقت، فما زالت كل الأحداث المؤلمة التي حصلت حينها راسخة في ذاكرتها.

كانت اليكس تتمرّن في آخر سنة لها في علوم معالجة الأمراض بواسطة المداواة الطبيعية، وبدأت تكتشف عندما عادت إلى المنزل لقضاء عطلة الفصح، المصيبة التي يمكن أن تحل في حياة شقيقتها.

كانت حياة ايلين العاطفية قضية خاضعة لاهتمام حكيم من قبل جميع أفراد عائلتها، بعد فشل زواجها الأول المبكر. كان واضحاً أن ايلين في مزاج جيد منذ أن رأتها اليكس نهار الاربعاء قبل الفصح، وسرعان ما تبين أن صديقاً جديداً هو السبب في ذلك. لكن الحيرة انتابت اليكس من الطريقة الغامضة التي تتحدث بها ايلين عنه.

سألتها: «هل هو مهم؟»

فأجابتها: «يستطيع أن يحقق أمراً مهماً فعلاً. في الحقيقة، لست متأكدة أنه لم يفعل ذلك حتى الآن.»

سألتها اليكس بفضاضة: «إذاً، كيف حدث أننا لم نره؟ أنك لا تنشرين عادة هذا النوع من حجاب السرية حول حياتك العاطفية.»

أجابتها: «آه، لكن هذه مختلفة.» ونظرت ايلين نظرة تردد

إلى شقيقتها، ثم بدت وكأنها قررت شيئاً ما، فقالت: «إن لم أخبرك أنت، فمن أخبر؟ سأريك صورة لم يرها أحد سواك.»
مررت إليها ايلين الصورة بكل تبجيل تقريباً. نظرت اليكس إلى وجه الرجل في الصورة. وانتابها ارتياح للوهلة الأولى. فلم يكن يبدو رائعاً فقط، بل بدت على ملامح وجهه أيضاً قوة وعزم يتمان عن الاطمئنان.

قالت: «حسناً، يا لك من محظوظة! انه رائع لا عجب ان احتفظت به لنفسك! ما اسمه؟ أدونيس؟»

لم تضحك ايلين لذلك وكان جوابها جدياً تماماً.

قالت: «هل تقسمي على أن لا تخبري أحداً حتى أقول لك انك تستطيعين القيام بذلك؟ إن لم تقعلي لن أخبرك شيئاً.»
أجابتها: «هيا، يا ايلين! سأقسم على أي شيء ترغبين به فقط أخبريني ما هو السر.»

قالت ايلين محذرة: «إني جادة.»

أجابتها: «وأنا كذلك، لن أنبس بأي حرف لأي كان، والآن هيا! أخبريني!»

قالت: «إذا، حضري نفسك لصدمة. اسمه ماركوس. ماركوس ويكفورد.»

احتجت اليكس بصوت عالٍ وحاد: «ويكفورد! رجل من عائلة ويكفورد؟ هل أغرمت حقاً برجل من عائلة ويكفورد؟ أوه... لا! ذلك سيكون بالنسبة للعائلتين كوضع الهر أمام اللحم.»

قالت ايلين بكآبة: «لا يهم ما يظنه أهلنا، أولاً علي أن أخبر ماركوس بأنه كان يخرج مع فتاة من عائلة ليوارد طوال الشهرين الماضيين.»

قالت اليكس، وقد غار قلبها في صدرها: «هل تقصدين

أنه لا يعرف ذلك؟ بالطبع. لن يعني اسمك شيئاً، أليس كذلك؟»
ورمت بنفسها على السرير. لقد تزوجت ايلين عندما كانت لا تزال في المدرسة، وتطلب الأمر أقل من سنة لتشعر بالندم. وهي الآن مطلقة، لكنها لا تزال تستعمل اسم عائلة زوجها، ويعود سبب ذلك، لأنها ما زالت تشغل ذات الوظيفة التي شغلتها كايلين فيكرز.

التقت عينا اليكس الخضراوان بعيني شقيقتها الزرقاوين القلقة. قالت لها: «أوه، يا ايلين! لقد أوقعت نفسك في مازق كبير، أليس كذلك؟»

قالت ايلين باكتئاب: «أعرف. كان الأمر في البداية مجرد تسلية لي، لكن الآن ما عدت أشعر أن الأمر كذلك أبداً. سوف أخبره الحقيقة، لكن عندما أرى أن ذلك مناسباً، ودون أي تدخل من العائلة حتى أكون قد سويت الأمور مع ماركوس. كونه ينتمي إلى عائلة ويكفورد هو أمر تافه بالنسبة إلي. كما قلت، انه رائع. وليس هذا فقط، فهو شخص مذهل. انه لطيف جداً جداً. أعرف فقط ان الأمور ستكون على ما يرام.»

اكتراث اليكس لعداء العائلة لا يزيد عن اكتراث ايلين له. حيث يعود ذلك لجيلين مضياً عندما منع أحد رجال عائلة ويكفورد بطرق ملتوية زواج جدما ليوارد، زواج حب وثروة في آن معاً، وانتزع منه تلك العروس و ثروتها المحلية وتزوجها. كانت المسألة في تلك الفترة مسألة حياة أو موت، لقد فقد جدما الثروة، لكنه لم يهنا له عيش حتى استرجع المرأة. كان ذلك انتصاراً وجزياً جداً، رغم كل شيء. وأدت محاولات فرنسيس ويكفورد القاسية لاسترجاع زوجته وشعورها بالكآبة والاضطراب نتيجة

وكانها تتنبا: «لا تلعب بالنار لوقت طويل كي لا ينتهي بك الأمر بحرق أصابعك».

تطلب ايضاح الأمر لماركوس أسابيع عديدة من ايلين، وعندما فعلت ذلك في آخر الأمر كانت النتيجة، كما خشيت اليكس، كارثة، وبالرغم من ذلك، لم تتوقع ما قد تحمله من نتائج قبل وقوعها.

كانت أول معرفتها بالأمر في الليلة التي سبقت عودتها إلى المنزل بعد أن أنهت امتحاناتها النهائية في المستشفى، عندما تلقت اتصالاً هاتفياً كئيباً من ايلين أخبرتها خلاله بأنها في المطار بانتظار أن يحين موعد اقلاع رحلتها إلى أميركا.

لقد انتهى الأمر بينها وبين ماركوس. كان صوتها متهدجاً، تكتمه الكآبة والدموع المخنوقة. لم تكن راغبة في الحديث عن ذلك الموضوع. فقد كانت تشعر بعدم الفخر بنفسها اطلاقاً. كل ما كانت ترغب به هو الرحيل بعيداً. سوف تراسلها، لكن ليس لتتحدث عما حصل بينها وبين ماركوس. كل ما كانت تريده هو نسيان ما حدث. لقد انتهت تلك العلاقة. ولا ترغب بأن يطرح عليها أحد أية أسئلة. أرادت فقط حياة جديدة. سوف تتمكن من ايجاد وظيفة من الخبرة التي اكتسبتها من وظيفتها السابقة.

قبل أن تتمكن اليكس من مقاطعة دفق الكلمات المثيرة التي كانت تتلفظ بها شقيقتها، سمعت من المطار الاعلان باقلاع الطائرة، وبسرعة قالت ايلين: «طائرتي ستغامر» ورحلت. عرفت اليكس، عندما وصلت المنزل، ان الأمر قد ترك لها لتشرح لوالديها. استمعت السيدة ليوارد، الكئيبة والمرتبكة

للخطيئة الأخلاقية التي ارتكبتها إلى الانتحار. وكان كلا الرجلين يشعران بالظلم، مما جعل المصالحة بين العائلتين في ذلك الوقت أمراً مستحيلاً. استطاعت اليكس ادراك ذلك. وعندما كانت هي وايلين تتحدثان في ذلك الموضوع، كانتا تسلمان بأن رؤية رغد عيش عائلة ويكفورد نتيجة للأرض التي استولوا عليها عنوة فيما تعيش عائلة ليوارد حياة متواضعة، قد تثير في نفس والدهما شعوراً بالمرارة تجاه ما كان ليكون ملكاً له. لكن لم يكن لذلك الأمر تأثير في نفسيهما. أما جدهما فقد تزوج في آخر الأمر من جديد، وعاش بسعادة، وكان والدهما ثمرة ذلك الزواج. ثم مات جدهما قبل أن تولدا، وهكذا فانهما لم تتعرفا على أي من الشخصيتين المتضربتين. لقد حان الوقت بالتأكيد لنسيان تلك الحادثة المؤسفة! على أية حال، لقد انتقلت عائلة ويكفورد إلى مكان بعيد عن منطقة جنوب سوسكس الصغيرة حيث عاشت العائلتان لعدة أجيال، لذا فإن ذلك الحقد قد خفت حدته إلى حد ما. إنما من الأفضل عدم النوم بين القبور كي لا تأتي الكوابيس. سألت اليكس شقيقتها: «أعرف أننا نعتقد ان ذلك حدث في الماضي، لكن الموضوع هو... هل تتصورين ان ماركوس سينظر إلى تلك المسألة كما نفظر نحن؟» أجابتها ايلين بثقة كاملة تقريباً: «اني متأكدة أنه سيفعل. أعتقد ان علاقتنا قد وصلت لدرجة تجعل أي أمر آخر غير مهم... يجب أن أقول، يا ساندبي، إن مسألة هذه الأرض المحرمة قد تضيف بالتأكيد بعض الاثارة للأمور».

بينما كانت اليكس على أهبة الخروج قالت لها بقلق

لمغادرة ابنتها الكبرى المنزل والبلاد، بشكل مفاجيء، إلى تفسيرات اليكس لسلوك شقيقتها.

قالت: «آوه، يا ايلين المسكينة! الفتاة الحمقاء! لا بد انها ضدمت عندما اكتشفت انه ما زالت موجودة تلك الهالة الكبيرة لمشكلة سخيفة رغم مرور كل تلك السنين. ما لا أستطيع فهمه هو، لم كان هذا التكتم الذي أحيط به هذا الصديق الأخير؟ لكنك تعرفين ما آلت اليه الأمور بعد زواجها الأول المشؤوم. كنا جميعاً حذرين وخائفين. كأننا نمشي على البيض. آوه يا ساندي! كيف سنخبر والدك؟»

قالت: «لنفترض ان ذلك الرجل من عائلة ويكفورد لم يآيه للعداء القديم... كيف كنتما أنت ووالدي ستواجهان الأمر؟ نظرت والدتها بعينين غائمتين من شدة الحزن، وقالت: «لم يكن لي شأن بذلك العداء بأية حال. اني مجرد دخيلة عليه. لكنني بصدق أعتقد ان والدك لا يضمر شيئاً تجاهه حتى هذه الأيام، اني متأكدة انه كان ليقبل الأمر إن كان ماركوس هذا رجلاً صالحاً. أنا كنت لأفعل ذلك. أما الآن، فانني أفضل قتله.»

قالت اليكس: «من الواضح انه ليس صالحاً إطلاقاً. لقد أظهر انه عدائي ومتحيز كأني شخص من عائلة ويكفورد.» كانت السيدة ليوارد محقة في خوفها من اخبار زوجها. فقد قضى ليلة مروعة نتيجة لنوبة قلبية، اتبعت انفجار غضبه المرير ضد عائلة ويكفورد، عانى منها في ساعات الصباح الأولى. وتعافى انما جزئياً فقط، مما أجبره على التقاعد في وقت مبكر، الأمر الذي لم يكن مهياً له مادياً بعد. كان عليه أن يبيع منزل عائلة ليوارد القديم الذي توارثه

أفراد العائلة منذ ثلاثة أجيال. أما الآن فإن والدي ايلين واليكس يعيشان في منزل صغير يمتلكانه، دون أن يتنمرا، لكن الفتاتين كانتا تدركان ان أفضل ما يمكن قوله انهما يتحملان ذلك. حيث أن الأيام الخوالي قد رحلت.

مرت سنة قبل أن ترى العائلة ايلين مجدداً، حيث كانت، كما أخبرتهم في رسائلها ومكالماتها الهاتفية، قد خطبت إلى شاب أميركي استطاعت اقناعه بالمجيء للتعرف إلى عائلتها. لذا لم يكن من المناسب القيام بأية محاولة لنبش الماضي. وخاصة على ضوء ما آلت إليه صحة السيد ليوارد. كانوا رغم كل الصعاب، فرحين عندما وجدوا أن ايلين قد وجدت أخيراً، الرجل المناسب حسب رأيهم جميعاً. أما الآن، بعد مرور عامين، تعيش بسعادة مع زوجها، وطفلها الأول، الذي أسمته على اسم والدها.

لم يذكر اسم ماركوس ويكفورد مرة ثانية، لكنه بقي في ذاكرة اليكس ذلك الرجل الذي بدّل مسار حياة شقيقتها، وتسبب بابتعادها عن عائلتها، وأنهى تقريباً حياة والدها. أعادتها طرقة على باب غرفة نومها من افكارها الكئيبة إلى الواقع، فوجدته واقفاً هناك، حاملاً حقيبتها.

قالت باقتضاب: «شكراً.»

قال: «انتظري لحظة...» ومنعها من اقفال الباب في وجهه، وأضاف: «أريد أن أتكلم معك.» أعادت اليكس بتذمر فتح الباب قليلاً، لكنها لم تدعه للدخول. وسألته: «نعم.»

أجابها: «لقد أعددت ترتيبات لبقية النهار. سنأخذ حصانين في نزهة. وهكذا نتاح أمامك فرصة كبيرة

لتطيري ما تستطيعين القيام به.» نظر إليها بتمعن من رأسها إلى أخصص قدميها، وأضاف: «ستطيعين البقاء بهذه الملابس، واعتقد أننا نستطيع أن نتذكر لك قبعة من أحدهم.» «لا حاجة لأن تقل ذلك. لدي واحدة كما أنني أفضل ارتداء سروال خاص لركوب الخيل. لقد أحضرته معي أيضاً.» قال: «ذلك مناسب جداً. أعتقد أنك استعرتها من ليز.» قالت: «لا، إنها لي.» لقد أضيفت الجزء الأول من عطفتي أستطي الجياد في فيركور.

إلا أن ذلك لم يجعله يذعن، فقال: «يبدو ذلك واعداء لكنك ما زلت ملزمة باقتناعي أنك تجدين ذلك. انزلي إلى الأسفل بأسرع ما يمكنك.» ثم استدار واتجه عبر الممشى بخطوات واسعة. أفلتت اليكس الباب وهي تشعر بالانزعاج، وسحب السروال الخاص بركوب الخيل من الخيل وقبعتها. كان ذلك السروال بحق هو الأنسب لأي شخص يرغب في الغناء المألوف البدانة من جسده. لكنه بدا على جسم اليكس المستاسق وكأنه يضيق على الجمال جمالاً. استبدلت قويمها الأخضر اللون بكنزة قطنية رقيقة لونها يشبه لون الجوارح وقصت شعرها الذهبي الكثيف بعقدة كانت فراشة تتحرك على عتقها. ثم انتقلت حذاءها واتجهت إلى الأسفل حيث الغناء وقبعتها الخاصة لركوب الخيل تتأرجح في يدها.

رأت ولداً صغيراً يمكك بالجواردين ويتحدث إلى الرجل ذي الشعر الرمادي للون الذي سبق وأن التقته اليكس في المكتب. كان أحد الجواردين أصعب وضخماً بينما كان الآخر أرقط وأصغر حجماً وبقليل. خرج مارك من إحدى الأسطبلات وسار نحو الرجال

لينضم إليهم. وبينما كانت اليكس تقترب كانت عيونهم جميعاً تنظر إليها. كانت البهجة جلية في نظرات الرجلين الفرنسيين، بينما بدت نظرات مارك ويكفورد غامضة. أشارت اليكس إلى الجواردين قائلة: «ما هذا؟ اعتقدت أنك ابنت جواردين من الكامارغ.»

أجابها يهود: «لقد فعلت وسوف تبهنين لي أن استطعت امتطاء هذه. أخبرتك أن جودي قد روضا إلى حد ما حديثاً. تذكرين ذلك. لقد وافق اندريا بالسماح لنا بامتطاء اثنين من أفضل جياده عداً لك ريزي...» صفع الجواد الأرقط على رقبته، ثم تابع كلامه قائلاً: «ولمي باين انهما معتادان على نوع الركوب الذي ستقوم به اليوم.» قال تلك الكلمات الأخيرة ودفعت نظرة ذات مغزى إلى الرجلين الآخرين، اللذين أشارتا لبسائهما العريضة إلى وجود نكتة ضمنية تجاهلت اليكس ذلك، وركزت على مصافحة ريزي، التي بدت ودودة جداً.

سألها اندريا مالمونت: «أترغبين بامتطاء الجواد يا قسسي؟» ثم جمع كفيه إلى بعضهما البعض وقدمهما إلى حيث وضعت اليكس إحدى قدميها عليهما وارتقت برشاقة فوق سرج ريزي، حيث تمهلت قليلاً لتضع قبعتها قبل أن تقود الجواد إلى الطرف الآخر من الغناء هناك ركزت ركابها، ثم عادت إلى مجموعة الأشخاص الذين يراقبونهم. قال مارك: «لا مشاكل حتى الآن.» وقفز بسهولة فوق سرج باين وربت على عنقه. ثم وأضاف: «والآن، دعينا نرى ما تستطيعين حقاً القيام به. لن نتأخر في العودة يا اندريا.» أجابه بلغة إنكليزية متأنية: «تمتعاً بوقتكما جيداً.»

قاد مارك جواده إلى محاذاة جواد اليكس، حيث رأت أنه يرتدي قبعة الحارس السوداء تلك ثانية.

فقالت: «لن تؤمن لك هذه الحماية الكافية فيما لو سقطت.» قال بهدوء، «انما بثقة رجولية تامة: «لن أسقط.» «كانا، في ذلك الوقت، ينعطفان ناحية الجهة الشمالية من المزرعة، ويدخلان إلى حقل طويل مسيج. حث جواده على الاسراع وناداهما قائلاً: «افعلي كما أفعل تماماً.»

تبعته اليكس وانعطفت، كما فعل، عند الطرف البعيد من الحقل ثم لحقت به من جديد عبر امتداد الأرض الوعرة. وهمز الجواد ليضاعف سرعته ويندفع عبر الأرض الفسيحة، حتى أصبحا في المسافة المتبقية في الحقل يعدوان عبر غيمة من الغبار ارتفعت كالضباب من جراء حوافر جواديهما.

بدلاً من أن يخفف سرعته عند المنعطف، ضاعفها وقفز فوق السياج دون أي حذر. وفعلت اليكس الشيء نفسه بشكل مرض، حيث قفزت زيزي فوق القضبان بسهولة. سألها بلهجة ساخرة: «أما زلت على صهوة الجواد؟» أجابته بذكاء بكلماته ذاتها التي قالها منذ لحظات فقط: «لن أسقط.»

همزت زيزي بنعلي حذائها، تستحثها لأن تسبقه، لكنه لاحظ ذلك، وبلهجة أمرة قال: «لا حاجة للتفاخر.» فسارت إلى جانبه بتمهل وهدوء.

قال باقتضاب: «حسناً، أرى أنك تعديت مرحلة الفشل.» قالت: «قلت لك، انني أستطيع امتطاء الجياد.» كانت اليكس لا تزال تستشعر وخز الظلم من القفز فوق السياج،

الأمر الذي اعتقدت أنه غير عادل حتى أنه عمل خطير تماماً من قبله.

نظر إليها نظرة جانبية وقرأ على ملامحها ما فكرت فيه، وقال: «إن كانت القفزة تثير انتقادك، فانسي الأمر. تستطيع زيزي القيام بذلك وهي مغمضة العينين. لم نقم بما هو غير متوقع بعد.»

قالت ببرود: «إذاً، علي أن أتأهب وأنتظر غير المتوقع.» مرا بالزريبة حيث يتم رسم الحيوانات. كانت عملية الوسم قد انتهت وأطلقت الفلول لتذهب إلى مأواها المعتاد. لكن رائحة الشعر المحروق كانت لا تزال تملأ الجو. مما جعل زيزي وبابن يهزان أذانهما بقوة ويصهلان بصوت منخفض.

سألها مارك ويكفورد فجأة: «خلال رحلتك لركوب الخيل، هل كنت بمفردك؟»

أجابته: «لا، كان معي أصدقاء.»

قال: «هل أضعتهم كما أضعت مالك؟ ذلك يبدو وكأنه عدم اهتمام.»

نظرت إلى وجهه الساخر، وقالت: «لا، لقد كانت فترة عطلتهم أقل من عطلتي. بقيت هنا ليضعة أيام كي أتعرف على المنطقة. هل يوضح هذا ما تريد معرفته؟»

قال: «هذا مقنع جداً. هل كان يستحق ذلك، أعني أن تبقي؟ هذا المكان لا يستسيغه أي كان.»

قالت: «أعتقد أنه رائع.»

سألها: «رغم كل ما حصل؟»

أجابته: «رغم كل ما حصل. عندما طارت طيور النحام

هذا الصباح وجعلت الجياد تعدو مسرعة... حسناً، ماذا تستطيع أن تقول عن منظر كذلك المنظر؟
قال: «لقد رأيته».

«قالت: «كان منظرأ لا ينسى».

«انك تتحدثين إلى المتسبب به».

رغمته بنظرة سريعة، وقد جفلت قليلاً بما كان تقريباً حديثاً عادياً بينهما. كان يجلس منفرج الساقين بلباسه الأبيض على صهوة جواده وكأنه أحد نبلاء الغرب، وكان شعره الأشقر يلمع تحت أشعة الشمس. بدا واثقاً جداً من نفسه... وكأنه أحد أبناء الحياة المفضلين.

أجابته بفضاظة: «من الواضح، ان المجيء للتبضع هو صعب نوعاً ما».

قال: «آه، لكن هناك سيدة في عائلتي تملك طرقاً مقنعة جداً. لقد شاهدت فيلم الحصان الأبيض، هل تعرفينه؟ ولن تقبل بأي حصان آخر إلا حصان الكامارغ».

قالت اليكس: «انها محظوظة ليكون عندها زوج ينصاع لتحقيق رغباتها».

«السيدة التي أتحدث عنها، ربيكا، تبلغ السابعة من عمرها فقط. بالطبع، لن أنكر على أية امرأة أتزوجها سعادة ركوب إحدى جياد الكامارغ ان رغبت في ذلك».

أخذت اليكس تقوم بحسابات. وكان الجواب الوحيد الذي توصلت إليه، انه قد يكون تزوج من امرأة لديها ابنة. أو انه كان على علاقة مع امرأة ما قبل أن تظهر ايلين في حياته، وعاد إليها مع عزمه الذي جاء متأخراً للقيام بما هو صالح تجاه ابنته. مهما كانت الحال، لا بد ان ابنة السبعة أعوام

التي تطلب هكذا طلبات، وتجعل هذا الرجل يسافر عبر الأراضي الفرنسية ليحقق لها رغباتها، بالتأكيد هي طفلة أقسدت شخصيتها من شدة التذليل.

قالت بصوت ينم عن عدم الاستحسان: «انك والد متساهل جداً»
وصلا إلى الطريق الرئيسي حيث اقتربا من عربة للجياد متوقفة تحت الأشجار. توقفا إلى جانبها، حيث سألت اليكس توضيحاً: «هل هذه لنا؟»

أجابها: «تنبؤ جيد».

قالت: «لكنها ليست لك؟»

قال: «تلك التي أحضرتها؟ لا. خاصتي من النوع الذي يُقَطَّر. هذه للنادي».

ترجلت مثله عن صهوة الجواد، وأمسكت بعنان بابن بينما فتح هو الباب في مؤخرة العربة. وقالت: «بما اننا نستطيع بسهولة العودة إلى النادي، أعتقد اننا نقصد مكاناً آخر».

«أصبحت مرة أخرى. ما كنت تعتقدين ذلك حقاً، أليس كذلك؟»

«لا. انتني طوع يديك. إذا إلى أين نحن ذاهبان؟»

قال: «صبراً. ستعرفين ذلك في الحال».

«قفز من العربة، وسوى آذني زيزي. ثم أضاف: «لندخلها أولاً. ابق بابن بعيداً لحظة».

أدخلت زيزي وكوفئت ببعض من التبن. تبعها بابن بهدوء وحصل على نصيبه هو أيضاً. أقفل مارك باب العربة، ثم استقل هو واليكس في المقدمة.

سألت ببراءة متعمدة: «هل المكان بعيد؟»

قال: «ليس كثيراً... لكننا نريد أن نُبقي الجوادين نشيطين ولطيفين لبعد ظهر هذا اليوم. وسيكونان على

الأرجح سعيدين في العربية حتى آخر النهار. «كلمات تتضمن الكثير لكنها تفصح عن القليل.

قطعت اليكس عهداً على نفسها ألا تطرح عليه أي سؤال بعد ذلك مما يتيح له مبارزتها، ومضت فترة طويلة قبل أن يقطع الصمت بينما كان يقود العربى عبر الطرقات المنبسطة. قال: «أخبرني، ماذا تفعلين عندما لا تقعين في مواقف محرجة خلال سفرك؟»

أجابته: «اني أعمل في حقل المداواة الطبيعية.»

قال: «طبيبة في المعالجة الطبيعية؟ ما كنت لأنتبأ بهذا.» قالت: «ليس هناك من سبب يدعو لك لذلك. اننا لا نوسم باختصاص عملنا.»

«هكذا اختصاص عملي جداً. عمل ذو مسؤولية كبيرة. أنت لا تبدين لي انك من النوع الذي قد يجد ذلك سهلاً.»

سألتها: «كيف لك أن تعرف؟ لم يمض على لقائنا سوى ساعة أو أكثر بقليل.»

قال: «قلما أخطئ في شأن الاختلاجات التي تظهر على وجوه الأشخاص.»

تسارعت خفقات قلبها منذرة بالخطر. لقد عرف بحقدها فهي لم تكن حذرة بشكل كاف. إلا انها تظاهرت بالابتسام. قالت: «ربما هذه هي المرة الأولى. على أية حال، المداواة الطبيعية هي عملي، وأنا أحبه كثيراً. ربما لا خبرة لديك عن النتيجة التي يؤدي إليها.»

قال: «سجود مناقشة صغيرة حول ذلك الموضوع مع مدرب رياضي، والتي هي مختلفة عن الرضوخ لملاطفة فتاة ذات شعر ذهبي. قد تعتقدين الآن أن تلك كانت عبارة غير عادلة أبداً تجاهك.»

قالت: «حسناً، ألم تكن كذلك؟»

قال: «أعتقد انها واقعية، لكن فوق ذلك انني لا أهتم لهذه الأمور كما تفعلن أنتن النساء.»

أجابته بسرعة: «ربما يعود ذلك لأنك لم تكتشف الهدف.» تركا طريق أرنس الرئيسية، وتخطيا إشارة الطريق، فلم تتمكن اليكس من قراءتها، لذا بقيت تجهل المكان الذي يتجهان إليه. لكنها رأت فجأة، عندما انعطفا حول منعطف في الطريق حيث كانت الأرض مكسوة بنبات أكثر طولاً مما تكون عليه عادة، جموع من الناس في حقل فسيح أمامهما، وبعد لحظات توقف مارك فيه وسحب عربى الجياد ليضعها في خط مع مجموعة من العربات الأخرى.

كان هناك ثيران في الطرف الآخر من الحقل، غير مقيدة، مجموعة كبيرة منها تدور بشكل دائري وكان الناس يحتشدون على أقدامهم وعلى صهوة جيادهم في كل مكان، ولاحظت اليكس عندما قفزت إلى الأرض ان الجو كان يعبق برائحة الشواء التي يسيل لها اللعاب.

قال مارك: «أعتقد ان علينا احضار شيء من الطعام لنتناوله أولاً. وستكون أكياس التبغ كافية لاسعاد الجوادين. هل أنت جائعة؟»

كانت اليكس تشعر بجوع شديد، لكنها كانت تعرف انها لا تملك من المال شيئاً. فأجابته: «ليس تماماً. اذهب أنت.» نظر إليها بقساوة وقال: «توقعت أن أقدم لك الطعام، تعرفين، ان كان ذلك الجواب ناجماً عن كبرياء ضائع.»

«لا يمكنك أن تتصور كم أن هذا الوضع يثير غضبي.» «آه، بلى يمكنكني، فأنني أنظر إليك. لا تكوني سخيفة،

انك في الواقع، تتصورين جوعاً. كما انك سوف تكونين في حاجة لكل قوتك بعد ظهر هذا اليوم.»

قالت: «ان كنت حقاً ترغب في أن تقدم لي خدمة، يمكنك التوقف عن هذه الملاحظات التي تشير إلى ان شيئاً خطيراً سيحدث. عليك أن تخبرني عاجلاً أم آجلاً عما نتحدث. يمكنني الانتظار حتى ذلك الحين.»

قال: «لكن ذلك يجعلك تتحرقين، أليس كذلك؟» وابتسم ببرود ثم أمسك بذراعها وبدأ يسير بها بين الجموع. وأضاف: «تعالى وتصرفي بعزم وتصميم فقط.»

أخذنا بعض الشواء الشهى المنظر، ضلوع غنم شهية الرائحة، عليتي سلطة، خبزاً محمصاً وزجاجة من المرطبات، وأخيراً وقبل أن يعودا إلى جواديهما أخذنا بعض حبوب الخوخ. فتح مارك الصندوق ووضع بطانية حصان مطوية عليه. ثم نشر اطعام الغداء عليه، وبدأ بتناوله.

كانت زجاجة المرطبات ساخنة بسبب تعرضها للشمس لفترة طويلة من الزمن. كان اللحم قد نقع في مزيج لذين من الزيت والأعشاب، كما وان السلطة كانت تحتوي على زيتون ريان محلي. واستسلمت اليكس إلى اغراء وليمة من الأطعمة المختلفة النكهات.

سألها مارك: «هل يعجبك الطعام؟»

قالت: «انه رائع. شكراً جزيلاً.»

كان هناك الكثير حولهما ليشاهداه، مما جعل التحدث ليس ضرورياً حقاً، كما ان متعة تناول الطعام وأشعة الشمس المشرقة كانتا أكثر من كافيتين لتجعلها تتغاضى عن شخصية مرافقها غير المرغوب فيها. كانت قد اكتفت

تماماً عندما حمل الكؤوس والزجاجة ليعيدهما. فقالت له بكل تهذيب: «شكراً، يا مارك.»

قال لها: «ان اسمي بالفعل هو ماركوس.» وتسبب لها الاسم الذي أكد شخصيته، خيبة أمل حمقاء. تابع كلامه قائلاً: «لقد اختصرته هنا لأنني ورغم حبي إلى المومنت، لا أستسيغ الطريقة التي يلفظون بها اسمي، وهي ماركويز. أعرف، قبل أن تقولي لي ذلك، اني أفسدت لغتهم أيضاً، لكن الطريقة التي يلفظون بها اسمي تجعلني أشعر اني أحمق تماماً. انهم كما أي شخص آخر، يستطيعون لفظ الاسم المختصر بشكل رائع. سنخرج الجوادين عندما نعود. لقد حان الوقت تقريباً.» وبعد ما نظر إليها نظرة ذات مغزى كي يثيرها، انطلق بين الجموع.

نهضت بتبريم واتجهت إلى حيث الحمام. وعندما عادت، كان ماركوس يخرج بابن، وكانت زيزي قد أخرجت وربطت إلى عقيفة إلى جانب العربة.

قال: «أتساءل ان كنت تقومين بدور العذاء.»

قالت: «انني في وضع لا يسمح لي بذلك، أليس كذلك؟»

قال: «ذلك يعني انك تقومين بذلك ان استطعت. أتشعرين بالقلق؟»

قالت ببرودة: «في الواقع، الأمر يثير اهتمامي.»

قال: «في هذه الحالة، سأزودك ببعض المعلومات.

ستشتركين في الابريفادو. أتعرفين ما هو ذلك؟»

قالت: «لا، لكنني أراهن على ان أصدقاءنا الزوج

المتواجدين في الطرف الآخر من الحقل مشتركون فيها.»

قال: «وستكونين بخير، سوف تتعلمين ماهية العمل في

الانتقال بهم من مكان إلى آخر. كل ما عليك القيام به هو

البقاء على مقربة من بقية العدائين، بقدر ما تستطيعين، ومرافقة الجماهير. لن يكون أمامك خيار لتقومي بأي شيء آخر. لكن ليس هناك ما يدعوك للقلق. لقد قامت زيزي بذلك عدة مرات من قبل. ركزي فقط بكل أحاسيسك على ألا تسقطي عن ظهرها. إن كنت ستشتركين في اللعبة، أعتقد أن الوقت قد حان. أتريدين مساعدة؟»

رفضت اليكس عرضه وفكت زيزي قبل أن تمتطيها من دون مساعدة.

كانت الجموع تصنف نفسها كل إلى مركزه المعد سابقاً، وكأنما إشارة خفية قد أعطيت لهم، فكان المترجلون يتجهون إلى نهاية الحقل، والعداؤون يتجهون إلى الوسط، وكان جو الاثارة يخيم على المكان بشكل فعلي تقريباً. توجهت مجموعة من الحراس بلباس متميز وهي تحمل الرمح الثلاثي الشعبي التقليدي، عبر الحقل إلى حيث الثيران تتحرك باستياء.

قال ماركوس: «سوف يختارون الحيوانات التي يريدونها، اننا غير مشتركين في هذه المرحلة.» بطريقة ما، استطاع الحرس أن يفصلوا سبعة أو ثمانية ثيران من القطيع، وأعيد السياج إلى مكانه لابقاء البقية محتجزة في أمان. شكل العداؤون حلقة محكمة حول الحيوانات، وقادوها إلى الحقل، وبينما اقتربوا من الفرسان. تحرك العداؤون واحداً تلو الآخر وانضموا إليهم حتى أصبحت مجموعة متراصة تحيط بالثيران المتواجدة في الوسط.

كانا اليكس وماركوس قد اندفعا بخفة وانضموا إلى البقية وزادت المجموعة من سرعتها بينما هم يجولون

الحقل مرتين وسط هتاف المتفرجين. ثم فتحت البوابة التي تؤدي إلى الطريق التي أقفلت حتى بدء الابريفادو، واندفع حشد الفرسان بطاقتهم المشحونة على الطريق.

كانت اليكس تقبع منحنية على ظهر زيزي، وقد نسيت قبيعتها الخاصة بركوب الخيل في غمرة الاثارة الغريبة التي انتابتها لهذه المناسبة. وجدت نفسها تطلق نفس صرخات الحماس التي يطلقها الفرسان المحيطون بها.

كانت هي وماركوس في آخر المجموعة تقريباً عندما دخلوا إلى أزقة القرية. كان وقع حوافر الخيل الهادر وخوار الثيران وصرخات الفرسان يتردد صداها عالياً عبر الجدران الحجرية السمكية للمنازل. وسرعان ما أضيف إلى الهرج صرخات المتفرجين الذين احتشدوا عند مداخل الأبنية والتواقد.

فجأة ظهرت مجموعة من الشبان من طريق فرعي وامطروا الفرسان بوابل من السهام. واصطدم شيء ما بوجه زيزي، لينفجر مطلقاً غمامة بيضاء، مما جعلها تثب مذعورة. فيما جاهدت اليكس لتسيطر عليها وتبقى فوق ظهرها. ولكانت استطاعت ذلك، لولا صوت دوران محرك الدراجة في الطريق الفرعي وقد عمد صاحبها إلى اطلاق عنانها بأقصى قوتها. شبت زيزي ثانية، وهي تصهل وأخذت تضرب ساقها الأماميتين في الهواء على نحو خطر من فقدان التوازن. قامت اليكس بالعمل الوحيد الذي يمكنها اتخاذه حيث تركت نفسها تنزلق فوق ردف الحصان نحو الأرض. ارتطمت بالأرض وقد سقطت على مؤخرة ظهرها، لكنها نهضت في طرفة عين محاولة الإمساك برسن زيزي مطلقة سيلاً من

الشتائم إلى الصبية الذين كانوا واقفين يضحكون عليها. في الواقع، لقد جعلها انفعال تلك اللحظة تتكلم الانكليزية وتتجاهل اللغة الفرنسية تماماً، لكن ما كانت ترمي إليه من خلال كلماتها كان واضحاً. ورغم ذلك لم تنجز شيئاً. فلقد استمروا في الضحك.

أجبر ماركوس على التقدم تحت قوة الهجوم، إلا أنه استدار وعاد إليها في الوقت الذي كانت قد نهضت فيه على قدميها.

سألها: «هل أصابك مكروه؟» وترجل عن ظهر جواده، وبدأ للحظة مهتماً قليلاً، وبالرغم من ذلك، لم يستمر ذلك طويلاً. كان قميصه ملتصقاً بصدرة وجبهته تتصبب عرقاً. وكانت قبعة متدلية من سيورها على ظهره. وكانت اليكس قد شعرت عندما صبت جام غضبها عليه، بالخزي لملاحظتها أنه يتمتع بجاذبية رجولية صارمة. ثم سرعان ما غاب ذلك، كما غاب اهتمامه. وشعرت أن غضبها منه لا يقل عن غضبها من الصبية الذين جعلوها تسقط عن جوادها.

قالت بحدة: «لم أصب بأذى، إنما أنا غاضبة» وأشارت بيدها الطليقة نحو المتفرجين وأضافت: «هؤلاء الأوغاد رموا شيئاً علينا. أنظر إلى زيزي، لقد غطاها الغبار الأبيض. مغفلون!»

ابتسم لهم ماركوس ابتسامة عريضة وأشار لهم بيده لينصرفوا. قال لها بلهجة مسترضية تقريباً: «إنها المرة الأولى لك يا آنستي.»

قالت له بحدة: «وأي فرق تحدثه المرة الأولى؟» وأخذت تنظف عنق زيزي مما جعل غباراً أبيض يتطاير، الأمر الذي

جعلها تسعل، فاستطردت قائلة: «طحين! هذا ما رموه.» استدار نحوها وقال بود: «توقفي عن ذلك. انك لا تعرفين عما تتحدثين. هل أنت خائفة من امتطاء زيزي ثانية؟» كانت قد امتطت ظهر الجواد قبل أن ينهي جملته. فاعتلى بسهولة فوق سرج بابن. وقال: «تعال، إذا. أعتقد أننا فوّتنا على أنفسنا نهاية هذا السباق الخاص، لكن في إمكاننا أن نرى نهاية سباقنا.»

كان هذا هو السبب إذاً، فكرت اليكس بمرارة، أنه غاضب منها الآن كما من زيزي. لقد سقطت عن جوادها. سيعتقد أنها غير مؤهلة لتعتني بأحدى الجياد الخاصة، إن لم يكن في استطاعتها التعامل مع جواد مدرب جداً. أنها تُضيع الوقت من الآن وصاعداً في البقاء برفقته. لكن ماذا تستطيع حيال ذلك؟ رمتها بسهام عينيها على ظهره بينما كانت تنعطف إلى الشارع وراءه حتى بدءا يلتقيان بالفرسان الآخرين وهم يتأهبون لسباق ثانٍ.

لم يستدر ماركوس بحصانه، مؤكداً رأي اليكس أنها قد حذفت من رحلة العودة إلى انكلترا. وترجل عن جواده وربط ريسن بابن إلى سكة أمام جدار عالي. وفعلت اليكس الشيء نفسه بمرارة. ثم لاحظت أنهما خارج حلبة الثيران. قالت بحزم: «لا شأن لي في مقابلة الثيران. فأنا أعتقد أنه عمل همجي، ولا أحبذه إطلاقاً.»

قال لها ماركوس بثبات: «أهدأي أيتها المنفعة. أنت في الكامارغ حيث تدلل الثيران وتعمر طويلاً. تعالي وتناولني منشطاً بعد تجربتك غير المحظوظة، وسأشرح لك الأمر.» اتجها بين الجموع إلى حلبة الثيران ودخلا مقهى على

زاوية قريبة، حيث تركها ماركوس جالسة إلى طاولة حجرية تحت الأشجار عندما عاد كان النادل يلحق به عن قرب ليضع كوبي عصير الليمون البارد على الطاولة. قال لها: «الآن، دعيني أخبرك ما هي قصة كيس الطحين.» قالت اليكس: «لا تزعج نفسك، أعرف لقد فشلت في الامتحان. لا حاجة لأن تعيرني بخطأي.»

قال: «ليس في نيّتي أن أعيرك بشيء. لقد رأيت ما حدث. كنت هناك أتذكرين؟ لكن لا تستمري في وضع اللوم على الصبية الذين كنت توبخينهم بعنف. لقد كانوا يقومون بما يفترض أن يقوموا به تماماً في الابريقادو.» قالت اليكس بهدشة: «كانوا ماذا؟»

«الفكرة هي أن يبذل المشاهدون قصارى جهدهم لكي يحطموا دائرة الفرسان ويجعلوا أحد الثيران يقرّ أنهم يستعملون عدة وسائل مهما كانت، أصوات، قذائف غير مؤذية، مواجهات شخصية إن كانوا مجازفين حمقى. لقد كان ذلك مجرد كيس من الطحين، يا اليكس وليس بالأمر الهام. لقد تفاجأت ريزي. هذا كل ما في الأمر. ولم تصب بأذى.» سألته بيرود: «لماذا لم تحذرنني إذا؟ ألم يكن ذلك نوعاً من إهمال اللواجب؟» أظهرت جملة. «نوع من إهمال اللواجب.» ضبطاً كبيراً للنفس. كانت جملة «أيها الأبله اللعين.» هي التي ترددها في نفسها.

«لم يكن كذلك على الإطلاق. أردت أن أرى كيف تتعاملين مع الأحداث المفاجئة. وتحذيرك كان سيمنع تلك الفرصة. وما كان ذلك ليبعد نوعاً من المفاجأة ما كنت لتتوقعي ما حدث تماماً، حيث إن ريزي كانت ستعرض لتلك الطلقة.»

«الآن رأيت كيف أتعامل مع الأحداث المفاجئة.» رشف قليلاً من عصير الليمون وقال: «لقد فعلت، والآن دعيني أخبرك عن الحدث التالي.» وبجهد كبير استطاعت أن تبعد تفكيرها عن خيبتها الكبيرة وتتبع ما كان يقوله.

لن يكون هناك سيوف، ولا زهق نماء متعمد في حلبة الثيران. وعلمت اليكس أن الهدف من المنافسة بين الإنسان والحيوان هو نزع عقدة شريط القبعة وهي راية حمراء مثبتة إلى سلك بين قرني كل ثور. لكن ذلك لم يكن انجازاً بأي شكل من الأشكال. كان الأمر يتطلب أقصى درجات اللياقة البدنية، وإن كان ذلك غير كافٍ، فالشبان الذين في الحلبة هم من سيتأذون وليس الثيران.

جلسا إلى أن علا الغبار من جراء عدو الجياد والثيران في جولة ثانية، ثم شفاطريقهما نحو حلبة الثيران. هناك، وبالرغم من شعورها بالاحباط، وجدت اليكس نفسها وقد حملتها الاثارة إلى مراقبة الجموع فيما دخل المتنافسون إلى الحلبة، وقام كل واحد بدوره بأكثر المحاولات استعراضاً وجرأة لاسترداد عقدة شريط القبعة. كان هناك حاجز مزدوج حول الحلبة. وقد اندفع ثور مهتاج مرة أو مرتين وقفز إلى الحاجز الداخلي وراء المتباري ليقوم بدورة داخل الممر الضيق قبل أن يعود ثانية إلى ساحة المواجهة.

كان الهواة يُدعون لتجربة مهاراتهم بعد المحترفين، وكان الشبان الذين استطاعوا انزال اليكس عن ظهر حصانها هم أول الوافدين إلى الحلبة.

قالو الماركوس بصوت عالٍ: «وأنت أيضاً، أيها الانكليزي.»

فرد عليهم قائلاً: «هل هذه دعوة؟» ونهض وسط بهجة الجموع.

اعترضت اليكس قائلة: «انك بالتأكيد لن تقبل ذلك الاقتراح المجنون؟»

قال لها وهو ينصرف: «انها دعوة ودية. أين اعتزازك القومي؟» وفي خلال لحظات كان قد أصبح داخل الحلية، وقد أعطي صنارة حديدية يستعملها كل متبار في محاولته لانتزاع عقدة شريط القبعة.

سرعان ما ظهرت بوضوح مقدار براعة الخبراء الكبيرة. ووجدت اليكس نفسها تمسك بحافة مقعدها وهي تراقب. وانهمز الهواة واحداً تلو الآخر وقفزوا إلى خارج الحلية. بقي هناك فقط ماركوس ورجل آخر. كان ماركوس هو الذي استحوذ على أنظار جموع المشاهدين بينما كان يلوح وينحرف جانباً في كل حركة يخطوها بدقة متناهية.

فجأة نمت عن الجموع صرخة بهجة. لقد انتزع عقدة شريط القبعة! وقفز في لحظة فوق الحاجز الداخلي ملوحاً بغنيمته، ثم عبر بخطوات واسعة الممر إلى الحاجز الخارجي وقفز من فوقه، وأسقط عقدة شريط القبعة بين يدي اليكس.

قال: «الغنائم للسيدة..» فيما كانت بشرته المتلألئة شاهداً على الجهد الذي بذله، كما كان حال شعره الرطب.

كانت اليكس تصفق وتبهج بصوت عالٍ مثل الآخرين، وعندما صرخ الشبان الذين أثاروا غضبها بشكل كبير قائلين: «يحييا الانكليزا!» أخذت تلوح بعقدة شريط القبعة وضحكت معترفة بذلك قبل أن تستدير نحو ماركوس

وانتابتها صدمة اسثمزاز حيث التقت عيناهما، حيث أدركت كم جرفتها الحماسة بعيداً. لقد أرادت أن يربح... فقد كانت فخورة به. عند ذلك سقطت على مقعدها، مدركة انها للحظة نسيت أمرين من تكون هي ومن هو ماركوس. وبدت صورة والديها وأختها الذين يتهمونه بصمت يقفون حائلاً بينهما. قالت بتهذيب مفرط: «أحسنت صنعاً..»

أجابها ببساطة: «انه الحظ، أعتقد أنه من الأفضل أن نعتزل ونحن ذائع الصيت.»

قالت: «ذلك أفضل من البقاء في المؤخرة.» نعم، كان ذلك أفضل. جعلتها هذه الطريقة بالتحدث معه تشعر بالارتياح. قال: «تماماً. وهناك أيضاً الوجبة الصغيرة التي سنتناولها عندما نعود إلى النادي. لا أريد أن أتسبب بمزيد من الإزعاج للموت.»

لم يتحدث عن مخطط اليوم التالي إطلاقاً وهما في طريق عودتهما إلى حيث تركا العربة، ومن هناك عادا إلى النادي. وعندما جلسا، إلى طاولة الطعام الضخمة مع ضيوف آخرين لتناول الطعام اللذيذ الذي أعدته هنريت والفطيرة المحلاة بالتفاح، تنبّهت اليكس لأصوات الثرثرة عندما بدأ ماركوس يتحدث إلى الشخص الذي يجلس إلى جانبه. ولاح الغد لها بمثابة علامة استفهام كبير. بدا كلامها الشجاع عن التعاون هذا الصباح فارغاً. الآن بينما هي تعتزم استئانة المال لتصل إلى بلدها وممن؟ أي شخص أفضل من ماركوس ويكفورد. لكنها لم تكن تتوق تماماً للاختيار. استدار ماركوس ناحيتها في نهاية الوجبة، سألها: «حسناً، ألم يحن الوقت بعد لتبدأي الاهتمام بمسؤولياتك؟»

غاب عنها اللحظة معنى ما قاله. فقالت: «ليس هناك الكثير لفعله، أليس كذلك؟» ثم توقفت لقد قال «مسؤولياتك» وبرقت عينها الخضراوان بالأمل. لكنها هل تجرؤ على تصديق ما اعتقدت أنها سمعته؟

قالت: «لقد قلت مسؤولياتي. هل يعني ذلك...» قاطعها قائلاً: «ذلك يعني الجوادين الذين تساعدينني في الاهتمام بهما حتى الوصول إلى انجلترا. ماذا أيضاً؟» غمرها الارتياح. سوف تكسب رحلة العودة ولن تكون في حاجة للاستجداء. قالت: «لكنني سقطت عن ظهر زيزي.» أجابها بتذمر: «لقد فعلت ذلك بالتأكيد. لو لم تفعل ذلك وتراجعني كما فعلت، لكان وزنك أسقطها أرضاً.»

«كان في إمكانك أن تخبريني في الوقت الملائم.» «لم أعتقد قط أنك لم تلاحظي أن ذلك ما كنت أعنيه.» تعالي! وأمسك بذراعها وأخذها بعيداً عن الطاولة.

في الحقل الصغير الظليل، بدا جوادا الكامارغ بلونهما الأبيض كالطيف. لكنهما تقدما نحو السياج حالما سمعا ماركوس يناديهما. وبدا انهما متشوقان للاستجابة لندائهما قال: «هذا هو لاسكو، لقد سمي كذلك بعد اكتشاف كهوف لاسكو حيث صور أسلافه تزيين الجدران.» فرك ماركوس أنفي الحصان الكبيرة ملاطفاً آياه، وقد اعتلت وجهه ابتسامة مليئة بالفرحة. ثم أضاف: «وهذه الفرس الوسيمة هي ميسترال.»

كانما هو الحب من أول نظرة قد وقع بينهما عندما ربتت اليكس على أنف الفرس الصغير الناعم. هزت الفرس رأسها وكأنها ترحب بها، ثم نظرت بعينين تشعان ذكاء إلى كل حركة تقوم بها. كان شعر عنقها ونيلها الأبيض الطويل

ساكناً، لكن اليكس تخيلت كيف سيتطاير عندما تعدو. لقد أحبت الجوادين بسرعة.

عندما لجأت إلى فراشها تلك الليلة. وأخذت تعيد وتعيد في رأسها ما حدث خلال النهار وكأنه فيلم مصوّر. وكان مشهد حلبة الثيران وماركوس بقامته الرشيق وجسمه الرياضي ملفتاً للانتباه بشكل أسر. سمعت صوته ثانية... حيث قال: «الغنائم للسيدة.» كفارس من القرون الوسطى بعد مبارزة السيوف.

قالت لنفسها، كانت تلك دعابة. لم يكن فارساً مستعداً لأن يتكبد المشاق من أجل حب جليل لن يموت. كان الرجل الذي يفتر بعيداً، الرجل الذي يختفي الحب عنده، عندما يرى أنه أزهر في أرض غير ملائمة.

كانت عقدة شريط القبعة الحمراء على الطاولة إلى جانب سريرها تلمع تحت ضوء أشعة القمر التي تدخل عبر النافذة. نهضت اليكس من فراشها وقد ضاقت نزعاً بأفكارها المفرطة ورمت قطعة القماش الحمراء في صندوق النفايات. يكفي هذا الهواء.

رغم ذلك، كانت بعد نحو ربع ساعة من الأرق تحاول وهي تكتم خجلها أن تسترجعها. انها في آخر الأمر مجرد ذكرى من مناسبة وليس من رجل. ليس هناك بالتأكيد أي ضرر من الاحتفاظ بها في ظل هذه الاصطلاحات.

كانت تشير في حينها إلى الثامنة وخمس دقائق، وسألها:
«ألا يوجد عندك ساعة منبهة؟»

تورّدت بشرة اليكس وقالت: «اني هنا منذ بعض الوقت». قال: «اذأ، لماذا لم تتناولتي فطورك بعد؟ عليك احضار الفطور بنفسك هنا، حيث المالمونت لديهم الكثير من العمل للإهتمام بالجياد خلال هذا الوقت من النهار.»

قالت: «اعتقدت انه ربما علي أن أنتظرك.»

قال: «لا حاجة في أن تسرفي في اتباع قواعد السلوك المذهب الصارمة.» نهض وسحب الكرسي المقابل له، ثم اضاف: «أجلسي، سوف اراجع معك وجهة سيرنا لليوم.»

قالت بعناد: «لقد سبق واتخذت لنفسي مقعداً هناك.»

قال: «اذأ، استبدليه.» وكانت نظرات عينيه الرماديتين الحادة تهدد بالمعاقب ان لم تطعه. فجلست وقد شعرت بالغضب يملأ نفسها.

جلس قبالتها يرتشف قهوته وهو ينظر اليها، بينما شغلت نفسها بوضع الزبدة على قطعة من الخبز لتمسح فوقها قليلاً من مربى الكرز، محاولة في الوقت ذاته أن لا تشعر بالتوتر الشديد.

قال أخيراً: «أعتقد أنه لا بد منه.»

نظرت إليه وسألته: «ما هو الأمر الذي لا بد منه.»

قال: «ان يكون هناك أمزجة تتناسب ولون الشعر.»

وضعت اليكس السكين محدثة قعقعة، والغضب يغلي في داخلها ثانية. قالت: «لو انك تعرف كم هو ممّل أن تسمى حسب لون شعرك. أتمنى لو...» وتوقفت فجأة عن الكلام والعرق البارد يتصبب منها. كادت تقول، أتمنى لو أنني ولدت

الفصل الثالث

جلست اليكس في غرفة الطعام، وقد أثارت شهيتها رائحة الخبز المحمص الطازج. وكانت تشعر بنوع من القلق لما قد تحمله الأيام القليلة القادمة. فوجودها مع ماركوس بمفردهما خلال طريق العودة سيكون مختلفاً جداً عن وجودهما هنا، لوجود أشخاص قد يزيلون أي توتر ينشأ بينهما.

كان شريط القبة الأحمر يشعل ضميرها. لقد استرجعته من سلة المهملات هذا الصباح، لأنها استسلمت من جديد بدافع الاحتفاظ به. قالت لنفسها انه سيكون بمثابة تذكير بأن من فاز به قد أشير اليه بالأحمر لخطورته.

شئت ان لم تكن قد تناولت الطعام، فأجابت انها تنتظر قدوم أحدهم. عند الساعة الثامنة تماماً، دخل ماركوس الغرفة، رجل قوي البنية بكل معنى الكلمة، مرتدياً سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً كحلي اللون، واتجه إلى المطبخ دون أن ينظر حوله، وعاد منه حاملاً فنجاناً من القهوة، واتخذ لنفسه مكاناً خالياً قرب باب المطبخ.

شعرت بالخزي لانتظارها شخصاً من الواضح أنه لم يفكر بها قط. انتظرت اليكس للحظة أو اثنتين، ثم اتجهت إلى المطبخ لتحضر لنفسها بعضاً من القهوة. لم ينتبه لها عندما مرت به، لكنه كان ينظر إليها مباشرة عندما خرجت. ألقي بنظرات ثابتة إلى عقارب ساعة الحائط، والتي

سمراء مثل ايلين، كانت على بعد أنملة من كشف سرها، الا أنها أنهت كلامها قائلة بفتور: «أتمنى لو أن الناس لا يفعلون ذلك. قد أغيرة إلى أي لون في العالم»

سألها باقتضاب: «أخضر، مثلاً؟ لا تكوني حمقاء. لو أنك منحت لون أوراق الزان في الخريف فذلك لن يكون فقط نذير شؤم، بل ستكون أعلى درجات الغباء ان تظاهرت بأنك تريد أن تستبداله بهذا اللون»

قالت: «أوراق الزان في الخريف! اعتقد أنك تقصد أنه جاف ومتكسر»
نظر إليها بعبوس وقال: «اعتقدت ان نساء القرن العشرين لا يتأثرن بكلمات المجاملة»

قالت: «وأننا اعتقدت أنني في حل من هذه الصفة»
نظرت عيناها الرماديتان في عينيها الحظوة وسألها: «هل سبق ان دعيت بالفتاة المغرورة؟ أو هل علي أن أقول اليكس المغرورة؟» وقبل أن تتمكن من اجابته، نشر خريطة على الطاولة بشكل مائل كي يتمكن كلاهما من قراءتها، وأضاف: «يكفي الكلام من دون جدوى. لقد حان الوقت لنبدأ بالعمل»
هذه هي الطريق التي أتمنى أن نقطعها اليوم»

أشار إلى الطرقات عبر أربلس وأفينيون إلى حيث يصلان إلى الطريق الرئيسي، ثم نحو الشمال قليلاً. وقال: «وفي حال سارت الامور على خير ما يرام، سوف نخلّف وراءنا الطريق العام من هنا في لوريال»

لاحظت أنه يملك يدين جميلتين، ونحيلتين، وأن أصابعه طويلة ومستدقة الأطراف. كانت أظافره مقلمة جيداً وقد أحسن الإعتناء بها جيداً أيضاً، ثم تنبّهت لما كانت تفعله ونكّرت نفسها بحدة من يكون هو. قد تكون يدها جميلتين،

لكنه يملك قلباً فاتراً وحقيراً. وأعادت انتباهها إلى ما كان يقوله وأخذت تحت تركيزها ليستعيد حيويته.

قال: «لقد اعطائي المالمونت عناوين لاتجه نحوها. ومن حسن الحظ أن اتصالاتهم الخاصة بركوب الجياد منتشرة في قسم كبير من فرنسا، لذا ان التزمنا بالبرنامج فاننا لن نجد أنفسنا مضطرين للبحث عن مكان نضع فيه الجوادين أو أنفسنا. لا أريد منك أن تقودي، لكن في امكانك الانتباه للخريطة والتأكد من أننا لم نحرف عن الطريق المرسوم عندما نخرج عن الطريق العام»

قالت: «حسناً»

قال: «هل حزمت امتعتك؟»

قالت: «حاجة بالتأكيد»

قال: «أه، سأفعل حقائبك»

قالت: «لا حاجة لذلك، فليس عندي حقائب في كل مكان اذهب إليه»

قال: «كما ترغبين، أحضريهم إلى الإسطنبول. لا حاجة لك لأن تبحثي عن المالمونت، سيكونون هنا»

كان الريح روف قد حمل برزم من التبغ وأكياس من العلف الخاص بالجياد، ومطرات بلاستيكية مملوءة بالماء. وضعت اليكس أمتعتها في السيارة ببعض الصعوبة، متنبهة إلى أن العينين الرماديتين تراقبانها، وهي تعرف أن ماركوس، الذي رأى بوضوح أن القليل من المساعدة قد يكون مناسباً، ما كان ليعرض عليها ذلك مرة ثانية.

سألها: «أتريدين امتحان ميسترال قبل الرحيل؟»

اجابته: «إن لم تكن على عجل»

قال بصبر: «ما كنت لأقترح ذلك، لو كنت على عجل..»
تحولاً عن الرينج روفر واتجها نحو الحقل حيث اسرجا
ميسترال ولاسكو اللذين بقيا هادئين.
عندما كانت اليكس على وشك امتطاء الجواد، قال
ماركوس: «إشارتين...»
تورد لونها وقاطعته قائلة: «هيا! اعتقدت أنني أثبت نفسي
بالأمس..» وارتفعت فوق صهوة الجواد بخفة.
نظر إليها، وقال: «انطلقى، اذاً..»

ضغطت اليكس بركبتها على جانبي الفرس الصغير،
وعلى الفور، انطلقت ميسترال بسرعة البرق، كما لم يفعل
أي جواد امتطته اليكس من قبل، متجهة نحو السياج وعادت
بسرعة نحو ماركوس، الذي تراجع بحذر انما ليس بسرعة
بعيداً عن طريق الزوبعة. شدت اليكس الرسن وعلى نحو
مفاجيء لا يقل عن مفاجأة انطلاقها، توقفت ميسترال
بطريقة جعلت عدم طيران راكبها من فوق رأسها معجزة.
قال ماركوس بنوع من الحنق: «الإشارتان هما: شد الرسن
بهدهوء وضغط الركبتين برفق. قد يكون من الحكمة في المستقبل
أن تأخذي الوقت الكافي لتصغي وتفكري قبل أن تتصرفي..»
قفز ماركوس إلى ظهر سرج لاسكو وسار به، بنعومة كالحرير
وكانت انطلاقه اليكس الثانية أفضل بكثير من انطلاقتها الأولى.
قال لها: «إن جياد الكامارغ سريعة الاستجابة حيث أخف
لمسة تكس ماذا تريدين. لا حاجة لأن تكوني قاسية عليها
كما قد تكونين قاسية على بغل عنيد..»

قالت اليكس بحزم: «أعتقد أنني سأتذكر هذا..»
بعد جولة لا بأس بها. دخل كلا الجوادين إلى العربة من

دون اعتراض. شعرت اليكس أنها قد بدأت تفهم ميسترال.
وتعهدت ألا تكون متسرة في تولي الأمور في المستقبل.
ودعا المالمونت شاكرين وانطلقا متجهين نحو آرلس.
سألها ماركوس بعدما قطعاً مسافة لا بأس بها: «متى عليك
العودة؟ لقد فكرت أن بضعة أيام من التأخير قد تعني أنك ستتأخرين
في العودة إلى عملك. هل يجب عليك الإتصال بالمستشفى؟»
أجابته: «ليس هناك من مشكلة في الواقع، ليس هناك
مستشفى في الوقت الحالي..»

نظر إليها مستفهماً. قالت بحزن: «المستشفى حيث كنت
أعمل قد أقفل منذ وقت قريب. القصة القديمة ذاتها...
الإفتقار إلى الموارد المالية..»

قال: «إذا أنت من دون عمل وكذلك خالية اليدين..»
أجابته: «لست خالية اليدين. اني فقط لا أملك الوسائل
التي تمكنني من الحصول على المال في الوقت الحاضر.
لكن نعم، إنني لسوء الحظ من دون عمل..»

أحست بنبرة الإستهجان في صوته عندما قال: «مستحيل!
لقد فقدت عملك، وتنتقلين في رحلة وكأن لا هم عندك..»

قالت اليكس ببرود: «ليس تماماً. لقد فكرت ملياً قبل
اتخاذ القرار. لكني كنت قد حجزت لهذه الرحلة مسبقاً، ولم
أجد سبباً حقيقياً لإلغائها، أو لأخيّب أمل أصدقائي الذين
كنت أرافقهم. وبينما أنا بعيدة فكرت كثيراً في مستقبلي.
وما زلت غير متأكدة مما سأفعله. ففي مجال اختصاصي قد
أجد فرصاً مناسبة في حقل الصناعة، الألعاب الرياضية
والتمارين الخاصة وأيضاً الخدمة الصحية. لا أنوي
التسرع في أي عمل، طالما أن تغييراً قد فرض علي..»

بقي صامتاً للحظة، يفكر، ثم قال: «إذاً تستطيعين فعل ذلك.»
قالت اليكس بحيرة: «فعل ماذا؟»
قال: «التفكير أولاً، ثم التصرف. وإن تعطي جواباً منطقياً دون أن تفقدي السيطرة على نفسك.»

استطاعت ببعض الصعوبة أن تجيبه بكلمات مشاكسة وأخذت تنظر بتصميم إلى الخارج من خلال النافذة.
قال لها بوجه جامد: «افتحيه إن كنت تشعرين بالحر الشديد.» أدركت اليكس، رغم أنها قد تكون سيطرت على كلماتها، أن احتقان الغضب في وجنتيها قد فضح أمرها.
سألته: «هل هذه أRLS التي نراها في البعيد؟ إذا كانت كذلك وجب علينا التركيز كثيراً، فالخريطة تبدو معقدة.»

قال لها ببرود: «أتمنى أن يكون في إمكانك إعطاء تفسير يدل على اطلاع أكبر للخريطة.»
قالت: «اسم المكان مذكور فوق الوسط. لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. إنني في حيرة ولا أستطيع سوى أن أقول يجب أن تتبع الخط ٥٧٠.»

قال: «إذا، من الجيد أن أحدهنا ليس كذلك.»
اقتربا من أRLS، المدينة الدائرية الحمراء الجميلة. وساد لصمت بينهما بينما كان ماركوس يقود بثقة عبر المدينة التاريخية. وأخيراً، أصبحت على الطريق المؤدية إلى أفينيون.
قالت باقتضاب: «أسفة. لم أكن بذى فائدة كبيرة.»

قال لها بهدوء: «على الأقل، كان لديك الحس لتبقي صامتة ولا تقمّي إلي تعليماتك الجنونية الخاطئة. إنني أعرف أRLS على أية حال. لكن في إمكانك إن رغبت أن تركز على أفينيون قبل أن نصل إلى هناك.»

انحنيت اليكس فوق الخريطة، للتركيز عليها، وقد انسدل شعرها إلى الأمام ليحجب وجهها. قالت بحذر: «أعتقد أنها تبدو سهلة جداً، على أي حال... سيكون هناك اشارات للطريق العام، أليس كذلك؟ وكل ما علينا هو أن نتبعها.»
مدّ يده ليبعد شعرها، ونظر إليها بشفقة قائلاً: «إنسي أمر الخريطة. لم التقِ امرأة في حياتي تستطيع قراءة واحدة، لنأمل فقط أنك تستطيعين القيام بأفضل من ذلك مع الجوادين، يمكنك أيضاً أن تلقي رأسك إلى الورا وتتركينني أتدبر أمري. سنتوقف عند أول محطة استراحة على الطريق العام لنستريح.»

القت اليكس برأسها إلى الورا وفكرت، أي قدر سيء جمعها بماركوس. أيمكن أن يكون هناك هدف ما؟ وجمال في خاطرها إمكانية القيام بأي نوع من الإنتقام من أجل ايلين. لن تحظى ثانية بمثل هذه الفرصة، لكن المشكلة كانت أن ماركوس ممسك بكل الأوراق. انه الرئيس. هو من يملك المال، ووسائل العودة إلى إنجلترا، بينما هي تعتمد عليه في كل شيء. لن يتردد، دون شك ان هي أغضبتة كثيراً، أن يتركها على قارعة الطريق. تلوّت وقد أحبطتها تلك الفكرة.
سألتها: «متضايقة؟»

فتحت عينيها دون ان تنظر إليه وقالت: «لا، أبداً. إنني متعبة فقط.»

كان عليهما أن يتوقفا في موقف الشاحنات عند محطة الاستراحة، تبادلا الأدوار في الذهاب لتناول وجبة طعام خفيفة كي لا يتركا الجوادين دون حراسة.
ذهب ماركوس أولاً، تحت اصرار اليكس. فيما فتحت

الباب على مصراعيه وجلست على درج الرينج روفر، وقد رفعت رأسها نحو الشمس المشرقة وأغمضت عينيها. «تأخذين جواديك في رحلة معك، أليس كذلك؟» فتحت عينيها لترى سائق شاحنة شاب بريطاني الجنسية يفتح غطاء العربا المتوقفة إلى جانبيها. قالت: «لست أخذهما بل إنني أعيدهما معي. انهما هدية من الساحل..»

قال: «هدايا رائعة!»

قالت: «ساحل رائع!»

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال: «لا بأس بذلك لبعض الوقت. كل ما أقوم به هو نقل حبوب الفطور..»

قالت مشيرة بيدها إلى السماء الزرقاء والشمس المشرقة: «أفضل من توزيعها في إنجلترا تحت المطر..»

قال: «صحيح..» واتكأ على غطاء عربته مهيناً نفسه للكلام: «ما اسمك؟ أنا أدعى غاري..»

قالت: «اليكس..»

ردت متأملاً: «اليكس... اسم جميل. أتريدين قطعة من الشوكولا؟» مديده إلى الصندوق وأخرج لوح شوكولا بريطاني الصنع معروف، وكسر منه قطعة.

نظرت اليكس إلى حيث مدون مكان الصنع وقالت: «لا أصدق هذا! أيهما جاء أولاً تفضيل الماركة أو الدعاية التلفزيونية؟» كانت تتناول القطعة المقدمة لها وهي تضحك، عندما ظهر ماركوس إلى جانب مقدمة الرينج روفر وتعابير الإستهجان تظهر على وجهه.

قال بفضافة: «لقد عدت، يمكنك الذهاب الآن..»

قالت دون مبالاة: «سأفعل في غضون دقيقة، ريثما أنتهي من تناول قطعة الشوكولا. هل سمعت عن سائقي الشاحنات الصغيرة وألواح شوكولا يوركي؟ هذه هي الأصلية..» قال بلهجة جارحة: «حقاً؟ لن تتأخري كثيراً، أليس كذلك؟» تجمدت اليكس. وبدأت عينا السائق تتنقل بينهما من واحد إلى آخر، وقد انفجرت أساريره لاستهجان ماركوس. قالت لماركوس: «سأعود بسرعة بقدر ما أستطيع..» أدارت له ظهرها لتستثنيها، طالما أن اهتمامه الوحيد على ما يبدو هو وضع حد لهذا المزاح المتبادل الودود. وقالت: «كم من الوقت تأخذ معك الرحلة إلى الشاطئ، يا غاري؟» أجابها: «إن سار كل شيء على ما يرام، سأعبر آخر تقاطع من كاليس الليلة. هذا يذكركني، أنه من الأفضل أن أنطلق إن كنت أريد القيام بذلك..» وتحنى جانباً بلباقة وهو يلوح بمرح. انتظرت اليكس لتلوح له مودعة، فقط لتصر على موقفها، ثم اتجهت إلى مبنى الاستراحة. عادت إلى السيارة بعد نحو خمس عشرة دقيقة.

كان ماركوس يقرأ صحيفة لا بد أنه ابتاعها من المحل. عندما صعدت إلى السيارة، مررها إليها، مشيراً إلى موضوع ذي عنوان شنيع عن قاتل هاجم مرة الطريق العام ويعتقد أنه قد يكرر جريمته.

قال باقتضاب: «أخبريني إن احتجت إلى ترجمتها..»

قالت: «لغتي الفرنسية كافية لتجعلني أعرف عما تتحدث، ولا رغبة لي لأن أقرأها بالتفصيل..» «عليك ذلك. فقد تقنعت أنه ليس من المستحسن أن تدعي غريباً يقلك عندما تكونين على قارعة الطريق..»

قالت: «لم تكن المسألة ان يقلّني من مكان إلى مكان. غاري مجرد سائق شاحنة بريطاني ودود وغير مؤدّب أبداً. أراد فقط أن يلقي التحية على مواطن من بلاده.»

صاح لها بلهجة ذات مغزى: «مواطنة. وحتى أشنع قاتل عُرف عنه انه يتحدث بمودة إلى جاره، تذكرني.»

«لقد كان يقدم لي قطعة من الشوكولا فقط!»

«ألم يحذرك أحد من قبل ألا تقبلي الحلوى من الغرباء؟»

قالت: «نعم... عندما كنت طفلة، انما الربما فاتك أنني لم أعد طفلة.»

نظر إليها وقال باقتضاب: «لم يفنتي ذلك.»

قالت: «ان استمررت بالتحدث في هذا الموضوع لمدة أطول سأبدأ بالتفكير ان يكون لدي سبب كافٍ لأن أخطر منك كما تعتقد انه يجب أن أخطر من غريب بريء تماماً.»

قال: «قليل من التعقل الحذر لن يكون خطأ. لقد سبق وأخبرتني بانني أعتقد انك تفترضين ان الأمور أسهل مما هي فعلاً قد يناسبك ذلك جداً. لكن في الوقت الحالي أنت في عهدي، وساكون ممتناً أن لم تتحدثي لكل رجل يكون على مقربة منك.»

سألته بحدة: «وهل تدرك كم يبدو ذلك فظاً؟»

قال: «بالطبع. لقد قصدت ذلك ليكون له تأثير معين.»

«حسناً، لا ضرورة لكل جهودك هذه. انني أعرف كيف أعنتني بنفسني. انني متأكدة من ذلك.»

سألتها: «وماذا يعني ذلك؟»

«ذلك يعني، أنني تدرت على سلسلة من صنوف الدفاع عن النفس، وان أي شخص يحاول التفكير في أن يجعلني موضوع مقالة كتلك المقالة الفظيعة التي اريتني اياها سوف يفاجئ حقاً. انني أؤكد لك ذلك.»

قال: «يبدو ذلك جيداً. لكنني أفضل ألا أرى برهاناً على ذلك.» أدار المحرك، مشيراً إلى ان الموضوع في ما يعنيه هو، قد سوي وانتهى. ابتعدا عن الموقف واتجها نحو الطريق العام ثانية بهدوء تام وقد بدا مهتماً في تفكيره بسلامتها كما هو مهتم بسلامة الجواوين.

سألته بعد دقائق: «ألن يجد ميسترال ولاسكو الحياة مقيدة قليلاً كمهرين أليفين. أعني... جيااد الكامارغ معتادة على العمل، أليس كذلك؟»

أجابها: «سيعملان عندي. انني أقوم بتربية الماشية.»

سألته: «هل أنت مزارع؟»

قال: «تبدن مندهشة.»

لقد كانت كذلك. فقد أخبرتها ايلين انه كان محاسباً، لكنها لم تستطع إعطاء تفسير لذلك.

قالت بلهجة غير واضحة: «توقعات أنك تملك اختصاصاً.»

قال: «حسناً، انني مزارع لبعض الوقت فقط. انها في معظمها هواية، تطلب جمع الماشية والتنبه لها عندما تكون منتشرة في الساوث دونز، سيكون عملاً كافياً لمنح ميسترال ولاسكو احساساً بالعزم.»

«إذاً، ان كانت هذه هوايتك، فما هو عملك الحقيقي؟»

أجابها: «الحسابات أو أخرى بي القول، التاكيد من ان الناس الآخرين يقومون بالحسابات بشكل صحيح. لدي شركة محاسبة ولها فروع منتشرة في جنوب الشرق.»

قالت: «ذلك يتناسب أكثر ونوع العمل الذي تخيلت انك تشغله.»

قال: «جاف وغير واضح؟»

سألته برقة: «من منا الذكي الآن؟»

رمقها بنظرة باردة وقال: «لا نكأ في ذلك. انني أفهم كيف تفكرين ليس إلا».

كان ذلك نوعاً من المواضيع التي لا تساعد على الارتياح. فعادت اليكس إلى الموضوع الأكثر أماناً، الحديث عن الخريطة، قالت له: «مفروق واحد بعد، نصبح بعدها في لوريال».

قال: «في هذه الحال، أقترح عندما نصل إلى فرع المالمونت في هذا المكان، أن نتوقف لتناول الغداء، وإن كان متأخراً، بدلاً من التوقف على قارعة الطريق».

قالت: «ذلك يناسبني».

قال: «حالما تغادر الطريق العام، احرصني على الانتباه إلى دكان يمكننا شراء بعض المعلبات منه من أجل صباح الغد. فستقفي بالغرض إذا لم يكن علينا الدوران كثيراً قبل العودة إلى الطريق مجدداً. لدينا ما يكفينا لليوم، لقد اعطتني هانريت سلة مليئة، يبدو وكأنها تكفي لإطعام اثني عشر شخصاً».

قالت: «أنت لا تعرف مدى شهيتي».

قال: «لو كانت تتعدى شهية متعافية، لما استطاع سروالك الخاص بركوب الخيل ابقاء نتائج ما يترتب عن ذلك مخفية».

طرفت اليكس عينيها، إنما لم تتكلم، لم تنتبه بالأمس إلى أنه كان يراقب أي شيء سوى قدرتها على الامتطاء. وصلاً أخيراً إلى مراكز امتطاء الخيل حيث كان عليهما أن يمضيا تلك الليلة هناك.

لقد استقبلا استقبلاً ودياً، وأرشدا إلى حقل حيث يمكن لميسترال ولاسكو أن يتركا بأمان لينطلقا في عدوهما على حريتهما. اعتذر صاحب المكان عن عدم توافر غرف نوم

خالية، لكنه عرض عليهما استعمال أي واحد من الحمامات الموجودة في المنزل للمدة التي يريدانها بين الساعة السابعة والثامنة في أثناء تناول النزلاء وجباتهم في غرفة الطعام، وأخبرهم عن عدة مطاعم في المنطقة، كما عدلها أماكن التسلية فيما لو رغبا في الذهاب لرؤيتها، ثم هرع إلى الداخل ليتركهما يهتمان بالجوادين ولينصبا خيمة.

فكرت اليكس، عندما شرعا القيام في أعمال مختلفة، في أنه من الأسهل الاسترخاء عندما يكون هناك عمل يجب القيام به. راقبا بمرح الجوادين اللذين كانا سعيدين لخروجهما من العربة ثانية، وقد أظهرتا ابتهاجاً مفاجئاً وأخذتا يعدوان في الحقل تغمرهما فرحة الحرية. كانت اليكس في الوقت الذي تبسط فيه طعام الغداء، قد بدأت تشعر بالراحة أكثر من أي وقت مضى. ووجدت نفسها فعلياً تتحدث إلى ماركوس دون أن تتمعن في كل كلمة تتلفظ بها. لا بد أن هانريت ذهبت إلى المدينة عندما حضرت طعام هذه الرحلة. فقد كان هناك فطيرة لذيذة بالبصل مع الكثير من عصير البندورة، والكثير من الخبز المحمص وأنواع متعددة من الجبن وسله ملأى بالفاكهة. أخرج ماركوس من حقيبة مبردة زجاجة شراب، وكانت أشعة الشمس المنبعثة من خلال أوراق الشجرة التي جلسا تحت ظلها عند نهاية الحقل، جعلت اليكس تتكلم على سجيتهما.

لذا عندما قال ماركوس فجأة: «تعرفين، انك تذكريني بشخص ما، لكن علي اللعنة ان كنت أذكر من» كانت كلماته كصدمة رهيبية. عرفت اليكس، على الرغم من أنها لا تشبه شقيقتها كثيراً، أن هناك التشابه المحتوم في التعبير، طريقة

العائلة المشتركة والمميزة في السلوك. هكذا أمور من الممكن أن تفضح المرء بسهولة كما التشابه في الشكل الخارجي. قالت بسرعة لتخفي ذلك بقدر ما تستطيع: «لا بد أنني أملك وجهاً من النوع الجميل عالمياً، فلطالما قيل لي إن هناك من تشبهني في مكان ما.»

كان يحرق بها بتجههم وبدت في عينيهِ الرماديتين نظرة تأمل. قال: «لا، الأمر لا يتعلق بمظهرك. إنه أكثر من ذلك، إنه نوع من السلوك الذي تتصرفين به، إن لم يبد ذلك سخيفاً يملكني شعور أننا قد التقينا من قبل... لم يسبق أن التقينا. أعرف ذلك، إنني متأكد. والا ماكنت لأنسى هذا الشر.»

قالت: «لا، لم يسبق أن التقينا. لقد ولدت ونشأت في سوسكس. هل أنت كذلك؟ ربما هو مجرد تشابه في النشأة.»

قال: «ربما كذلك.»

الموضوع بدا غير مقنع لكنه لحسن حظها غير الحديث.

وسالها: «أتريدين المزيد من الفاكهة؟»

أجابته: «لا أستطيع تناول شيء بعد.» وقفزت على قدميها، سعيدة للفرصة التي أتاحت لها التحرك من جديد وأضافت: «سأنظف هذه الأشياء.»

قال لها: «هناك زبديّة وماء في صندوق الرينج روفر. ساندبر أمر أماكن نومنا بينما أنت تقومين بذلك.»

لم تعر اليكس اهتماماً كبيراً لهذه النقطة، وبينما كانت تنظف الصحن، عرفت أنها لا يمكن أن تتشارك الخيمة مع هذا الرجل. إن كانت هذه فكرته فعليه أن يعيد النظر فيها ثانية. في إمكانها أن تفرغ السيارة من كل بالة شعير وكيس بندق خاص بالحياد وتنام هناك، أو تحت الشجرة. كانت

مستعدة لعدم التسبب بخلق صعوبات إلى حد معين، إنما مشاركته الخيمة فاق قدرة احتمالها.

لكن ما رآته عندما دعاها لم يكن خيمة، بل أرجوحتين شبكيتين مشدودتين من إحدى الأشجار إلى طرفي السيارة المتعاكسين.

دفع إحدى الأرجوحتين دفعة صغيرة مما جعلها تتأرجح بقوة وقال: «ها نحن هنا. من يحتاج لغرف منامة؟»

قالت له بحذر: «أولاً، ماذا سيحدث إن أمطرت السماء؟ وثانياً، لم يسبق لي أن نمت في أرجوحة شبكية.»

أجابها: «حسناً، إنها فرصتك الليلة لتكتشفي كيف تكون.

أما بالنسبة لتوقع سقوط الأمطار، ففي إمكانك نسيان ذلك. فإن الصحيفة التي اشتريتها، عن تعقل، تؤكد لي أن الطقس سيستمر مشمساً والسماء صافية حتى نغبر القنال.»

قالت: «لقد جعلني سماع هذا أشعر بالإرتياح. لكن أمراً ثالثاً خطرني الآن. ماذا يحدث إن تقلبت في النوم؟»

أجابها: «إما عليك أن تفعل ذلك بطريقة صحيحة أو تسقطين.» وابتسم لها ابتسامة صغيرة. فكرت بدهشة، إنها

المرّة الأولى التي يبتسم فيها لي مباشرة، ثم تابع قائلاً: «لم يسبق أن سقطت عن السرير، أليس كذلك؟»

أجابته: «لا، لكن السرير يعلو نحو أربعة أقدام عن الأرض، آه، حسناً، سوف نرى!» كانت تفكر بينها وبين

نفسها أنه إن نام ورأسه باتجاه الشجرة ستضع رأسها باتجاه الرينج روفر. لم تكن تريد أن تكون عيناها قبالة

عينيهِ تحت ضوء القمر. وكانت الصورة التي ارتسمت لها خيالية جداً لدرجة بدت معها مضحكة، الأمر الذي جعلها

تطلق ضحكة عفوية، فقال على الفور وقد علا التجهم

إحدى الأشجار. لم تكن على استعداد لتجربة الأرجوحة وعيناه الرماديتان الباردتان تنظران إليها بذهول.

كان الطقس حاراً جداً، مما جعل الحشرات الطائرة الفضولية تتواجد بكثرة. حاولت اليكس إبعادها بينما كانت تقرأ، وقد انتابها شوق كبير للبحر الذي خلفها وراءهما.

وقعت رأسها، وقد أثار انتباهها صوت لم تلحظه إلا عندما عم السكون كل شيء. مياه جارية. لا بد أن هناك ساقية بالقرب من هنا، أو ربما نهر. لا شيء تتمناه الآن أكثر من السباحة ليخفف عنها وهج الحر.

نظرت نحو الأرجوحة الشبكية. كان ماركوس هادئاً جداً، وقد غطت قبعته عينيه وجزءاً من وجهه. أخذت تنظر إلى صدره وهو يرتفع ويهبط بركة متأكدة أنه قد غط بسرعة في النوم.

اتجهت بحذر نحو الزينج ووفر وكانت حريصة جداً ألا تحرك أي شيء بطريقة قد تجعل السيارة تهتز، واستطاعت أن تخرج ثوب السباحة من حقيبتها. ثم، وبعدما رمقته بنظرة سريعة، اتجهت نحو بوابة الحقل وتسلفتها كي لا يحدث فتحها أي صوت قد يوقظ ماركوس.

أدى بها الممر بعيداً نحو الشمال عبر بستان فاكهة، ثم إلى بستان صغير آخر رأت عند نهايته بريق الماء. كانت النقطة التي وصلت إليها من النهر ضحلة، الأمر الذي فسر سبب سماعها صوته عن مسافة بعيدة. لكن عندما سارت على طول مجراه وصلت بسرعة إلى مكان حيث كانت الضفاف أعلى ومجرى النهر أضيق والمياه عميقة كفاية للسباحة، لكن ليس لدرجة منعها من رؤية الحجارة في قعرها. ولم يكن هناك أي منزل أو إنسان على مدى نظرها. وبدلت ثيابها بسرعة وغطست قليلاً في الماء.

وجهه: «ها هو ينتابني شائبة الشعور بأنني أعرقك.»
«أنتك تعرفني منذ نحو أربع وعشرين ساعة على الأقل.»
قال: «لا حاجة لأن تعالدي تذكرك. لقد بدأت تكونين طريقة تفريياً.»

قالت: «الم يخبرك أحد أن الفتاة لا يسرها أن يقال لها أنها نوعاً ما تشبه الكثيرات، وليست انسانية مميزة ولو كان ذلك مجرد افتراض؟»

أجابها: «لا، لكن على أي حال، قضاء أربع وعشرين ساعة معك أفدعتني أنه ليس هناك ما يسعدك بعيداً عن حيوان ذي قوائم أربعة من فصيلة الخيول. لذا أقترح أن تأخذ الجوادين في نزهة بعد ظهر هذا اليوم. سيؤدي هذا على الأرجح إلى خلاف أقل من المجادلة.»

قالت اليكس باقتضاب: «لا شيء أحببه أكثر من ذلك.»
وعادا إلى الميدان مرة أخرى. وكان الميدان مكاناً آمناً ليتولجا فيه، وفكرت، ليست الصداقة المريحة ولا المحادثة المسلية التي قد يتمتع بها النساء والرجال الآخرون متوافرة لرجل من عائلة ويكفورد وامرأة من عائلة ليورد. إن الفرق بينهما كالفرق بين الثريا والثري. الهرة والكلب، القطب الشمالي والقطب الجنوبي. سوف تيفل قصارى جهدها كي لا تنسى ذلك.

عندما عادا بعد ساعتين من الركوب على صهوة الجوادين، أمضيا الساعة التالية في الاهتمام بالجوادين وإطعامهما وسقيهما. استلقى ماركوس بعدها على إحدى الأرجوحتين الشبكيتين معلناً أنه سيأخذ قيلولة صغيرة. أخرجت اليكس من حقيبتها كتاباً وذهبت لتجلس تحت

كان ذلك منعشاً حيث أخذت تسبح بعكس حركة المياه الرقيقة، ثم عادت ثانية لتغامر في الابتعاد نزولاً مع مجرى المياه. اقتربت منها مجموعة صغيرة من البط. نظرت إليها بعيون حمراء وتابعت سيرها وكوفىء هدوؤها عندما طفت على ظهرها لفترة قصيرة، تاركة المياه تسيرها كما تريد، بوميض أزرق رائع ظهر عندما اندفع طائر الملاعب ظله كالسهم في جسمها وداخل نفسها عندما قررت أخيراً أن البرودة المنعشة قد تحولت إلى برد، فخرجت مكرهة من الماء حيث تركت ملابسها.

نسيت أن تحضر معها منشفة، لكن في الوقت الذي تكون قد قطعت فيه هذا البستان الصغير وتحت أشعة الشمس القوية تكون قد جفت وفي إمكانها ارتداء ملابسها من جديد. انتعلت حذاءها وجمعت أغراضها واتجهت عائداً نحو الحقل، كانت قد ارتدت سروالها وقميصها قبل أن ترى ماركويس يفتح بوابة الحقل ويخرج إلى البستان وينظر حوله. لم يتطلب الأمر سوى نظرة ثانية لمعرفة أنه كان غاضباً جداً. سألها: «أين كنت؟»

قالت: «أسبح. يوجد هناك نهر يبهج النفس.» قال بلهجة باردة أكثر من مياه النهر: «هل هو كثير أن طلبت منك أن تفصحي عن نواياك؟» أجابته: «لقد كنت نائماً. لم أفكر أنه من الضروري أن أوقفك، كما وأني اعتقدت أن الفكرة لن تروق لك.» قال: «هل تعنين أنك لم تفكري ولو لثانية؟ انطلقت بمجرد أن خطرت لك الفكرة.»

كانت اليكس قد اكتفت من ذلك. لقد آن الأوان لأن يوضحا

هذا الأمر بشأن ما تستطيع القيام به وما لا تستطيعه. فقالت: «هل هناك من سبب لا يجعلني أفعل ذلك؟ بدا أنه وقت فراغ، وكما أن الأمر يعنيني اعتقدت أن لي المبرر لأن استغله على هذا النحو. لم أدرك أنه يفترض بي مراقبتك وأنت نائم، وأخشى أنك لم تأت على ذكر تلك المهمة الخاصة خلال محادثتك الأولى.»

شد على فكه وقال: «إسدي لي خدمة وتوقفي عن قلة الاحترام هذه. اعتقدت أنني أوضحت لك هذه النقطة في وقت سابق من هذا النهار، لكن من الواضح أنك لم تدركيها. إني مسؤول عنك، طوال فترة عمك عندي، أريد أن أعرف أين أنت وماذا تفعلين، هل هذا واضح؟»

قالت: «ذلك واضح، لكنه غير ضروري إطلاقاً.» وبدأت اليكس بالابتعاد وهي تضيف: «لم أعم بحاجة إلى مربية منذ سنوات.» أمسك ذراعها ليووقفها وقال: «ولم تحظي بواحدة، لقد حظيت برجل يقدر تماماً مسؤوليتك.»

والثقت للحظة عينها بالخضراوين بعينيه الرماديتين قبل أن تحرر نفسها من يده.

قالت: «حسناً، سأوقفك في المستقبل من سباتك العميق لأطلعك على ما أنوي القيام به.»

فقال بحزم رقيق: «آه، لا لن تفعلي ذلك. تنتظرين حتى استيقظ قبل أن تقرري القيام بأي شيء.»

قالت: «حسناً، هل هناك شيء آخر؟» أجابها: «نعم. إن كنت تريدين انتهاء الفرصة لأخذ حمام فقد حان الوقت الآن للقيام بذلك. سوف أفعل أنا الشيء نفسه ومن ثم نذهب ونجد مكاناً لتناول الطعام.»

قالت اليكس بحماس زائف: «كم هذا جميل».

عاد ماركوس إلى الحقل قبلها، ولاحظت أنه قد ارتدى سروالاً رمادياً جميلاً وقميصاً قطنياً تتناسب معه. كان ذلك اللون الذي يوحي بالبرودة يناسب بشرته البرونزية وشعره الجميل، بينما عادت هي وارتدت السروال الأصفر والقميص الأبيض اللذين ارتدتتهما طوال النهار.

قالت، معلنة عما هو ظاهر: «لقد بدلت ملابسك. لم لاحظ أننا ذاهبان إلى أي مكان خاص».

رفع حاجبيه وقال: «لا أعتقد أن أي صديق من المالمونت سوف يرشدنا إلى مقهى نقال. وقبل أن تشني هجومك على مختلف الجبهات، لم أقصد بتلك الملاحظة أي انتقاد لما ترتدينه. بل ستبقين كما أنت».

فقال له بحزم: «أفضل أن أكون أكثر ملاءمة، لذا عليك أن تذهب وتراقب الجوادين لفترة قصيرة كي يتسنى لي بعض الوقت لتغيير ملابسي».

خطا بضع خطوات ووقف على مسافة بعيدة عنها وقد ادار ظهره لها.

بحثت اليكس في حقيبتها، وهي تعرف تماماً ماذا تريد. لقد اشترت ثوبين قبل العطلة ودفعت ثمنهما الكثير الكثير. إنما ما عرض عليها انها كانت قد لفتها ووضعتهما في كيس من البلاستيك داخل حقيبتها كيفما اتفق، ثم سحبتهما بعد يومين لتجدهما دون أي جعدة.

سحبت الثوب الأخضر ذي الياقة العسكرية وارتدته بسرعة. ثم انسلت إلى داخل الرينج ووفرت على المقعد الذي إلى جانب السائق وأخفضت المرأة بلمسة خفيفة، وعقصت بسرعة

شعرها إلى الوراء بمشطين من الطراز القديم. وأصبحت جاهزة بعدما وضعت أحمر الشفاه الباهت اللون والذي يتناسب مع لونها. نادى ماركوس وأخبرته بأنها جاهزة.

عاد، ورمقها بنظرة متمهلة من رأسها حتى أخمص قدميها. قال باختصار: «أنتوقعين الذهاب إلى الريتز؟» هل هذا اطراء أم إهانة؟ ما كانت اليكس لتحفل بذلك.

كان المطعم الذي وصلا اليه، بعد أن قادا عبر هضاب الفيركور الخضراء، يقع على جانب شديد الانحدار. وشاهدا من على طاولتهما على المصطبة التي كانت جدرانها مليئة بالبوغينفيليا، مناظر خلابة للقرية من الأسفل. هبط الظلام بينما كانا يتناولان طعامهما. انما المنظر الذي كانا يطلان عليه لم يكن أقل جمالاً حيث أضاءت الأنوار الوادي وكأنها انعكاس لنجوم السماء وقد تريت أشعة شمس المغيب الأخيرة، لترسم صورة ظليلة لقمم الجبل المغلول.

وبدا أن النادل الذي كان يقوم بخدمتهما تخطى في استنتاجه إلى انهما زوجان حقيقيان، ولم يقم ماركوس بأي عمل كي يبدد وهمه هذا. كان ماركوس يتصرف بجانبية واضحة ولطافة ظاهرة حتى ان اليكس نفسها وقعت ضحية ذلك.

بعدما تذوقا كل صحن من الأطعمة اللذيذة التي قدمت لهما، وتناولوا الشراب الذي اختاره ماركوس، بدأت اليكس تصبح أكثر ودودة. اليكس التي عرفها اصداقاً، لا المخلوقة السريعة الغضب التي هي دائماً في موضع الدفاع عن النفس الذي جعلها وجودها مع ماركوس ويكفورد تتحول اليه. تفاعل ماركوس حيال وجهها المتألق وعينيها الضاحكتين

واللامعتين بطريقة لم تجعل الخطأ في تحديد علاقتهما امرأ مدهشاً، ليس فقط بالنسبة إلى النادل، بل بالنسبة إلى الآخرين الذين جذب وجه اليكس المشرق عيونهم.

فيما هما خارجان من المطعم، كان زبائن آخرون يدخلون إليه فوضع ماركوس ذراعه حول اليكس ليبعدا جانبا. واشتدت قبضته حولها بدلاً من أن يفلتها، وادارها لتتظر نحو الوادي ليتمكن من أن يشير إلى شهب يسقط متالقاً عبر السماء. قال: «تمني! لن تحظي بفرصة أفضل!»

كانا لوحدهما الآن للحظة، وراقبا النجمة وهي تنطفئ في صمت. سألتها بركة: «هل تمنيت؟»

لم تكن اليكس قد كونت أمنية بعد فيما شعرت بحتين مبهم، ندم بأن جو العشاء الذي تشاركاه معاً كان زائفاً. وأنه كان على طبيعته، وهي انسانية ما كان يجب أبداً أن تكون عندها القدرة لتتظاهر بانها كانت مستمتعة برفقته، ولا حتى من أجل إنقاذ المظاهر.

نظرت إليه، وقالت بتمهل: «ليس تماماً.»

قال: «نلك يجعلنا اثنين. من الصعب التفكير في أية أمنية الآن، أليس كذلك؟ لقد كانت امسية جميلة. أشكرك على مشاركتك لي فيها.»

ثم، وبينما كانت لا تزال تنظر إليه، مأخوذة بأفكارها الحلو المرة، قريباً نحوه أكثر وقبلاً... وتركته يفعل ذلك. ومع احساس بالذنب ادركت أنها لم تبذل أي محاولة للإبتعاد، وتجمعت بين ذراعيه متصلة من الخجل. ماذا كانت تفعل؟ بماذا تفكر؟ وكيف استطاعت ذلك؟ سألتها: «أنتشعرين بالبرد؟»

قالت: «قليلاً، وأشعر بالتعب أيضاً.»

فكرت في ما بعد، بينما كانت جالسة بصمت إلى جانبه وهو يقود السيارة في طريق العودة. ان تلك اللحظات القليلة كانت الاكثر حماسة في حياتها. وفيما كان يعانقها شعرت ان هذا حقيقي. وليس ماضي العائلة البعيد بما فيه من مرارة وحقد. ولا الأذية التي عانت منها ايلين مؤخراً نتيجة لرفضه لها، رغم انها كانت خجلة من التفكير بذلك، ولا حتى الضرر الذي لحق بصحة والدها نتيجة لذلك، وكان ذلك أكثر الأفكار خجلاً منها جميعاً. لم يبد لها أي شيء أكثر واقعية من تلك اللحظة، واراقتها أن تستمر إلى الأبد.

لم يحصل ذلك، بالطبع. لقد انطفأت كما الشهب، وما هي الآن نائمة على ما فعلت، وقد تنبّهت كلياً لخيانتها النفسية لشقيقتها ووالدها. وشعرت أن ماركوس قد شعر أيضاً بالندم على ذلك التصرف. ما كان ذلك الا قليل من تأثير ليل ساحر سرعان ما يزول في آخر الأمر.

شعرت بالإرتياح بعدما عادا إلى الحقل المظلم حيث أبقيا مسترا لولاسكو وتمايلت بنعس قرب السياج، عندما قال ماركوس انه ذاهب إلى النزل ليسدد الفاتورة ليتمكن من الإنطلاق باكراً عند الصباح.

شعرت بفرحة كبيرة، عندما سقطت عن الأرجوحة الشبكية على الأرض الصلبة في أول محاولة لها لكي تصعد إليها. قالت لنفسها هذا هو المكان الذي ينبغي أن أكون فيه، سعيدة لأن أشعر بنوع من التعذيب، حتى ولو كان مزلياً. كانت محاولتها الثانية أكثر نجاحاً من سابقتها، وفي الوقت الذي عاد فيه ماركوس كانت مستلقية في

أرجوحتها الشبكية. لم تكن نائمة، بل بدت وكأنها لا ترغب بأن يزجها أحد.

سمعتة يتحرك حولها، يتحضر للنوم محاولاً بجهد ادخال ساقيه الطويلتين داخل كيس نومه. وبعد لحظة أو اثنتين قال برقة: «تصبحين على خير، يا اليكس». تمتت بكلمة تصبح على خير بشكل غير واضح، ومن ثم ساد الصمت المكان ما عدا صوت تنفس ميسترال ولاسكو بين الحين والآخر وحفيف لليل.

شعرت اليكس بالأمان ثانية. وهي كالشرنقة داخل كيس نومها، حيث عقلها وعيناها مغمضتان على سحر النجوم، ستشرق الشمس غداً وعندها سترين بوضوح تام إلى أين أنت تتجهين تماماً. وضائق شقتها بتصميم عندما فكرت، مع من.

الفصل الرابع

فتحت اليكس عينيها لترى ميسترال يدفعها برأسه نافثاً أنفاسه الساخنة على عنقها. مرت إحدى يديها من خلال كيس النوم، وفركت الأنف الأبيض قبل أن تدفع الجوار قليلاً بلطف بعيداً عنها.

لاحظت أن هناك حركة خلف الأرجوحة الشبكية الأخرى فسوّت وضعها بحذر لتتمكن من رؤية ما يجري.

كان ماركوس يرتدي ملابسه. فبقيت مستلقية بهدوء وتغعل وهي تنظر إلى انحناء ظهره الجميل البرونزي اللون بينما كان يرتدي سرواله الجينز. كانت ساقاه برونزيتين بلون ظهره وذات عضلات قوية. لقد نام من دون أن يرتدي ملابس النوم الذي كانت تأمل لو أنها فعلته لنفسها. لكن الآن وقد تنبّهت إلى أنها تختلس النظر إليه، أدركت أنها كانت لتلاقي الأمر نفسه لو أنها هي من نهضت من النوم أولاً. شعرت بسرور لأنها ارتدت ببيجامتها القطنية. إلا أنها استمرت في النظر إليه.

أصبحت مدركة تماماً لطبيعة شعورها فيما هي تنظر إليه، واندست في كيس نومها كي تبعد منظره عن عينيها. فكرت يائسة، آه يا ايلين. أية شقيقة حقيرة أنا. أعرف كل ما فعله لك وأجد نفسي على وشك الوقوع في حبه. ماذا جرى لي؟ أولاً ما حصل ليلة أمس، والآن ها أنا أرمقه بنظرات حب كأي متلصص. إنني جديرة بالازدراء.

قال: «هل أنت مستيقظة؟» كان يقف بالقرب من أرجوحته الشبكية، وكان عندها حرية الاختيار للنظر في عينيها، لكنها ما كانت تفضل أن تلتقيهما في الوقت الحاضر، أو أن تقع عينها على القسم الأعلى من جسمه الذي كان عارياً حتى خصره.

فركت عينيها وقالت: «الآن فقط.»

سألها: «كيف نمت؟»

تساءلت.

فقال بتهمك: «من الواضح، أنك لم تستيقظي منذ وقت طويل.»

تمتعت وهي تتصنع النعاس: «كم الساعة الآن؟»

قال: «إنها السادسة، لكن لا تومئني لإيقاظك، عليك بلوم ميسترال، على أي حال بما أنك استيقظت، لا فائدة من التريث. أعني... إن استطعت أن تفتحي عينيك.»

سار بعيداً، ومدّ يده لتناول كيسه الاسفنجي الذي علقه على غصن الشجرة التي كانت الأرجوحة الشبكية مشدودة إليها. وتدبرت اليكس امرها لتستطيع الاستقامة في جلستها وأخذت تتأمل خطواتها التالية.

سألته: «كيف تنزل عن هذه؟» أصابها الذعر عندما أخذت الأرجوحة تتأرجح بقوة.

نظر إليها نظرة ساخرة، وقال: «بالحكمة. الحركات المتهورة غير مطلوبة بالتاكيد.»

انتظرت اليكس حتى أصبح عند البوابة تقريباً، ثم حاولت أن تحرر نفسها من كيس النوم والأرجوحة الشبكية في الوقت ذاته. إلا أن الأرجوحة خانتها ورمتها إلى الأرض

على يديها وقدميها، وكيس نومها فوق ظهرها، قذفت به جانباً ونظرت بقلق عبر الحقل لتتري ماركوس واقفاً ينظر إليها من الجهة الأخرى من البوابة.

فصرخت قائلة، وقد اختفى كل شعورها نحو جاذبية مظهره: «هيا، أضحك. كان من اللائق أكثر لو أنك اعطينتي جواباً مفيداً لسؤالي منذ البداية، لقد فعلت تلك الأرجوحة اللعينة ذلك أيضاً عندما حاولت الصعود إليها ليلة أمس.» قال دون أن يظهر على وجهه أية تعابير: «ذكريني أن اعطيك شرحاً عنها الليلة، لم لاحظ أن في الأمر مشكلة.»

كانت غاضبة لعدة أسباب لدرجة أنها نهضت بسرعة لتقف على قدميها وقد نسيت كل شيء بشأن الأرجوحة لتجد وجهها قد علق في شباكها، وسمعت كلمات استنكار قادمة من فوق البوابة تقول: «وماذا بعد؟» لكن في الوقت الذي خلصت نفسها به كان ماركوس قد رحل.

جهزت نفسها بأدوات زينتها وثياب نظيفة، وسارت نحو البوابة لتتقرب بنفاد صبر عودة ماركوس.

عندما عاد، كانت ملائ بالحيوية وأنيقة في سروال الجينز وقميص مخطط باللونين الكحلي والأصفر الباهت، وكان مزاجها بارداً كما مظهرها. كان ماركوس حينها قد اسرج الجوادين. قال بلطف: «يمكننا أيضاً أن نجعلهما يعملان قليلاً قبل أن نغادر. وهكذا سيدخلان العربية برضى أكثر، وقد يحالفنا قليل من الحظ فنصل إلى مكان يقدم القهوة والفطائر الطازجة.»

قالت: «كما تريد. هل أقفلت السيارة؟»

أجابها: «لا.» ورمى لها بالمفاتيح ثم أضاف: «إنفعلي

لكنني اقول لك بوضوح تام إنني لا اريد أن يتكرر ما حدث.
من الآن وصاعداً، سنركز على الجوادين. إنك استخدمتني
للاهتمام بهما، ولا شيء أكثر من ذلك.»

كانت نبرة صوته تدل على الشفقة عندما قال: «لو كان
عندي ادنى فكرة بأنك سوف تسيئين تفسير قبلة عرضية
تقديراً لعدة أشياء مجتمعة كالطعام الجيد، المناظر
الخلابة، ورفقة بدت أقل ملأ مما كان متوقعا، لكنك
احجمت عن التسبب لك بهذه الكآبة الجديدة.» لفّ ذراعيه
حول صدره ووقف ينظر إليها ثم أضاف: «انك تعطين
أهمية كبيرة لأمر لا يعني سوى القليل جداً. صدقيني لو
كان لي جدة وكانت هناك لقبلتها.»

قالت: «لقد اوضحت وجهة نظري. استطيع أن أوكد لك
أنها ليست اسخف من الهرج الذي أحدثته أنت لابتعادي عنك
خطوتين. على كل منا أن يتعلم كيفية احتمال خصوصية
مزاج الآخر فقط.»

لكزت سرج ميسترال لكزة قوية، وقد نسيت كل تعليمات
الأمس، مما جعل الجواد الصغير ينطلق بسرعة. وعندما
أنهت دورة همجية حول الحقل وعادت إلى نقطة الانطلاق
قال ماركوس بحدّة: «لنأمل أن اتعلم القدرة على التحمل
اسرع مما تتعلمين أنت ركوب الكامارغ.»

لم يكن هناك جواب يفوق ذلك حيلة ودهاء، لذا اتجهت
اليكس نحو البوابة، وقد لمست ميسترال برقة فيما أفكارها
حول ماركوس عكس ذلك تماماً. على أي حال لقد اوضحت
النقطة حول أي فرص رومانسية قد يواجهانها خلال
وضعهما، وفكرت أن كثرة التهكم حول تلك الفكرة كما يفعل

ذلك، من فضلك، إن كنت ستضعين اغراضك فيها. بالمناسبة
شكراً على توضييك لوازِم النوم.»

«إنني هنا من أجل القيام بذلك، اليس كذلك؟»
كان ينظر إليها بتمعن عندما عادت إلى ميسترال وناولته
المفاتيح. قال: «هل عاودك اليوم شعورك السابق؟»
أجابته: «لا اعرف ماذا تقصد.»

قال: «آه، نعم. فعلت ذلك. لقد كنت الليلة الماضية انسانية.»
«لقد شربت كثيراً الليلة الماضية.»

قال: «دون ذلك، ما كانت الجياد البرية تستطيع أن تجعلك
تبتسمين، ولا أهمية للقبلة العرضية. كانت تلك السبب وراء
شعورك اليوم، اليس كذلك؟»

«طالما أنك أتيت على ذكرها، اني أفضل ألا يتكرر ذلك
الجزء الخاص من الليلة الماضية.»
قال: «لا مزيد من الشراب؟» وكان في امكانها أن تدرک
من بريق عينيه أنه كان يعتمد عدم فهم ما عنته.

قالت بحدّة: «لا مزيد من القبلات العرضية.» إن ارادها أن
تقول ذلك مباشرة، ففي إمكانه سماع ما يريد. وأضافت:

«لقد طرحت الشك في تعقلي بالتورط مع شخص لا اعرفه
خلال هذه الرحلة. حسناً، إنني رزينة كفاية لأعرف أنك اسأت
تفسير ما حصل الليلة الماضية. لقد أخذت على حين غرة
تماماً. ارجوك دعنا لا نسبب المزيد من الاحراج لكل منا.»
قال بتهكم: «حسناً، اطرحيني أرضاً... وأنا كنت أخدع
نفسي بأنك قد قبلتني فعلاً بالمقابل. أي اشكال غريبة قد
تتخذ السلبية المفاجئة.»

شحب وجه اليكس بسرعة، وقالت: «كن ظريفاً كما تريد،

هو أفضل من أن يأخذها على محمل الجد. فلا مزيد من العواطف الزائفة التي يحدثها ضوء النجوم وضيء القمر. مر بها وحث لاسكو على العدو سريعاً. وحذت اليكس حذوه. وجدا مقهى فاتحاً أبوابه في إحدى القرى التي مرا بها. فأوثقا الجوادين إلى مقعد ثابت في الفسحة الصغيرة. وبينما كانا ينتظران احضار القهوة على طاولة في الخارج، قال ماركوس: «في حال عندك أية هواجس، إنني لا أمارس هواية الإغواء عند تناول فطور الصباح». أجابته: «توقف عن ذكر ذلك الموضوع يا ماركوس. اعتقد أن كلانا يعرف السبب».

كانت الشمس قد أصبحت دافئة بينما أخذت الحياة تدب في المحلات والبيوت. أطلقت ميسترال فجأة سعة مزعجة فنظر كلاهما نحوها. سألها بتجهم: «هل كانت تفعل ذلك خلال ركوبنا؟» فكرت اليكس ثم قالت: «اعتقد أنها فعلت ذلك عندما انطلقنا فقط ووبخت نفسي لذلك، لأنني لكزتها بقوة لتتطلق». قال: «تنهي جيداً وتحققي إن استمر ذلك. هلا فعلت؟ فلا أريدها أن تمرض».

تابعا تناول طعامهما، والكثير من انتباههما موجه نحو الجوادين إلا أنه لم يحدث مزيداً من السعال. قالت اليكس: «آه، أنظر. محل البقال هناك، إلى جانب المخبز، قد فتح بابيه الآن. إن أحببت تستطيع أن اذهب إليه واحضر بعض الأشياء للغداء». قال: «سيوفر علينا ذلك توقفاً. سأدفع الفاتورة هنا بينما أنت تقومين بذلك».

وقفت تنتظر، محرجة، حتى نظر إليها. سألها: «ما الأمر؟ هل تريدين المزيد من القهوة؟ اعتقدت أنك انتهيت». قالت: «لا، لا أريد المزيد من القهوة. إنني... إنني احتاج لبعض المال. لا املك أي منها».

قال: «بالطبع ليس معك. تفضلي...» وأخرج أوراقاً مالية مطوية من جيب سرواله الخلفية وأعطاهما إياها ثم قال بتنمّر، وقد رأى كم جعلها ذلك تشعر بالارتباك: «ما من حاجة لتتضايقي. لقد نسيت. هذا كل شيء. اذهبي الآن». انطلقت اليكس عبر الساحة وهي تشعر وكأنها قد ضبظت وهي تتسول، وقد أدركت ثانية كم هي معتمدة على ماركوس ويكفورد. إنها لا تستطيع أن تشتري لنفسها قرصاً مهدئاً إن شعرت بصداغ في رأسها. يا له من وضع سخيف ومغضب. ابتاعت خبزاً وشرائح لحم فرنسية ونصف صندوق من جبنة الكامبيرت وحوالي نصف كيلو من المشمش ثم توجهت نحو ماركوس الذي كان قد عاد إلى الجوادين. أخبرته عما اشترته وقالت: «تساءلت هل اشترى بعض الزبدة لكنني اعتقدت أنها قد تذوب. ولم اشترِ أي شيء للشرب».

قال: «ذلك جيد. لقد احضرت زبدة ومربطات في صندوق مبرد في السيارة». قالت: «خذ بقية المال. لقد اعطيني الكثير، أكثر مما احتجت. سعر الخبز ستون فرنكاً، و...» قاطعها قائلاً: «لا أريد فاتورة بكل غرض. ضعي البقية هنا واحتفظي بها في جيبك، إن كان هناك متسع لها». ومد يده بشيء ما تجاهها، وعيناه تقيمان تفصيل سروال الجينز على جسدها بتناسق.

يحذر أخذت منه رزمة صغيرة، وقد غلفت باتقان بورق
أسود لماع وربطت بشريط ذهبي. سألتها: «ما هذه؟»
أجابها: «افتحها واكتشفي بنفسك.»

سحبت الشريط، وفتحت الورق لتجد محفظة جلدية
سوداء صغيرة ذات قسمين منفصلين ينفصلان بمشبكين
ذهبيين دقيقين. تفحصتها ثم نظرت إليه وقالت: «لم يكن
هناك حاجة لهذه. عندي جيوب ولا احتاج إلى محفظة.»

قال: «ضعي بقية المال الذي طلبته لتوك بمראה كبيرة
فيها، وهكذا فاني سأوفر على نفسي رؤيتك تتقدين
احمراراً غداً.» وبينما كانت لا تزال مترددة تنظر إلى هديته،
قال بسرعة: «شراء امرأة يتطلب أكثر من محفظة قيمتها
دريهمات، إن كان ذلك ما يدور في رأسك الصغير. ما
تحمليته بيدك هو عرض صريح لأنانية كاملة من جهتي.
فقد أصبحت الآن مسؤولة كلياً عن توفير مؤونة الغداء
خلال سفرنا، ولن يكون علي التفكير بها إطلاقاً. ولن يكون
علي أيضاً رؤية مظهر آخر من مظاهر الارتباك السخيفة
تلك. حسناً، هل ستقفين هناك إلى الأبد؟»

وضعت اليكس المال المتبقي في المحفظة ثم وضعتها
في جيبيها. والتقت عيناها بعينه وانتقدت احمراراً من جديد.
«آه، إرمي بتلك المحفظة للعينه بعيداً إن كان ذلك يشعرك
بالارتياح. إن ذلك لا يهمني حقاً لا من قريب ولا من بعيد.»
فيما تبعته على صهوة الجواد، اندخلت اصابعها إلى
جيبيها لتتحسس المحفظة الصغيرة وتجهمت ثانية. ماذا
سيقول إن هي أخبرتة أنه اعطى هدية لامرأة من عائلة
ليوارد؟ ما من شك أن الفتنة ستخف قليلاً. استقامت في

جلستها وحثت ميسترال برقة إلى الأمام لتقطع المسافة
التي اضاعتها خلال احلام يقظتها. من حسن حظها أنه لم
يعرف، وهي بالتأكيد لن تخبره.

سلط ميسترال مرة أو مرتين بعدما عادا إلى الحقل،
وبينما كانت تتناول كمية الفستق التي اعطيت لها. التقت
عينا اليكس بعيني ماركوس وقالت دونما اقتناع: «ربما
غصت ببعض الطعام.»

قال بفضاضة: «عنزة ولو طارت. اسدي لي خدمة. لا
تبرري ذلك. إن كانت الفرس ستمرض فإنها ستمرض،
ومهما نظرنا إلى الناحية الايجابية فذلك لن يغير شيئاً.»
التقطت اليكس اوعية الماء. إن كانت لا تستطيع قول
الشيء الصحيح، فالأفضل أن تقوم بعمل نافع. لكن تلك
الحركة أيضاً لم تلق استحساناً.
أخذ احد الأوعية منها وقال بلهجة فظة: «لا حاجة لأن
تسقطي شهيدة. ذلك لن يحسن الأمور أيضاً.»

قالت، وقد شعرت ببعض التبرير: «وكذلك تهجمك علي.» واتجهت
نحو الحنيفة في الباحة، حيث تبعها ماركوس في صمت مطبق.
عادا إلى الطريق العام وعبرا نحو خمسين ميلاً، وما زال
الصمت مخيماً عليهما قبل أن يتلفظ بكلمة أخرى حيث قال:
«أعتقد أن الاعتذار ضروري. هل ذلك ما تحتاجينه
لنعاودي الكلام ثانية؟»

قالت بسطحية: «لا، اني ادعك بأمان فقط.»

تحرك بغضب على مقعد القيادة. وقال: «حسناً. إنني
سلم بأنني لم أكن مهذباً معك هناك. أردت فقط أن يكون كل
شيء وفق ما خططت له عندما اعود إلى الديار مع الجوادين،

ولم يكن السير مع حيوان مريض ضمن مخططاتي». لم تكن اليكس لتهدر أية عاطفة تجاه الطفلة المدللة والزوجة «المناسبة» بالطبع. قالت بلهجة تعكس شعورها بدقة واضحة: «بالتأكيد لن يلومك أحد بسبب المرض؟» قال: «المسألة ليست مسألة لوم. ان هذه مناسبة خاصة جداً. حلم يتحقق اردته أن يكون حتماً مثالياً، وليس نصف كابوس». قالت بجفاف: «أنا خارج سربي، فأنا لم أحظ قط باحلام تتحقق على هذا النحو.»

قال: «وأنت لا ترين لماذا قد يتحقق ذلك لأي شخص كان، هل هذا هو الأمر؟»

قالت له بحزم: «أنظر، إنها على الأرجح ليست شيئاً خطراً لتقلق بشأنه. وإن كانت كذلك، اليس من المفيد أكثر أن تبحث عن طبيب يبطري بدلاً من المشاجرة حول ذلك؟» «صوت الحكمة. أنت محقة بالطبع.» وعندما نظر إليها هذه المرة بدا مستعداً لتبديل مزاجه. قال: «إذاً، افعلي شيئاً لتبعدي ذلك عن تفكيري. حدثيني عن عائلتك، عن صديقك، عن أي شيء. تكلمي فقط. لقد اكتفيت من الصمت.»

لمعت أضواء الخطر في رأس اليكس. العائلة. لم يكن يوجد الكثير من الراحة في ذلك الحديث. قالت محاولة صرفه عن هذا الموضوع: «إنها عائلة عادية. والدتي ووالدي يتمتعان بتقاعد مبكر، اختي متزوجة وعندها طفل. كلنا سعداء وقانعون. ويسعدني القول، ليس هناك من ممتلكات تذكر.» وانتقل بلطف إلى الموضوع التالي. حيث سألتها: «وماذا عن موضوع الصديق؟»

«لا حاجة للقول انهم جميعاً من الأطباء.»

«جميعهم؟ هل يعني ذلك أن ليس هناك من شخص مميز؟» قالت: «إنهم جميعاً يعتبرون أنفسهم مميزين جداً.» سألتها: «لكن أنت ألا تعتبرينهم كذلك؟»

اجابته: «لست في عجلة لأفضل أي شخص معين عن البقية.» ثم ادركت أنها كانت تضع الفرصة لتؤكد الفكرة أنها ليست حرة. فأضافت بزيغ كلي: «هناك شخص قد اكون مستعدة للشعور نحوه بجدية أكثر، لكن ذلك عليه الانتظار حتى أسوي وضع عملي.»

سألتها: «كيف يبدو؟»

اللجنة على الرجل وعلى اصراره! عليها الآن اختراع شخص. جالت فكرها بسرعة على تلامذة الطب والأطباء الشبان الذين تعرفهم، فوجدت نفسها غير قادرة إطلاقاً على اختيار واحد من المجموعة ووضعها في دور الحبيب الخيالي. كانوا جميعهم متشابهين جداً، يعملون بجهد، يلعبون بجهد، يتصرفون بصبيانية على نحو غريب، كل واحد منهم. يجب أن يكون الأمر إذاً اختراعاً كاملاً.

قالت: «إنه يكبرني سنأ. طويل جداً وعريض المنكبين، إنما بشكل متناسق تماماً. إنه جميل، وعيناه رماديتان و...» وتعلت كلامها وقد شعرت بالحرارة تخنقها عندما ادركت أنها تصف ماركوس نفسه.

قال باقتضاب: «البطل الرومانسي المثالي.»

قالت: «ليس تماماً. عنده التواء جذاب في أنفه حيث كسره ذات مرة بينما كان يلعب الركبي.»

قال بمرح: «من الجيد وجود انف مكسور. فقد بدا الفتى مثالياً بشكل خيالي جداً حيث لا يمكن للكلمات أن تصفه. والآن ما الذي يضحكك؟»

قالت: «مجرد التفكير في...» وبحث بسرعة عن اسم ثم تابعت: «في امبروز على أنه مثالي.»

قال ماركوس بازدرء واضح: «امبروز؟ ها قد أصبح عنده عاهتان الآن.»

قالت: «اتعتقد ذلك؟» وتعمدت أن يبدو صوتها حالماً وهي تضيف: «إنه يعجبني.»

سكت من جديد وبقي كذلك حتى توقفا لاستراحة قرب شالون.

شربت ميسترال عندما فتحا العربية لينعشا الجوادين، فقد كانتا عاطشتين. وبينما كان كل منهما ينتظر الآخر

ليتناول القهوة في المقهى سمعا السعال الجاف من جديد. وكانت اليكس مقتنعة تماماً كما ماركوس أن الفرس

الصغيرة ليست بخير. ازداد الطقس حرارة أكثر فأكثر، وبينما كانت اليكس

تراقب المسافات الشاسعة التي يقطعانها تحركت بضيق محاولة أن تبعد الجينز عن ساقيهما، وكان ظهرها ما زال

يؤلمها قليلاً أيضاً، نتيجة للسقطة عن الأرجوحة. لم يكن يؤلمها معظم الوقت، لكن قضاء ساعات في السيارة جعلتها

تشعر بكدماتها. فاجأها ماركوس بالتوقف ثانية عند منتزه في غابة

بلييني. قال بتهذيب: «سوف ناكل الآن. لا أريد أن أكون منشغلاً عندما نصل إلى محطاتنا الليلية كي آخذ ميسترال

واري ما بها.» لم تكن رحلة ممتعة فكل واحد منهما كان قلقاً. وبدأت

اليكس تتساءل كم من الوقت سيضاف إلى رحلتها إن كان

عليهما الانتظار ريثما تخضع الفرس للعلاج. كانت تعرف انه لن يسمح لها بنقل جواد مريض عبر القنال.

لقيا صعوبة أكثر في إيجاد مركز الفروسية الذي كانا متوجهين إليها. وعندما وصلا إليه، أعطت قراءة اليكس

للخريطة الكثير من علامات الرقض والاستهجان من ماركوس التزق. على أية حالة، لقد بدا مرتاحاً نوعاً ما عندما خرج من

المنزل الأبيض الطويل بعد ما تحدث مع رئيس المركز. قال وهو يصعد إلى مقعد القيادة: «اننا محظوظان. إن

الطبيب البيطري هنا الآن، يفحص جواداً يعاني من إصابة في مؤخرة قائمته فوق الحافر مباشرة وحالما ينتهي من

ذلك سيفحص ميسترال.» قالت اليكس ببساطة: «انني سعيدة للغاية.»

«وأنا كذلك، سنعرف على الأقل ما الأمر، وإن كان خطراً أم لا. لم يكن هذا اليوم أفضل أيامنا حتى الآن، اليس كذلك؟»

«طالما أن الأمور ليست خطيرة يمكننا نسيانها كلها.» لكن عندما خرج ماركوس والطبيب البيطري من عربة

الجوادين حيث تركا ميسترال بعد المعاينة، كان وجه ماركوس قاتماً. اتجه الطبيب نحو البوابة وعاد ماركوس

إلى حيث كانت اليكس تربت على عنق لاسكو. قال بتجهم: «انها حمى الخيل.» كان مرض حمى الخيل

مرضاً بغيضاً وخطيراً تصاحبه حمى والتهاب في الحنجرة، حتى أنه قد يكون فتاكاً.

قالت: «أوه، لا!» قال: «ما زال في مراحله المبكرة، ظاهرياً، لم يكن في

إمكاننا اكتشافه في وقت أبكر، كما أن الطبيب يقول ان جيا

الكامارغ قوية جداً ويمكنها مقاومة هذا المرض جيداً، وهذا أمر مشجع. لقد حققتها بحقنة كبيرة من دواء الالتهاب، وعلي أن أقود حتى منزله الآن لأحضار مزيد من الجرعات لأعطائها لها، حين لم يكن معه ما يكفي منها ذات الفعالية المطلوبة. سنخرجها ونفك العربية، ثم سنترك الجوادين وننتقل بسرعة.»

قالت اليكس: «يمكنني أن ادرب لاسكو بينما تقوم أنت بذلك. لا اعتقد أنه من المفترض امتطاء ميسترال قبل خضوعها للمعالجة، أليس كذلك؟»

هاجمها ماركوس قائلاً: «كم يتطلب منك وقتاً فهم أمر بسيط؟ لن تتجولي في منطقة غير معروفة بمفردك. لم أسمح لك بذلك مساء أمس ولن أسمح به الليلة، ولا غداً، ولا في أي وقت طالما أنت في خدمتي. هل أنت مصممة على الضياع أو الاغتصاب أو الاغتيال؟ ما بك؟»

«إنني ادرك بالطبع، ان قلقك الرئيسي هو على جوادك الغالي، لكنني اعتقدت فعلاً أنني أقدم عرضاً للمساعدة.» «لا تعتقدي أنك خدعتني للحظة واحدة. ما قصدته فعلاً هو أنك اكتفيت من السير على الطرقات في هذه الحرارة، صحيح؟ حسناً، أيتها العنيدة. لسنا هنا من أجل المرض، لا أريد في المزيد من القيادة أنا أيضاً، لكن يجب أن نفعل ذلك.» قالت: «ليس من قبلنا نحن الاثنين. إنني أشعر بصداق رهيب ولن أصدق إلى السيارة ثانية...» واسقطت نفسها على المقعد الطويل إلى جانب الحقل، وهي تحديق به. وأضافت: «أنتك غير منطقي إطلاقاً. يمكنك منعي من ركوب لاسكو إذا اصريت على إثارة هذا الهرج، لكن على الأقل في إمكاني البقاء هنا وإطعام الجوادين. إنني لا أحاول التهرب

من دون القيام بشيء وأنا متأكدة أن الجوادين لن يمسمها امتياج شديد ويدوساني حتى الموت. إذا كان ذلك هو البند التالي على لائحة عاداتك الرهيبة.»

نظر إليها نظرة حقيرة وقال: «الأمر الذي يظهر أي كارثة ممكنة على لائحتي هو فشلك التام في الإدراك أن هناك طوقاً معقولة في التصرف.»

قفزت على قدميها من جديد وقالت: «لا يمكنك أن تكون أكثر عقلانية من التقدم في سبيل التأكد من أنه في إمكانك التعامل مع المواقف الصعبة. كم مرة علي أن أقول لك إنني أستطيع الاعتناء بنفسى؟»

قال بلهجة ساخرة يتطاير من نبراتهما اللهب: «كل الفتيات أخذن دروساً في الدفاع عن النفس؟»

ردت عليه بسرعة: «كان مدرّبنا بحجمك. وقد حرص على جعل الأمر يبدو كدرس تعلم الباليه.»

أخيراً لم تعد اليكس قادرة على السيطرة على نفسها، وقالت: «حسناً، طالما أنك تعتقد أنك تعرف كل شيء، جربني. أنظر، اني ادير لك ظهري. أنظر ماذا سيحدث لك إن حاولت الإمساك بي.»

قال: «لا تكوني سخيّة. اختاري قتالاً مع شخص مثلك.» قالت: «خائف أن تفقد وقارك، أليس كذلك؟ أو هل أنت خائف من أن فتاة صغيرة تستطيع أن تؤذيك؟»

قال ببرود: «في الواقع العكس هو الصحيح.»

صرخت قائلة: «جبان! جبان!»

كان يقف هناك وقد لف ذراعيه حول صدره، وأخذ ينظر إليها وقد بدت مذهولة ومشمئزة في الوقت ذاته.

لم تكن تقوى على اجابته، ولم يكن عندها جواب لترو
عاقبه، كما انها لم تقع فقط في ورطة، بل كانت ضالقة أيضاً.
سار إلى أحد الجوانب، ثم مد يده ليمسك بيدها.
وقف ينتظرها حتى تسترد أنفاسها، حتى استطاعت
أخيراً أن تتلفظ بكلمتين حيث قالت: «ليس عدلاً»
زَمَ شفته وقال: «بعد التبعج والتظاهر بالشجاعة، ذلك
وفي الغرض، لسوف تعيشين مع مواقف كذلك. والآن ربما
استطيع متابعة الأعمال المهمة والانسحاب من هذه
التمثيلية التحذيرية السخيفة التي دبرتها.»

قالت بكلمات مخنوقة: «كان يجب أن تخبرني»

«اسدي لنفسك خدمة، عندما تتحضرين للهجوم في المرة
المقبلة، تأكدي أن مهاجمك لا يعرف شيئاً أكثر منك.»
تركت نفسها تسقط جالسة على المقعد الطويل، بعد ما انطلق
بسيارته هذا الرجل البغيض، لا بد أنه حائز على الحزام الأسود
في لعبة الجودو. لقد قذفها في الهواء وكأنها كيس من البطاطا.
أهضرت بنعلها على المقعد في غضب، ثم وجدت أن الصداق
لم يخفق قط، بل رجحت عليه حدة مزاجها.

حسبت هناك لفترة أطول، وهي تشعر بأسى كبير على
نفسها وبأنها أكثر من مجرد حمقاء صغيرة، ثم نهضت على
نسيها. لن تطعم الجوادين، إنها لا تشعر أنها قادرة على
قيام بأي شيء، ليس بعد.

رأت، من خلال الأشجار، المياه تتلألأ وكأنها إشارة
ضوئية تناديها. لكن ماركوس ويكفورد، الغبي، أخذ
مناعها معه، وهكذا فإن ثوب البحر خاصتها، في ذلك
لرينج روفر اللعين، ولا تعرف كم سيطول غيابها. وانتابتها

قال لها ببرود: «يبدو أن الصداق قد زال.»

قالت: «ذلك يحدث دائماً، عندما يظهر ألم أكبر من
الصداق. تعال، كن رجلاً فعلاً ودعني أبرهن لك أن ما تلفظت
به ليس سوى هراء. أنظروا، ولو بحثت بنزاعها في الهواء
وتطير شعراها فيما هي تحاول الدوران حوله وتظهرها ما
زال باتجاهه، ثم أضافت: «إنني لا أنظر إليك، على الأقل
أظهر شجاعتي لكي تخلص نفسك. لا أستطيع أن أسهل لك
الأمر أكثر من ذلك.»

قال: «حسناً، إذاً طالما أنك مصممة على أن تجعلني من
نفسك حمقاء.»

انتابها الخوف بعد موافقته المفاجئة، لكنها تستطيع
القيام بذلك. لم ترمي استاذها الأثقل منها وزناً أرضاً، وقد
اثني عليها وطلب منها أن تعيد عرض ذلك لتلامذة صفها
ثانية؟ قالت بشجاعة: «هيا، إذاً»

قال وقد بدأ صوته أقرب: «إني قادم، وسوف اقترب منك
إن أصريت على الوقوف وتظهر لي. عليك على الأقل أن
تستفيدي من معرفتك بأنني اتجه نحوك. إنني على بعد عشر
خطوات منك الآن، وأنا اقترب... واقترب...»

لمست يده نزعها اليميني، فتعالت على الفور وقامت بحركة
كانت تظهر بشكل حاسم كم كان مخطئاً في الاستخفاف بها.
بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تطير في الهواء لتحط على
ظهرها على مجموعة من الاعشاب الطويلة.

الأسوأ من ذلك أن ماركوس كان يقف متفرج الساقين
أمامها، وقد بدأ وكأنه لم يتحرك قط، وهو ينظر إليها.
«وكيف ستخرجين من هذا أيتها الحمقاء الصغيرة؟»

قال: «لا تجعلني من الأمر مأساة. لقد تأكدت أنك ستسقطين ارق سقطه ممكنة. إنك بخير على ما اعتقد؟»
قالت: «لا، شكراً لك.»

قال: «أفترض أنك لست مخبولة لدرجة ان تسيحي لو أنك تعانيين من أية تأثيرات موجعة على أثر... تجربتك.»

قالت: «لا يسمح لي تقريباً بالسباحة الآن، أليس كذلك؟»
قال: «عقاب أنزلته بنفسك. لكن لا تقلقي. مجرد غطسة صغيرة هي كل ما اريده. ولقد اكتفيت الآن. من الأفضل أن تخرجي من الماء أنت أيضاً.»

سبح نحو الضفة وخرج من الماء ثم ناداها قائلاً: «ألا تشعرين بالبرد؟»

بلنت اليكس جهداً كي لا تصطك اسنانها وقالت: «لا، اطلاقاً.»
كانت مياه النهر عميقة تجري بسرعة عند هذه النقطة، ورغم حرارة بعد الظهر فقد كانت تشعر بالبرد حتى عظامها. أخذ ماركوس وقته وهو يجفف نفسه. أخذت تسبح ذهاباً وإياباً، وقد حرصت على أن تبقى على الجهة البعيدة من النهر وهي تشعر بأنها ضعيفة ومتجمدة.

ناداها قائلاً: «حقاً، يجب أن تخرجي من الماء الآن.»
قالت: «ليس بعد. ارجوك لا تنتظرنني.»

قال: «ما من مشكلة. لست على عجلة للقيام بأي شيء آخر. لكنك حقاً يجب ألا تبقي لمدة اطول في الماء. سوف تتجمدين على ذلك إن اصبتي بالبرد الشديد.»

فكرت اليكس باشمئزاز، ليس بنصف الندم الذي سأشعر به ان خرجت من الماء وأنت تقف هناك تنظر إلي. آه، أي حقاً كانت هي! من سوى مغفل سيعتقد فعلاً أنها قد

موجة أخرى من الغضب. حسناً، لن يمنحها من السباحة لقد سيحت عارية من قبل وستفعل ذلك الآن.

كانت مياه آرمنون كالمرهم الشافي. لم تسبح اليكس كثيراً بل تركت نفسها تطفو لفترة قصيرة قرب الضفة، ثم أخذت تحرك قدميها في الماء اجتناباً للغرق، وعيناها مغمضتان لمجرد الاسترخاء.

إلا أنها صدمت بقوة، عندما سمعت صوت ماركوس يقول: «ما هو العمل الأقل وعياً من قبلك لتفعليه، وأنا واثق تماماً بأنني اعرف ماذا كنت تتوین القيام به.»

اصيبت اليكس بالذعر وكانت تختنق بالماء الذي ابتلعتها، ثم اتجهت سابحة تحت الماء إلى الضفة المقابلة حيث كانت هناك اشجار متدلية ولم تظهر إلا عندما اصبحت على بعد مسافة آمنة.

فعلت ذلك في الوقت المناسب لتري ماركوس وقد خلع ملابسه بسرعة، وغطس في مياه النهر ثم ظهر ثانية وقد قطع نحو نصف المسافة نحوها.

قالت بسرعة: «ابق بعيداً عني!»
«لا تقلقي. إنني لا افكر في تكرار التمثيلية.»
سألته بياس: «لماذا عدت بسرعة كبيرة؟»
أجابها: «لأن الطبيب البيطري يسكن على بعد مئتي ياردة من هنا.»

أخذ يسبح بتكاسل ذهاباً وإياباً وهو يراقبها. ثم أضاف: «لماذا تجلسين هناك بعيدة عني؟»
أجابته بحدة: «اني انأى بنفسني عنك. هل يفاجئك ذلك؟»

حرك قدميه في الماء حتى اصبغ على بعد سبعة أو ثمانية ياردات عنها فقط.

قد استوعبت بصديق وبشكل جيد هذين الدرسين العموم، القوة والخصوصية، والذي يبدو أنك لا تملكين أي منهما. ثم صار بعيداً من دون أن يضيف كلمة أخرى.

امتطى بعدها ماركوس لاسكو في جولة مسائية، مقترحاً أن اليكس قد ترغب في الاعتناء قليلاً بالجوارد ميسترال. وعندما عاد ماركوس كانت قادرة على التحدث معه دونما لبس للسيطرة على نفسها مع كل كلمة.

قال لها: «لقد استطعت أن اتدبر لنا مكاناً في المركز مع بقية الضيوف. لقد كان اليوم شاقاً، ولا اعتقد أن أياً منا قادر على البحث عن مكان آخر في المنطقة.»

توجهوا إلى غرفة الطعام عند الساعة الثامنة والنصف، وقد رحبت اليكس بفكرة الاختلاط مع أناس آخرين لفترة قصيرة. كان هناك عالمتان انكليزيتان غيرهما يمضيان عطلة في المركز، هكذا قيل لماركوس، وكان عليهما الجلوس إلى طاولة تتسع لثمانية أشخاص مع زملائهما. كانت ترتدي ثوبها الجلدي المفضل ذي الرسومات الجريئة والغامضة ذات اللون الأزرق الطاووسي وظلال من اللون الأخضر، مع سترة طويلة من القماش الأبيض الرقيق. وكانت قد ربطت شعرها إلى الورا بشريط أخضر عند مؤخرة عنقها، ووضعت حلقاً عنقودي الشكل يجمع ألوان الثوب.

عاد ماركوس أيضاً من الاستحمام بأناقة بسيطة، حيث ارتدى قميصاً قطنياً جميلاً بلون الشوفان وسروالاً أخضر اللون. وسحب لها الكرسي في غرفة الطعام لتجلس عليها وقد تلاً لأضواء المنبعث من المصباح المعلق على الحائط على شعره. كانت رفقة للعائلتين الانكليزيتين طيبة، عائلة من

تستطيع الافلات من هكذا نوع من الحقاقة؟ إن لم يقرر هذا الرجل اللعين العودة إلى الحقل، ستكون مجبرة على اخباره أنها لا تستطيع الخروج من الماء طالما هو واقف هناك. توقفت عن السباحة ونظرت إليه، وهي تتساءل إن كان وجهها يبدو ممتعاً كما تشعر به، وشحذت قوتها لتبلي باعتراقها السخيف.

إلا أنه تكلم أولاً فقال وهو ينظر إلى السماء: «هذه الشمس تتألق ثانية فوق الماء حسناً، اعتقد أننا نستطيع أن نستمر بهذه اللعبة لساعات قبل أن تستسلمي وتكوني عقلانية. إن أدبرت لك ظهري، هل سيحل ذلك المشكلة؟ وساكون رجلاً نبيلاً لدرجة أن أضع منشفتي في خدمتك...» وقذف بها إلى حافة الظهر وأضاف: «طيس معك واحدة، أو أي شيء آخر بالطبع، طالما أن كل ثيابك معي.» لقد كان يعرف ذلك طوال الوقت، فكرت اليكس بغضب. وقد ابتقت عينيها على ظهره بحذر فيما كانت تسبح نحو الضفة وخرجت من الماء بسرعة، وهي تشعر أنها معرضة للخطر بشكل بشع، لتلف نفسها بمنشفة البحر الرطبة. ارتدت سروالها وقميصها اللذين كانا يلتصقان بمنزق وهي تسحبهما على جسمها الرطب.

قالت بحقد: «اعتقد أن فكرتك هذه هي من أكثر الدعايات مزلاً في العالم.» قال: «إنها ممتعة جداً، موافق. هل يسعني أن استدير الآن؟ أو أنتي في خطر من مزاجك الثانية؟» قالت: «لا، أنت أقوى مني. لقد تعلمت ذلك للدرس.» قال: «جود.» ثم استدار ونظر إليها، وأضاف: «أتمنى أنك

ميدلاند افرادها اكبر سنًا من العائلة الأخرى التي قدمت من اسكس ومعها طفلان. والطعام كان ممتازاً. لم يسع اليكس إلا أن تلاحظ كم احب الطفلان ماركوس بسرعة، وكم كان هو لطيفاً معهما، فقد اخذاه عند نهاية وجبة الطعام لينظرا إلى المهرين اللذين كانا يعتبرانهما خاصتهما، لكنها لاحظت بسرور بأنه لم يسمح للصبي والبنت الصغيرين أن يفعلوا أي شيء أو أن يذهبا إلى أي مكان، كانت لديه سلطة طبيعية وسارة عليهما وقد اطاعه الطفلان دونما سؤال.

انتهى النهار، بكل ما فيه، أفضل بكثير مما مرّ به خلال معظم الوقت. وكانت اليكس مجبرة على التساؤل، إن كان الرجل الذي يهتم بالحيوانات يمكن أن يكون سيئاً كلياً، بينما كان يحقن ميسترال بأخر حقنة لليوم، وهي واقعة تحمل المصباح وتراقبه وقد بدت تعابير الاهتمام على وجهه. استعدا للنوم ونصب ماركوس الأرجوحة الشبكية، ولكن قبل أن تصعد إليها دس أنبوباً صغيراً في يدها.

قال: «ضعي من هذا على كدماتك. لم يكن عندي فكرة أنك سقطت سقطة مؤذية إلى هذا الحد عن الأرجوحة. كان يجب أن تخبريني.»

فعلت اليكس ما بوسعها لتجاهل الجانب المخرج في ذلك الموقف. وقالت: «إنها بسيطة. إن الكدمات تظهر علي بسهولة، هذه هي طبيعة بشرتي. لكن شكراً على أية حال.» «أنت أيتها الفتاة الصغيرة المضحكة...»

ثم فجأة رفرفت أجنحة ولمع وميض أبيض مرّ من فوق رأسيهما بارتفاع قدم أو اثنتين، فقفزت اليكس بتوتر. قال: «إنها مجرد بومة.»

تساءلت اليكس، بومة أو نذير شؤم... بدا لها أن توقيت طيرانها وهدفها المميت دون شك ينذرانها بوجود خطر محقق. خطر ساكن في افكارها، فيما قالت له بسرعة طاب مساءك وصعدت إلى أرجوحتهما.

تكررت في كيس نومها التماساً للدفع، وهي تحديق في النجوم المتناثرة في السماء المظلمة، وارغمت نفسها على التفكير فيما حدث خلال النهار، لقد أمسكت المحفظة الصغيرة السوداء عدة مرات ونظرت إليها بسرور. لقد تحول هكذا تصرف إلى مرارة في تفكيرها الآن. كيف استطاعت أن تشعر بالامتنان نحو رجل احدث هكذا مصيبة في حياة عائلتها؟ لقد اعتبرت نفسها دائماً الفتاة الواعية المدركة بينما ابليس هي الأخت الحمقاء والطائشة. لم تعد متأكدة الآن، عليها أن تراقب نفسها وألا تكون متأكدة من أي شيء، سواء اكان حباً أو كراهية. قد يمكن خيانة الحب، ألم تجد نفسها تقترب من الطريق الذي قد يؤدي بها إلى خيانة شقيقتها والديها؟

ادارت ظهرها لماركوس وانتظرت برزاة حتى يغلبها النعاس ويمحو الصورة الكئيبة وغير المرضية لنفسها والتي تعيش فيها.

فتتح جواز السفر ونظر إلى الصورة، ثم إليها وقال: «يا لها من جلية من أجل لا شيء». إنها صورة مقبولة. إنني لا أمزح إطلاقاً.»

فكرت للحظة، للحظة أمل يائسة إنها سوف تفلت بذلك لكنها رأت عندها عينيها تتجهان إلى الصفحة المقابلة وقال: «لا نكر لعلامات فارقة الآن، وإلا، ربما في هذه اللحظة بالذات عند نقطة اكتشاف...»

توقف عن الكلام، وعلمت اليكس أن لعبتها قد انتهت لقد رأى اسمها. لا بد أنه فعل ذلك. ماذا غير ذلك قد يعنيه الصمت المفاجيء؟ لا شيء أقل من معجزة يجعله لا يضع النقاط على الحروف الآن. انحنت بخوف، وأخذت تلتقط الملابس كيفما اتفق وتضعهم داخل حقيبتها، وكأنها في هذه اللحظة وقعت في ورطة، ورطة حقيقية.

بدا وكأن الصمت سيستمر إلى ما لا نهاية. لكنه تكلم أخيراً. سعت يسألها ببطء قاتل: «هل كانوا يدعونك يوماً بساندي؟» تركت حقيبتها على الأرض ووقفت لتواجهه: «كنت يوماً...» قال: «حال في بالي أنك ربما قد تكونين يوماً. لا تقولي لي، كان ذلك يوماً عندما كان اسم عائلتك مختلفاً أيضاً، أليس كذلك؟ ليس وارد فقط، إنما ليوارد. ساندي ليوارد. صحيح؟» أومأت برأسها إيجاباً، وقلبها يقفز من مكانه قلقاً وقد شلتها النظرة التي بدت على وجهه.

قال: «وشيء ما يحدثني أنك لست الأنسة ليوارد الوحيدة. عندك شقيقة، صحيح؟»

«عنا لا نتصرف بطريقة غير مشرفة يا ماركوس. من الواضح أنك تعرف أنني شقيقة ليلين.»

الفصل الخامس

إن كانت الأمور قد بدت سيئة الليلة الماضية، فإن القدر تدخل لجعلها أسوأ بشكل مؤكد قبل مغادرتهما مياشرة في الصباح.

تذكرت اليكس ساعتها، التي كانت قد وضعتها في حقيبتها وجعلت ماركوس ينتظر ريثما تبحث عنها بين ثيابها. وفي غمرة عجلتها، رمت الحقيبة دون أن تغفلها ثانية في الصندوق. حيث ارتدت وسقطت على الأرض وقد تناثرت محتوياتها بسرعة فائقة.

هرعت اليكس بسرعة مندفعة إلى الأمام لتلتقط الأغراض. وكان كل منها أولاً ألا تدع ماركوس يلتقط ملابسها الشخصية، لكنها رآته بعد ذلك يمسك كتاباً صغيراً لونه أحمر داكن، وترنح قلبها خوفاً. لقد كان ذلك جواز سفرها، وفي داخله اسمها بالكامل، اسمها الحقيقي. قالت بسرعة: «سأخذ هذا!»

وقف وابعده كي لا تستطيع الإمساك به وسألها: «لِم كل هذه العجلة؟ هل أنت خائفة من أن أرى صورتك البشعة على جواز سفرك؟»

قالت: «لا!» وحاولت أن تنتزعه من يده، لكن محاولتها باءت بالفشل فناشدته قائلة: «ارجوك لا تنتظر، إنها صورة مريضة!» وتسارعت ضربات قلبها وكأنه شيء هائج. قال: «انتن دائماً هكذا. وذلك ما يحدث التسلية.»

قالت: «اسمك، الذي لم تكن ليز تعرفه كاملاً»
قال: «ليست الأسماء فريدة».

قالت: «ولقد ارتني ايلين صورة لك».

«من المؤسف أنها لم تريني صورتك».

قالت ببساطة: «ها أنت أمامها، ولست في حاجة لأي تفسير اضافي
عن عدم رغبتني في استعمال اسمي الحقيقي. ما كنت لترحب بفكرة
السرمني، ولكنك عدت بمفردك إلى انجلترا، أليس كذلك؟»

قال: «بينما أنت، من الناحية الأخرى، كنت يائسة جداً
للحصول على انتقال مجاني لدرجة أنك قد تنحطين إلى
أدنى درجة للحصول عليه».

«ان كنت تذكر لقد حاولت المغادرة على الفور، بعد ما
عرفت من أنت. لقد كنت مشدوهة، كما أنت الآن».

قال بحدة: «مشدوهة؟ إنني غاضب جداً».

قالت: «حسناً، مهما أردت تسميته. كان علي التفكير على
النور، ولم يكن ذلك بالأمر السهل. لقد تمنيت لو أنك لم تلحق
بي ذلك اليوم. لقد كنت اتصرف بطريقة مشوشة نوعاً ما. ولا
تظن أنني استمتعت باليومين الماضيين».

قال: «حقيقة من أنت تلقي الضوء بالتأكيد على تحولك
من صديقة إلى فتاة متعجرفة».

قالت بازدياء: «اعتقد أنك تظن أنه يجب على كل امرأة ان
ترسم بنفسها عليك وتقول: نعم، ارجوك! حالما تشير إليها
ببنائك الصغير».

قال: «اعني، لقد صدمتني جداً تلك الجلبة التي اثرتها
حول قبلة عرضية».

قالت باقتصاب: «حسناً، إنك تعرف الآن. إنني شقيقة

قال بلهجة باردة وساخرة: «لكن هذه المعرفة جاءت
متأخرة جداً. عليك أن تعطيني بعض الوقت لأتمكن من
استيعاب ذلك. ربما عليك أن تبدأي منذ أول لقاء مشرف
وصل بيننا» مد يده نحوها، يداً ثابتة بينما كانت يدها
ترتجف. لكن عضلات وجهه المتصلبة كانت شاهداً على
مدى غضبه وقال: «كيف حالك، يا ساندي ليوارد؟»

كانت مصدومة جداً بالانهيار المفاجيء لخداعها الذي
كتمته بحذر لدرجة أنها مدت يدها نحو يده دون أي تفكير.
وبدلاً من أن تتلقى مصافحة ساخرة، دفعها بخشونة نحوه
بدل المصافحة وامسك كتفها بإحكام بينما كان وجهه
على بعد بضعة انشات من وجهها، وقسماته تلتوي من شدة
الغضب. قال بصوت بارد كالثلج: «حان وقت التفسير. لماذا
هذا التصرف؟ تخجلين من اسمك، أليس كذلك؟»
قالت: «لا ابداً. لكنني اعتقدت أن رجلاً من عائلة ريكفورد
ربما لن يجد ذلك أمراً مستساغاً».

نظر إليها باستخفاف وقال: «لا تختبئي خلف اصبعك».
قالت: «إنني لا أفعل ذلك. لقد اعطاني الجيل الحالي
دوافع كثيرة لأخذ الحذر».
دفعها بخشونة بعيداً عنه وقال: «أي حقيرة ماكرة أنت،
وحريصة على مصلحتك الخاصة».

قالت بحقد: «ذلك ليس منصفاً. لكي استحق ذلك الوصف كان
علي أن اعرف من أنت سلفاً. وصدقني، لو كنت اعرف ذلك، ما من
ظروف مهما كانت صعبة، كانت لتجبرني على المجيء إليك».
بعد دقيقة قال: «كيف حدث أنك متأكدة لهذه الدرجة أنني
أنا الرجل الذي عرف اختك العزيزة؟»

أيلون. ذلك أمر نسيت له اللحظة طائشة تحت تأثير ضوء القمر والشراب. إنما ليس تحت ضوء النهار.

صرخ قائلاً: «يا له من أمر جدير بالثناء، لكنني نسيت لمبادئ الاجتماعية. أخبريني كيف حال أختك العزيزة؟ تو هجت عينا اليكس غضباً، وقالت: «لقد تزوجت، عندها طفل رائع وهي سعيدة جداً بالتأكيد.»

قال: «أنتي سعيدة جداً لسماع ذلك. لقد نجحت أخيراً بعد زواج فاشل وعلاقة فاشلة. يبدو أن المثل القديم صحيح المرة الثالثة هي الثابتة.»

«كيف يمكنك قول شيء غليظ وبشع لهذه الدرجة؟» أجابها بالسرعة ذاتها: «كيف يمكنك أن تفعلي ما فعلت؟ لكن لست مجبرة على الإجابة عن هذا الآن. أليس كذلك؟ يظهر الجواب على بعد عدة أميال عند شخص عارف أختك في ظل ظروف لقائي بها. من الواضح أن فن المحادثة يجري في عروق العائلة.»

انتهت توضيب اقراضها من جديد في حقيبتها، ثم نهضت لتواجهه. قالت: «حسناً. لن نستفيد شيئاً من نيش الماضي افترض أنك تريدني أن اغادر بأسرع ما يمكن لسوء الحظ ومن أجل أن افعل ذلك، علي أن اطلب منك اقراضي بعض المال. يمكنك التصور كم اكراه القيام بذلك، لكنها تبدو الطريقة الأسهل للخروج من موقف بغيض لكليتنا.»

قال: «تدبرين ظهرك وتهربين؟ هل هذه ميزة أخرى في العائلة تتشاركينها مع أختك؟»

قالت: «إنك حقير»

قال: «وأنت نسيت امرأ.»

قالت: «لكنني متأكدة أنك ستخبرني ما هو.»

قال: «لقد عقدت معي اتفاقاً. لم يتغير شيء. ما زال عندي جودان وعلي أن أعود بهما إلى اتجلفترا. وما زالت في حاجة لمساعدة. هل تقولين لي أنك تتوين التراجع الآن عندما كشفت خدعك الصغيرة؟»

كان الآن دور اليكس لتقف مشدوهة... فقالت: «هل تقول لك سوف تستمر باستخدامي عندك؟»

قال بلهجة بغيضة: «من المذهل ما يستطيع الانسان تحمله عندما يكون الأمر مفيداً.»

قالت: «أنا، أنا لا أعرف كيف يمكن أن تجري الأمور.» قال: «إن كنت تتحدثين عن العلاقات، فأنا أيضاً لا أعرف. لكن فيما يختص بالعمل الذي بين أيدينا، فسوف نمر على استراتيجيات وسابغ القيام به، فلم يقل احد ان علينا أن نمتع أنفسنا. وسجدين بالنظر إلى ادائك حتى الآن أن الأمر مريح لتمكني من أن تظهرني كلياً استياءك لهذا الوضع.»

قالت اليكس بلهجة متقدة: «هذا أول توبيخ قاس.»

قال: «وافقك كلياً، إنما طالما نحن معاً، طالما علينا تحمل ذلك. لقد اخترت العمل عندي، لذا اقول علينا أن نضع هذه الفكرة في مرحلة التنفيذ.»

تركها لتضع حقيبتها في مؤخرة الرينج روفر وتتنضم إليه في المقدمة. بدأت كلامها عندما شعرت أن الصمت لم يعد محتملاً قائلة: «لو أني عرفت...»

«إسدي لي خدمة. لا تقولي شيئاً. احتفظي بكل ما عندك لنفسك، افتراضات، افكار واعتذارات بكل شيء.»

قالت بعنف: «ليس عندي ما اعتذر لأجله.»

ويستمع كل منا برفقة الآخر. وإلا فإننا سنجعل حياة بعض الناس الظرفاء محرجة جداً ومربكة.»

قالت اليكس بضجر: «أعتقد أنني أستطيع القيام بذلك.» قال: «اتستطيعين؟ بالطبع لقد مضى عليك يومان وأنت في ثوب التمرينات. أموت لأعرف أن كنت ممثلاً جيداً. على أي حال... تتطلب اللياقة أن نبذل بعض الجهد من أجل ذلك على الأقل. إذًا، لتعرفي القليل عنهما. تيم هو انكليزي الجنسية، وكريستين فرنسية. هو يملك الكثير من المال لدرجة أنه لا يعرف ماذا يفعل به، لكن بدلاً من أن يهرع محاولاً أن يسلي نفسه اشترى هذا المنزل الريفي الأيل للسقوط، الذي ما كان أحد ليمسه، وبمساعدة كريستين استطاعاً أن يعيداً ترميمه. انهما لا ينجبان، لكن أطفال الآخرين يجذبون نحوهما كما الحديد إلى المغناطيس، وكذلك الأصدقاء وأقاربهم، انهما شخصان من ألطف الناس الذين اعرفهم، ولا أريد أن يزعجهما شيء. هل ذلك واضح؟» قالت: «تماماً. أتمنى أن لا يكون لديهما سبب ليندما على حضوري.»

قال: «من الأفضل ألا تتمني فقط.»

أدار محرك السيارة بقوة وانطلقا عبر ضوء الغابة الأخضر المرقط.

بدأ أن المنزل الريفي الاسباني قد شيد وتآلف مع الأرض. كانت شجرة اللبلاب قد تسلقت فوق جدرانها الحجرية المزهرة وربطتها إلى الأرض حيث نمت الأوراق الخضراء. وكانت الجدران نفسها ترمي بوميض انعكاسها فوق مياه لخدق المائي. وغابة الزان تضمها جميعاً في جو الغابة

قال: «إني متأكد أنك تعتقدين للحظة أن عندك كما مع شقيقك، المتعة الشخصية تحتل المكانة الأولى فوق كل شيء آخر.»

«أعتقد من الأفضل أن ندع أختي خارج الموضوع.» «خارج الموضوع بشكل تام. لقد هربت مباشرة إلى عالم اميركا الملون الحالم، بناء على ما قلته أنت.» كانت نبرة صوته غاضبة جداً وهو يقول ذلك، بحيث عرفت اليكس انه ليس هناك من فائدة في الجدل.

بقيت العلاقات بينهما على ادنى مستوى، ما عدا اعلان موجز من ماركوس بأنهما سيمضيان تلك الليلة مع اصدقاء له في منزل ريفي صغير في غابة ليونز، وبعدما دخلا إلى غابة الزان الجميلة بقليل، قاد الرينج روفر إلى حافة الطريق وتوقف.

قال: «لم نصل بعد، لكن قبل أن نصل علينا ايضاح أمر. أعتقد أنه من الممكن، وربما من المستحب أننا سنبقى ليوم أو يومين مع تيم وكريستين، طالما ان كلا الجوادين يجب أن يخضعا لفحص الطبيب البيطري في ديبلي، وتأخير مع الاصدقاء سيكون أفضل بكثير من تأخير على المرفأ.»

قالت اليكس بهدوء: «إني ادرك ذلك.» «طبعاً، أنك الشابة التي تعرف كل شيء، أليس كذلك؟» قالت: «ليس كل شيء تماماً. ليس لدي حل، حتى الآن، كيف سنمضي بقية الرحلة في هذا الجو.»

قال: «تماماً. ذلك هو السبب بالضبط الذي جعلني اتوقف. إن اجبرنا على قبول ضيافة تيم وكريستين، أقل شيء يمكننا القيام به هو التصرف بأساليب متمدنة. وذلك يعني التظاهر المضني بأننا نستطيع تحمل بعضنا البعض

قال تيم: «ليكن اليكس». إذ يبدو أنكما تعرفان بعضكما
منذ زمن بعيد». ونظر إليهما نظرة يغمرها الاهتمام.
قال ماركوس ببرود: «يمكنك القول أن أشياء قديمة
تجمعنا». ونظر حوله ثم أضاف: «حسناً، أين الجميع؟ انك لا
تذكر المكان بمفردك أليس كذلك؟»

أجاب: «لا، هناك المجموعة المعتادة هنا، لكن هناك
الكثير من الغرف الشاغرة للجميع. ابنة عم كريستين
ورؤسها وأولادها من نانتيث معنا، لكنهم سيغادرون غداً.
جان بول شقيق كريستين، سيبقى هنا لاسبوع آخر. لقد
ذهبوا جميعاً إلى رول لقضاء فترة بعد الظهر، لكن التعليمات
حول تقسيم الغرف قد تركت مع ألبرتتين. ان قدت عبر الحديقة
عبر الاسطبلات يا ماركوس، يمكنك أن ترشد اليكس نحو
الطبخ حيث الرئيس. ثم توجه إلى الاسطبلات وسألقاك
هناك إنني متشوق لرؤية هذه الحيوانات التي تنقلها معك.»
قال ماركوس وهو يصعد إلى الرينج روفر ثانية: «هناك
نصة صغيرة حولهما لكنني سأخبرك بها لاحقاً.»

فيما قاد الرينج فوق الجسر إلى داخل الحديقة، قال
اليكس بلهجة خاصة لبقاها لها: «قطعنا أول عقبة. على
الأقل وجود رفقة معنا يخفف من التوتر قليلاً.»

نالت ببرود: «نعم، معرفة ذلك كان أمراً مريحاً جداً.»
سكت لوقت كاف حتى يصل إلى ألبرتتين التي خرجت
لتقابلهما، وهي تمسح يديها الملأى بالطحين بمنشفة، ثم
تركها مع مديرة المنزل، قائلاً إنه سيحضر المتاع لاحقاً.
كانت ألبرتتين امرأة بشوشة قطعت منتصف العمر، وهي
لرؤس الأمر ترغب في العلاقات العملية، الأمر الذي كانت

المشرق. فكرت اليكس أنها لم تر أجمل من هذا المكان في
حياتها، وحتى ماركوس قد تأثر به ليتحدث عنه.

قال لها بصوت شبه عادي: «قبل أن يأتيا تيم وكريستين
إلى المنزل الريفي كانت معظم الجدران غارقة في الخندق
العائي. ولم يكن هناك غرفة واحدة صالحة للسكن في
المنزل. كان عندهما قافلة من البيوت المتنقلة على عجلات
للعامل، الأصدقاء، والمساعدين ولهما في السنة الأولى.
كان ذلك منذ خمس سنوات. ان ما انجزاه منذ ذلك الحين هو
عمل خارق. ها هو تيم.»

كان هناك رجل نحيل القامة اسمر اللون، تدل ملامحه
على الذكاء، ينزل عن حصادة كان يقطع بها الأعشاب بين
الخندق العائي والأشجار. قدم نحوهما، فقفز ماركوس
إلى الأرض.

قال: «إذاً، لقد قمت بذلك، وفي الوقت المحدد. عمل جيد.»
تصافحا بحرارة، ثم ابتسم تيم وسأله: «ومن هذه؟ قم
بواجباتك يا ماركوس.»

قال ماركوس: «اليكس تساعدني في الاهتمام
بالجواردين خلال الرحلة. اليكس ليوارد... تعرف أيضاً
بساندي.» وعادت نظرات الحقد لترتسم في عينيه
الحائتين عندما نظر إلى اليكس قائلاً: «تيموتي هيوجر،
صديق قديم من أيام الدراسة.»

قال تيم وهو يصافح اليكس بحرارة: «مرحباً، يا
ساندي. يسرني أن ألقاك.»

«مرحباً. لكن أخشى أن لا أحد من اصدقائي يناديني
ساندي هذه الأيام. اني ادعي اليكس لكل من يهمه الأمر.»

الرحلات الطويلة، كم هو جميل أن تحظى بمكان خاص بها، عندما قرع بابها بعد لحظات قليلة وأعطاهم حقائبها بوجه متجههم، رفضت العرض الذي حمله إليها لتناول فنجان من الشاي، قائلة إنها متعبة وأخبرته بأنها تفضل أخذ حمام مريح قبل العشاء. أعاد تذكيرها بأن تتظاهر بالبهجة ثم استدار وغادر المكان دون أن يتلفظ بأي كلمة أخرى.

بعد أن استحممت، استلقت اليكس على سريرها لفترة قصيرة، تفكر في الوضع الذي وجدت فيه نفسها فوجدته مقيتاً، بعد وقت قصير نهضت لترتدي ثيابها.

ارتدت بلوزة حريرية طويلة فضفاضة خضراء اللون وسروالاً ضيقاً اسود، وعقصت شعرها إلى الوراء بشال مطبوع باللونين الأسود والأصفر الفاتح يتناسب وملابسها، ولتلات حذاء باليه صغيراً في قدميها.

فاز قلبها في صلابتها عندما فتحت باب غرفة نومها لتتهبط الدرج إلى الطابق السفلي، وفكرت في مواجهة عيني ماركوس الحاقدين من جديد.

لم يكن هناك شيء لتخشاه في الوقت الحاضر، فقد بقيت في بيوتها، ووليس ماركوس لملاقاتها وليرافقها في جولة في أحياء تجمع الأحرار على المصطبة الغربية.

كانت كريستين شابة سمراء ذات عينيّين بنيتين للون وجه ذي ملامح نكية ومتقلبة. رحبت باليكس بحرارة راسلتها إن كانت قد حصلت على كل ما تريده بطريقة انظهرت بكر معنى الكلمة بأنها مضيفة مثالية. شرح ريمي، ابن عم كريستين، بلغة انكليزية وأقية بالغرض أن زوجته ما زالت في الطابق العلوي تحضر الطفلتين لتصبحا جاهزتين

اليكس تواجهه عادة في المناطق الريفية، وقد زادت لهجتها الانكليزية الانطباع الفظ الذي ظهر مع سؤالها الأول.

قالت: «اسمحي لي يا سيدتي أن أسالك، أنت والسيد ماركوس حبيبان أم صديقان؟»

«لا هذه ولا تلك في الواقع، اننا رب عمل وأجير، رغم أننا نعرف بعضنا قبل الشروع في هذه الرحلة.»

قالت البروتين: «حسناً، إذا أنتما ترغبان بغرفتين للنوم، «بالتأكيد» قالتها اليكس موافقة مع تشديد جعل المرأة الفرنسية تضحك.

كانت الغرفة التي ارشدت إليها اليكس على الجهة الخلفية من المنزل الريفي وافترضت أنها تطل على باحة الاسطبلات، لأنها استطاعت سماع صوت ماركوس وتيم وهما يتحدثان في الأسفل.

اظهرت البروتين بوضوح مكان تعليق الملابس في الخزانة ذات النقوش الجميلة والمصنوعة من خشب السرو، وأشارت إلى المناشف الموجودة على مشجب المناشف القديم الطراز، وقلبت بنشاط زاوية شرف السرير الأبيض المطرز وفتحت أخيراً مصراع النافذة لتدخل أشعة الشمس وتنعكس على السجادة الصينية القديمة المصنوعة المزودة بالوان الخريف الدافئة، ثم خرجت قاصدة الطابق السفلي وهي تقول: «إن كنت تريدان شيئاً آخر، اطلبينه من فضلك»

انقلبت اليكس الباب وجلست مذهولة على كرسي محفور ذي ظهر عالٍ وهي ما زالت تعاني احساساً غريباً من الطرقات المنبسطة أمام عينيها، والذي غالباً ما تخلفه

الأمر الذي تحدث عنه كل الراشدين بكفاءة. كانت المحادثة مثيرة ووجدت اليكس نفسها تشعر بالاسترخاء.

كانوا قد بدأوا يتناولون الحلوى عندما احنت كريستين رأسها إلى الأمام لتتمكن من رؤية اليكس، وبعد أن رمقت ماركوس بنظرة سريعة قالت: «أخبريني، يا اليكس ما رأيك برجل لا يجد صعوبة في التفكير إطلاقاً بالذهاب إلى الكمارغ لمجرد أن يشتري حصانين؟ ألا تعتبرينه متهوراً؟» وفكرت اليكس، يجب ألا أقول شيئاً يظهر أنني اعتقد أن زوجته مدللة جداً وابنته قد أفسدت. قالت: «اعتقد أن ذلك يظهر مدى اهتمامه بزوجته وعائلته.» ساد صمت ملأته الحيرة، ثم اتجهت العيون نحو ماركوس.

سألته كريستين: «ماركوس، ماذا أخبرت هذه الفتاة؟» أجابها: «لا شيء، صديقاً. أخشى أنها تملك ميلاً إلى القفز نحو النتائج. إنني تركتها فقط تصدق افتراضها أن لدي زوجة مدللة، متطلبة تدفعني إلى إشباع رغباتها.»

أعطت موجة الاحتجاج المذهب اليكس وقتاً لكي تتغلب على صدمتها وارتيابها، وانتظرت لكي تخفت الأصوات قبل أن تقول له عبر الطاولة: «إذاً يا ماركوس، إنك تحقق رغباتك، لا رغبات الآخرين.»

لأنت كلماتها هذه موجة من الضحك، وتمتم جان بول فائلاً برقة: «أحسنت!»

تقبل ماركوس الأمر بشكل جيد، كما الآخرون، وأخذ يضحك معهم. لكن اليكس شعرت أنه ينظر إليها بينما تابع الجميع تناول طعامهم، وعرفت أن هذه البهجة الظاهرية تخفي شيئاً آخر تستطيع هي فقط قراءته بسهولة كبيرة في

للذهاب إلى السرير قبل أن تحضرهما لتناول العشاء. ثم قدم تيم معروفاً بجان بول شقيق كريستين الأصغر. رأت اليكس أن جان بول يملك جاذبية كبيرة جداً، عندما حثها على تذوق شراب جديد ومن ثم رافقها إلى حيث طاولة توضع عليها انواع من الشراب. كان اسمر البشرة مثل كريستين وعيناه تنتظران بتمعن لدرجة الاعجاب، إلى اليكس. لقد رحبت بالتغيير. أخبرها أنه يعمل في شركة عالمية ويمضي فترة لا بأس بها في المكاتب البريطانية. وطالما أن تيم وماركوس وكريستين كانوا غارقين في تذكر الماضي، اقترح أن يتمشيا في الطبيعة ولم يكن عند اليكس أي مانع للهروب من جوار ماركوس. دعا ريمي للذهاب معهم لكنه قال انه مشى كثيراً اليوم.

سنح الوقت لماركوس ليومس لليكس بينما كانت تهر إلى جانبه بعد أن عاها هي وجان بول من مزاياهما القصيرة قائلاً: «أرى أنك قد شفيت من تعبك.»

قالت اليكس وهي تبتسم بلطف: «نعم، إنه لمن المدهش كم يمكن للرفقة أن تكون منعشة وسارة.»

توقفا عن تبادل المزيد من التعليقات السخيفة عندما ظهرت تيريز، زوجة ريمي مع الطفلتين لتلقي التحيه على الجميع وعلى كريستين، تقريباً في الوقت ذاته قائلة: «إلى الطاولة، جميعكم.» تحرك الجميع بغير انتظام الأمر الذي أدى إلى انفصال اليكس وماركوس مرة ثانية حيث وجدت نفسها تجلس بالقرب من جان بول إلى الطاولة، وماركوس يجلس على الجهة المقابلة.

دارت المحادثة حول تعليم الفتياتين الفرنسية والإنجليزية

قال جان بول بلهجة ونونية: «يا لك من متناظر، يا ماركوس. لكن حتى التفتيات العاملات يسمح لهن ببعض الراحة. ستؤجل تزهدتا حتى تنتهي.» ورغم ذلك، قال بركة الأليكس، عندما تحول انتباه ماركوس نحو مكان آخر: «هل هذا الرجل غيور من اهتمامي بفتاته العاملة، هل تعتقدن ذلك يا عزيزتي اليكس؟»

قالت اليكس بسرعة: «بالتأكيد لا.»

قال لها جان بول: «إنذا، إن لم تكن غيرة، فانه سيء الطباع جداً. ما كان عليه أن يمنع تزهدتا القصيرة. غداً، عندما لا يكون عليك الاهتمام بجوانديه الثميتين، ستقر هاربين. موافقة؟»

قالت: «إنني متأكدة انه يمكنني القيام بذلك، وإنني أربح بك كثيراً.» وعاد ماركوس ثانية النظر إليها بعينيه الخافتين، فأضافت بسرعة: «والآن من الأفضل أن اذهب وأبل ملابسى، أن هذا الوقت يكاد يصعب أن يكون مناسباً للعمل مع حيوانات ذات القوائم الأربعة.»

قال لها جان بول: «بالتأكيد لا.» ضحكت له، ثم استأذنت وصعدت إلى الطابق العلوي لتبدل ملابسها.

رجلها ابتعدت عن الآخرين، استطاعت أن تطلق العنان لمشاعرها ناحية ماركوس. اللعنة على كل شيء، لو ان الحقيقة قد اعلنت. وتألعت بانزعاج للطريقة التي حاول بها عن عمد جعلها تبدو حمقاء على طاولة الطعام، وقد شعرت بغربة بسيطة للطريقة التي استطاعت أن تقلب الوضع عليه. أما فيما يتعلق بحكايته الخيالية عن الجوادين وضرورة تطييفها والاعتناء بهما، فليست سوى خبث بكل معنى الكلمة. لقد اعتقد أن هناك املاً في أن تمضي ساعة أو

عصافق عيتيه. ركزت اهتمامها على جان بول، الذي جمل بالتأكد تلك بالنسبة إليها امرأ ساراً جداً.

سألها: «هل تعرفين هذه المنطقة من قرنتسا جيداً؟» أجابته اليكس: «إنني بالكاد أعرفها. لقد امضيت بعض العطلات في بريتانى، وفي الجيوب، لكنني أخشى أن النورماندي هي جزء من القسم الكبير الذي لا أعرفه.» قال بجاذبية: «إنذا يجب أن نعالج ذلك. ربما ترغيبين بنزهة في السيارة في الغابة قبل أن يهبط الظلام؟ أعرف أنك امضيت معظم النهار على الطريق، لكن قيادة متمهلة بين الأشجار بسيارة مكشوفة والرياح تداعب شعرك، يجب أن أقول شعرك الرائع. سيكون ذلك بهيجاً، ألا تعتقدن ذلك؟» رأت اليكس أن ماركوس قد لاحظ لهجة الحديث الحكيمة، وشعرت بموجة من البهجة لأن رجلاً آخر قد يجدها جذابة بهذا الشكل العلني. قالت مؤيدة الفكرة: «تبدو هذه فكرة جميلة.»

قال: «إنذا، دعي الأمر لي.»

نادى جان بول ماركوس عبر الطاولة قائلاً: «ماركوس، يا عزيزي، انك لا تمنع أن اخذت اليكس لفكرة قصيرة، أليس كذلك؟ أريد أن أنتهز الفرصة لكي أعرفها على غابة الزان الجميلة التي عندنا.»

أجاب ماركوس بركة، قائلاً: «يا لها من فكرة جميلة، لكنني أسف، أنا واليكس لدينا عمل يجب أن نقوم به. يجب تنظيف الجوادين والعناية بهما ووضعهما في مكانهما.» نظر إلى اليكس وأضاف: «قد تخدعك بمظهرها المتأنق، لكنني أخشى القول انها فتاة عاملة.»

قالت بصوت عميق: «لك كل الحق أن تقدر تماماً متى يجب أن تنظف الجياد، حتى وإن كانا قد نظفنا تماماً هذا الصباح. لكن الشيء الذي اعتبره غير اعتيادي هو تظاهرك بأنك متزوج حتى تتمكن من ارباكي علانية. هل تعتقد حقاً أن ذلك كان ضرورياً؟»

أجابها موبخاً: «بقدر ضرورة قفزك إلى الاستنتاج أن لدي زوجة. كنت قد سئمت من افتراضاتك في ذلك الوقت. لقد استخدمتك بسرعة في هذا المنصب...»

قاطعتة اليكس قائلة: «هذه الفكرة لن تستمر طويلاً. إلا أنه تابع متجاهلاً مقاطعتها له قائلاً: «الذي قد اقصيتك عنه أنك تملكين براعة تجعلك تسقطين عن صهوة الجواد عندما يجفل ويثب، وتملكين ما هو محبوب أكثر من ذلك كله، استجارك أن لدي زوجة متطلبة. لقد تركتك تعتقدين ذلك. ربما فكرة زواجي الخيالية قد تجعلك تشعرين بأمان أكثر..» نظرت إليه بحقد وقالت: «أو أنت. رغم أنك كنت تقريباً نعت تأثير سوء الفهم بأنني سوف أرمي بنفسي عليك.»

ابتسم ابتسامة باردة وقال: «عدا عن مرحك اني اتساءل بشأن تلك النقطة لكن ذلك تحول ليكون سخافة وليس مكيدة.»

قالت: «استطيع أن أرى الآن، بإعادة النظر في ما حصل، وبعد هذا الإدراك المتأخر للحقيقة، أنك فعلياً لم تذكر قط أي شيء عن الزوجة التي اعتقدت أنها لديك. كان عندك كلام أكثر لتقوله عن موضوع ربيكا. لمجرد الحصول على معلومات صحيحة، هل هي موجودة فعلاً؟»

كفهر وجهه وقال: «إنك تعرفين جيداً أن ربيكا موجودة. لا تتلاعبي على ذلك الموضوع.»

نحوها من البهجة مع جان بول، فتدخل واحبط الفكرة. ارتدت قميصها وسروال الجينز ثانية، وتوجهت نحو الاسطبلات. قدفت وجهها في عنق ميسترال، تاركة مداواة الجواد الدافئة تذيب بركان الغضب في داخلها، ثم تنهدت وبدأت تمشط شعر الفرس بالمحسة.

لم ترفع نظرها عندما سمعت وقع اقدام ماركوس يدخل إلى الاسطبلات متوقعة أن يذهب مباشرة إلى مربي لاسكو، لكنه بدلاً من ذلك ظهر واقفاً إلى جانبها. قال باقتضاب: «سأحقن ميسترال بدوائها إن كان في استطاعتك التوقف للحظة.»

تراجعت اليكس إلى الوراء دون أن تتكلم.

تعامل بصمت بسرعة ومهارة في معالجته للجواد، لكن عندما استدار التقت عيناه بعينيها. سألتها بسخريّة: «أتشعرين بقساوة في تصرفي نحوك؟»

قالت: «بالتأكيد لا.» وعادت إلى تمشيط الفرس بالمحسة.

قال: «أليس هناك ما يزعجك إذا؟»

قالت: «ليس هناك ما يستحق أن اضيع الوقت عليه.»

وضع يده في طريق المحسة وقال: «إنني اشتري وقتك.

أنا أقرر ما يشمل مضیعة الوقت.»

انتصبت ثانية، وقالت بلهجة مؤذية كلهجته: «اعتقد أنك

أظهرت من دون ريب أنك الرئيس. من يستطيع ان يشك في

ذلك بعد هذه الليلة؟»

طوى نراعيه وأخذ يحدق بها، وقد ظهر في عينيهِ

الرماديتين الحادثتين بريق رضى وقال: «إذاً، لقد كنت على

حق. لقد امتعشت لأنك لم تمض وقتاً مرحاً مع جان بول.»

أجابته اليكس: «هل أنت الوحيد المستوحى أن يتكلم بالأمور، إذا؟ إن كانت قصة زواجك هي خرافة فلا تلمني لأنى أتساءل بشأن أبوتك أيضاً».

قال: «باني لم أدع الأبوة قط. إن كنت تريد أن تقول الحقيقة على نحو غير ضروري فستفعل. ربيدكا هي ابنة أخي. لقد توفي والداهما لذا فهي بمثابة ابنتي. ولا اعتقد أن بعض التخلييل هو في غير محله في ظل الظروف الراهنة».

أجابته اليكس باستهزاء: «ليس إذا كنت تتخيل أن الهدايا المادية تستطيع أن تحل مكان ما فقدته».

صرخ بوجهها قائلاً: «قد كنت أخبرك بذلك، ولم تكن اسألك رأيك به. إنك دائماً جاهزة بأجوبتك الذكي. ليس كذلك أيتها الأنسة التي تعرف كل شيء؟ يوماً ما سيخونك رجل ما تكفين عن الكلام هذا».

قيل أن تتمكن من التحدث قبئها. وانركت اليكس جيداً ماذا كان يفعل في اللحظات الأولى من الاستياء اللاذع كان يحاول أن يسري بسيطره رجولية صغيرة وضعاً لم يكن حبه بمفرده بالسهولة التي يتمناها. وحاولت اليكس عليه مقاومة أن تبعده عنها. لكن ما بدأ غضباً اتخذت فجأة زخماً وتحركاً خاضعين. فقد تحول الظلم إلى انفجار من العاطفة شديدة الاقتدار. حركت اليكس يديها كي تبعده، لكن لمرة واحدة فقط. حيث تجمدت بعد ذلك فوق دفة ككفيه فيما توقف وأبعدها عنه ليحدث في عينيها المتبهوتين. بدا وكأن ما من أحد منهما سيتحرك. إنما بعد ذلك قبلها ثانية، أخذت يدها تدلن في ثقلها حول عنقه. ولم تعرف إن كانت كلمة لا المحنونة التي تلفلت بها تعني، لا تفعل هذا، أو لا

توقف عن فعل هذا. كان كل ما عرفته أن الإرادة، الحب والاستقلالية على ما يبدو قد هجروها، وشعرت عندما ألتفتها أنها ضاعفة كخطئة صغيرة.

قال لها: «من المؤسف اني لن أكون موجوداً لأخبر ذلك المسكين كم يستطيع بسرعة أن يسوي مسألة سكوتك».

نظرت إلى وجهه الصارم العدائي، وروعتها فكرة أن كل تلك العاطفة الجياشة العنيفة يمكن أن تكون من قبلها هي أي نوع من النساء هي، لأن تعرق تحت تأثير هكذا مشاعر ننته أي رجل؟ انحنى وأخذت بالتعامل شديد تجمع كل معدات تنظيف الجياد.

سألها: «إنك على عجلة، اليس كذلك؟».

أجابته: «باني أضع هذه الأشياء في مكانها. فليس في بي بي القوام هذا معك سأتقي في الصباح الباكر غداً وأقوم بذلك حيث تكون قرصى الأزعاج أقل».

تجهت نحو الباب، إلا أنه سد عليها الطريق وقال لها: «لا نستطيع الذهاب الآن. من المفترض أنك تعملين، أنتنكرين؟».

كانت قد وضعت قليلاً من العبت مع رجل يسي ليكي. سوف أجوب بك حول غابة ليونز بنفسى.

قالت والكلمات تكاد تختفها: «وفي الحال سأقذف بك في الخندق المائي». ثم، وبدون أن تعي، عرت من تحت براعمه لتخرج إلى غرقتها.

الفصل السادس

دخلت كريستين إلى الاسطبلات في اللحظة التي كانت فيها اليكس تنهي تنظيف الأشياء في اليوم التالي.
قالت: «أوه!» وقد شددت على حرف العلة بلهجة فرنسية شفققة وتابعت قائلة: «الفتاة المسكينة! لقد أرغمها على العمل ليل نهار ذلك المسخ ماركوس!»
ابتسمت اليكس وقالت: «ليس تماماً. انني أنهي فقط ما تبقى من عمل ليلة أمس.»

أمضت كريستين وقتاً طويلاً في الانتظار تتحدث حتى انتهى تنظيف الأشياء، ثم دسّت يدها في ثوبها ليكس بينما كانتا تسيران باتجاه المدخل الرئيسي.
قالت: «يجب ألا تأخذي كلامه على محمل الجد. هذا الرجل الذي حاول أن يخادعك على طاولة العشاء مساء أمس، قد يتصرف مثل شخص أخرق صلب. انما في داخله شخص آخر طيب جداً سواء صدقت ذلك أم لا.»
أعطتها اليكس جواباً مبهماً، لكنها شعرت انها تعرف ماركوس أكثر بكثير مما تعرفه كريستين.

كان هناك، عندما وصلتا إلى غرفة الطعام، ينتظر لتناول انطور، وقد بدا عسكرياً صارماً يقميصه وسرواله الكاكي اللون ويريق الشمس يلمع على رأسه الجميل. قبلت كريستين على خديها، وألقى تحية الصباح باتجاه اليكس، إلا انه أبعد عينيه بسرعة عن عينيه.

ذهبت كريستين إلى المطبخ، وقد تركتهما معاً. سالها ماركوس ببرود: «كيف حال ميسترال هذا الصباح؟»
أجابته: «أعتقد انها تبدو أفضل حالاً.»

قال لها: «إذاً سوف نعطيها تمريناً خفيفاً. ان لاسكو يحتاجه بالتأكيد، والأرض هنا سهلة كفاية. أتريدين قهوة؟»
عادت كريستين وهي تحمل في يدها سلة ملأى بالقطائر الطازجة من القرن، وعندما انتهوا من تناول الطعام، عاد ماركوس واليكس إلى الاسطبل مباشرة.

كان الجواد الصغير سعيداً لتعافيه، وأخذ يتمختر بفرح على خطى لاسكو. لم يكن الكلام ضرورياً بينهما فيما كانا يتبعان الممرات الهادئة عبر الغاية. فقد جعل غناء العصافير، وأشعة الشمس المرقطة، الجو لطيفاً نوعاً ما، وكان لاسكو الذي كان يتبادلا أي كلمة تقريباً.
كان ماركوس هو الذي كسر الصمت أخيراً، بينما كانا يعلقان الأسرجة. قال: «أرى انك نظقت العدة.»

أجابته: «قلت اني سأفعل ذلك.»

قال: «سأحيتي ان لم أكن مستعداً للاقتراح. ميسترال والعسل مرتطبان في عائلتك.» وقد تسجييه أضاف: «لقد مهنتا دون أن يمتد لك أمر يجب أن تشكر عليه.»
تحملت الامتثال: «لقد سرت بذلك أكثر مني.»

«سأكون متقنة لتسمعي اني لا أنوي امضاء مزيد من الوقت معك اليوم. لقد طلب مني تيم أن أرافقه لنرى عادة ترميم منزله، قصر ايبورت. سنكون غائبين لمعظم النهار. ستمكنين من ايجاد شيء تقومين به دون ريب.»

فسأله عن غير قصد: «يوم عطلة؟»
قال: «إن ذلك يعني الآن، نعم.»

«في هذه الحالة، قرأني على الأرجح سأقبل العرض الذي قدّمه لي جان بول مساء أمس.» بدت على وجهه نظرة راعدة.
قال ببرود: «ربما جان بول عنده أشياء أخرى ليقوم بها.»
قالت: «إن كان عنده ما يقوم به، فسوف يقول ذلك. لكنه بدأ مساء أمس مثلهفاً جداً ليؤكد لي أنه سيرافقني في الفزّة التي وعدني بها في وقت لا يتعارض مع عملي عندك. ومما قلته لي الآن، يبدو أن اليوم سيكون مناسباً.»
قال بسرعة: «طالما أنك لا تجعلين من نفسك انسانية مزعجة جداً.» غادرت الاسطبل بسرعة وسمعت صوت شيء ارتطم بباب الاسطبل مصدراً صوتاً قوياً بعد ما ابتعدت بضع خطوات فقط. شعرت اليكس بنوع من الرضى الأثم وتمتعت لو أن الذي رماه يكون قد ارتد إليه وارتطم به.

قصدت كريستين التي قالت أن جان بول لم يظهر بعد، لكنها على وشك أن تأخذ له القهوة وستطلعه أن اليكس تريد التحسّر.

قرع جان بول وكانت ترتدي الثوب الفضفاضة نومها، بعد أن أنهت حمامها وانحنى على عضادة الباب فيما عيناه ملتهبا اياه كريستين. «خلابة» كانت أول كلمة تلفظ بها، أتبعها بسرعة. على كل خد، ثم أضاف بتعبير بارع: «في فرنسا يحتي الواحد منا الآخر هكذا.»

سأله بلهجة ساخرة: «هل تفعلون ذلك حقاً؟ اعتقدت أن هذه بلاد التصافح بالأيدي.»

قال: «أنا تفعل أشياء أخرى بالأيدي.» وأمسك بإحدى يديها ورفعها برقة إلى شفتيه، وعيناه تلمعان باحتيال كان من المستحيل إخفاءه.

قالت اليكس بأناة: «أتوقع أن عندك هدفاً آخر لتقرع على بابي. أكاد لا أستطيع التفكير بأنك هنا لأنك شعرت فجأة بدافع لتعلن عن مائة طريقة مختلفة في التحية.»

قال: «بالطبع. لقد أعلمتني كريستين أنك ترغبين برؤيتي. ألن تدعيني للدخول؟»

قالت: «نحن في إنجلترا لا ندعو رجالاً غرباء للدخول إلى غرف نومنا اطلاقاً.»

ضحك وأظهر عدم تصديقه عندما قال: «ماذا؟ اطلاقاً؟»
قالت: «حسناً، قلما يحصل ذلك. ولا يحدث ذلك بالتأكيد أن صدق وكاشوا رجالاً فرنسيين جموحين.»

قال: «كم أنتم معشر الانجليز غريبو الأطوار! إذا! هل سيسمح لنا بالهروب ليوم؟ هل رنّ قلب ماركوس؟»

قالت: «حسناً... لقد منحني يوم عطلة.»

سأله: «وماذا ترغبين أن تفعلي اليوم؟»

أجابته: «أي شيء تقترحه.»

قال: «هذه الفتاة تلعب لعبة وقالت: «أي شيء تقترحه نظرت اليك. يا حي المحلي، هذا ما قصدته، قلت أنك من سي النورماندي. هذا ما أرغب القيام به.»

قال: «إذا هذا ما سنقوم به. واني أعذك بامضاء وقت متع. بعد ربع ساعة؛ لأتناول فنجان قهوة فقط؟»
قالت اليكس: «سأكون جاهزة.»

كانت جاهزة بعد عشر دقائق، وقد ارتدت ثوباً قطنياً سويسري الصنع وقرطين ذهبيتين، ووضعت لمسات من الزينة على وجهها، وعطر وايت لينين.

كان آخر شيء تريده هو الارتطام بماركوس وهي تنزل الدرج. لكن هذا ما حدث بالفعل. توقف، قاطعاً الطريق عليها. ونظر إليها نظرة محارب وهو يتمعن بمظهرها جيداً. سألها: «هل أفهم من مظهرك أنك ستقومين بنز هتك؟» سألته بتهذيب: «هل هناك شيء آخر تريد مني القيام به؟» «من الجيد أن تسوية الأمر معك لا يتطلب وقتاً كثيراً.» احتفظت اليكس برباطة جأشها، وقالت له: «حسناً. ان كنت قد أنهيت كلامك. فاني أتمنى لك نهاراً جيداً.»

أمسك ذراعها بحركة سريعة وبسرعة جعلها تتجه صعوداً ثانية. قال: «ليس بهذه السرعة. أريد أن أتكلم معك.» وفتح باب غرفتها ودخل إليها ثم أقفل الباب وراءه. قالت بجفاف: «من الجيد ان جان بول لم ير هذا. لقد كنت أقتنع للتو أن لغرف النوم حرمتها.»

قال: «م: «انها قصة له.»

قالت: «آه، لقد -

منك.»

قال: «ان كنتِ على استعداد لتأخذي

أنصحك أن تطلقي العنان لجان بول. لقد سمعت. لا السنين الكثيرة حول طاقته النشطة جداً. لا...» رأى أنها كانت على أهبة الاحتجاج، فرفع يده المستبدة ليسكتها وتابع قائلاً: «اسمعيني، هل فعلت؟ جان بول هو الأصغر، هو طفل العائلة، لقد دلتته وأحبته كثيراً كل قريباته طوال

حياته المذهلة، وليس فقط قريباته. عنده فكرة فيما يتعلق بأية امرأة، انه يأخذ ما يريد.»

سألته ببرود: «هل تعني انه يفكر في الدخول معي بسرعة إلى أقرب فندق في مكان ما ويوسع مضمار العلاقة؟» «ان أردت أن تظهرني الأمر بهذا الأسلوب غير المهذب.» قالت: «لِمَ لا؟ انه اقترح غير مهذب، أليس كذلك؟ لا فائدة من وضعه في كلمات جميلة.»

قال باقتضاب وفضاضة: «كنت أنوي فقط أن أخبرك أن ما قد تعتبرينه صداقة طبيعية قد يساء فهمه مع شخص من نشأة مختلفة. ما كنت أريد لأي أحد أن يقف في موقف حرج، هذا كل شيء. وأنت رغم كل شيء...»

أنهت جملة بنوع من الضجر: «مسؤوليتك. أنظر، يا ماركوس لا تعاملني كطفلة في مدرسة حضانة. لا أريد أن يعتني بي أحد، أقلهم أنت، أما فيما يختص بهذا النهار فإني لا أرى حاجة لذلك. اننا سنقوم بمشاهدة بعض الأماكن هذا كل شيء. اني لا أعتقد ان جان بول يفكر في أن يشدني من شعري ويسحبني إلى أقرب كهف. كما اني لا أعتقد انه من النوع الذي يفرض نفسه على شريكة لا تريد ذلك.» قالت جملة الأخيرة وفي عينيها نظرة تحد تعكس ذكرى واضحة لتصرف ماركوس في الليلة السابقة.

أجابها بسخرية لاذعة: «ماذا عن شريكة قد تبدأ غير مستعدة بذلك انما تغير رأيها بسرعة مذهشة؟» قالت: «لا، ان، ذلك شأني.»

قال: «على أي اقتراح لمصلحتك.»

علاقتنا جيدة مع

مضيفينا. وأنا قبلت العرض للخروج بنزهة مع شقيق
مضيفتنا. كم يسعني أن أكون أكثر لطفاً وطاعة وانفتاحاً،
هل لي أن أعرف؟ جان بول ليس سائقاً مجهولاً وهو ليس
بغريب التقية في الريف المهجور. انه رفيق جذاب جداً
ومثير للبهجة. والآن، ان كنت لا تمانع يجب أن أذهب، انه
ينتظرني. لا تقلق. اني متأكدة اننا سنمضي وقتاً رائعاً.»
خرج جان بول من غرفة الطعام فيما وصلت هي إلى
الردهة. قال مظهراً استحسانه لثوبها: «آه! يا حلوتي!
وتنتعلين حذاء مناسباً للسير أيضاً.»

سألته اليكس: «هل تعلم كريستين اننا ذاهبان الآن؟»
قال: «نعم، لقد أخبرتها. لقد نلنا موافقة رسمية! إذا،
دعينا نذهب يا آنسة.»

كان مسلياً، فانتأ وواعياً تماماً حتى منتصف بعد الظهر
في رون، عندما أفسح المجال لما أسماه دافعاً لا يقاوم
وقبل اليكس فجأة عندما كانا ينظران إلى نصب جان دارك.
سألت اليكس نفسها، بماذا أشعر؟ وكان الجواب، لا
شيء. كانت قبلة كملايين القبل الأخرى، ورغم ان جان بول
كان خبيراً دون ريب في فنون الحب، الا انه لم يضيء أية
شرارة صغيرة من التوهج الخجل الذي فجرته لمسة
ماركوس في داخلها الليلة الماضية.
أحس جان بول بموقفها بسرعة.

فيما كانا عائدتين إلى السيارة سألتها: «هل أنت غاضبة؟»
امسكت بيده وضغطت عليها قائلة: «لا. ابدلاً من
يمكنني أن اكون كذلك، فيما أنت تمنحني به
قال: «إذا فأنت لست غاضبة، لا»

تنكري ذلك، يا صغيرتي. إنني خبير عندما يتعلق الأمر
بحرارة القبلة.»

ضحكت اليكس ضحكة معترضة قائلة: «ما زال الوقت
مبكراً قليلاً للتحدث عن السعادة. لقد التقينا لتونا فقط.»
«ليس لذلك علاقة بالأمر ان وجد السحر، فالوقت
والظروف لا معنى لهما. لنفترض أن ماركوس الآن...»

قالت بلهجة هازئة تماماً: «ماركوس! انه لا يتحملني.»
نظر إليها بمعرفة وقال: «عندما تعترض سيدة بهذه
القوة، يعني ذلك ان هناك شيئاً ما في الجو.»

قالت: «لا شيء سوى كراهية مباشرة. إن عائلتي على
عداوة مستمرة منذ ثلاثة اجيال.»

«وما دخل العائلات بما يحدث بين رجل وامرأة؟»

أجابته: «صدقني يا جان بول! إننا نتقاتل طوال الوقت
كالهر والكلب.»

قال: «ذاك هو!» وكأنها برهنت تلك النقطة بشكل لا يقبل
الجدل. وتابع قائلاً: «الحب والكره مشاعر متقاربة جداً.
الحب واللامبالاة لا يمكن أن يكونا ابعد بكثير. لا تقولي لي
انه لم يقبلك قط. كيف يمكنه مقاومة ذلك؟»

عندما خطر لها ما حدث الليلة الماضية انقادت اليكس احمراراً.
قال ليثير غضبها: «أرى أنك تعرفين أكثر مما أنت على استعداد
للافصاح عنه. تعالي لتتناول بعض الشاي الذي تحبونه أنتم معشر
الانجليز، وحديثني عن عائلتكم والخلافات...»

وايلين تراليكس المجال لدافع التحدث إلى شخص ما،
«القصة المؤسفة بين ماركوس

قال: «ذلك لا يبدو إطلاقاً ماركوس الذي أعرفه وعرفته
لعدة سنوات.»

سألته: «إنذاً ألا يظهر ذلك كم هو مستاء كلياً ليعرف أنه قد
خدع مرة أخرى من قبل فرد من عائلة ليوارد.»

نظر إليها بعطف، وقال: «لقد وضعت نفسك في موقف
صعب على ما يبدو، يا حلوتي اليكس.»

قالت له بقوة: «لا! ألم أقل لك للتو كم من الصعب أن يكون
هناك شيء بيني وبين ماركوس سوى الكره؟»

امسك بيدها، وطبع على كفها قبلة، وقال لها: «حسناً
جداً، يا صغيرتي. أنت لست مغرمة به إطلاقاً، إن كان هذا
يبهجك. لننسى الآن هذا الموضوع ونتمتع بوقتنا ثانية.»

كان الوقت متأخراً عندما عادا إلى المنزل بعد ما تناولا
العشاء في مطعم على جانب النهر في لي أنديلي، جلست

ساعت عندما جمعت عاصفة الغيوم في السماء وأثارت
تلاطم الامواج في مياه النهر.

كانت ألبرتين وحدها في المنزل. لقد غادر ريمي
وعائلته إلى منزلهم خلال النهار، أما الآخرون فقد ذهبوا
إلى مقهى الصوت والضوء الذي يبعد بضعة أميال.

ذهبت اليكس لتفحص الجوادين، رغم أن ألبرتين أصرت
انهما قد أطمعا، وإن ميسترال قد اعطيت حققتها المسائية.

وبينما كانت عائدة، فتحت السماء قربها. خالجهما شعور
بالرضا الخبيث عندما خطر لها أن ماركوس سيتبلل في مكان

ما في هذا الليل المظلم. استأذنت وصعدت إلى غرفتها، تاركة
جان بول يشاهد فيلم آخر السهرة على التلفاز

عندما أوت إلى فراشها. استأ

عندما أوت إلى فراشها. استأ

عندما أوت إلى فراشها. استأ

الوسادة، غارقة في مجموعة من الأفكار القلقة.
استيقظت على صوت رعد عنيف لم تسمع مثله في

حياتها قط. لا بد أن العاصفة في ذروتها. جلست في
فراشها ورأت وميض البرق اللامع من خلال شقوق مصراعي

النافذة. توالى قصف الرعد وكان هناك صوت أزيز خافت،
قريب ومخيف لسقوط الاسلاك الكهربائية على الأرض.

الجوادان! لا بد أنهما خائفان.

زحفت اليكس من سريرها وركضت نحو الباب، وهي
تلبس الثوب القصفاض الحريري فوق بيجامتها المزخرفة

برسم فارة. كانت أبواب غرف النوم مفتوحة فيما هي تسير
مسرعة. لم يكن عندها فكرة كم كانت الساعة أو كم من

الوقت مضى على نومها. لكن بقية المجموعة لم تعد بعد.
نزلت الدرج بسرعة وركضت تحت المطر نحو الاسطبل.

كانا ميسترال ولاسكو، واقفين في زاوية الحظيرة،
يصهلان باضطراب، ورأت اليكس عندما لمع البرق من جديد

بريق الخوف يظهر في عيونهما.

قالت لهما: «كل شيء على ما يرام، ايها الصغار. أنتما
بأمان هنا. سوف تنتهي العاصفة قريباً.» احضرت تفاحتين

من الكيس وأطعمتهما للجوادين، ثم وقفت بينهما ويد على
كل منهما، وهي تتكلم إليهما برقة وهدوء. شعرت

بانفاسهما المتلاحقة، وخشيت أن يعيد ذلك سعال
ميسترال وقررت أن تبقى معهما ريثما تهدأ العاصفة.

بعد قليل، وبعدما خفت قوة الرعد، جلس لاسكو على القش
وحزت ميسترال حذوه، لكن بينما كانت الفرس تستلقي

بارتياح سلعت سعلة صغيرة جافة. سحبت اليكس ملاءة

وجلست إلى جانبها، وقد استمرت بتمتمة كلمات مهدئة وتابعت حركة يدها اللطيفة فوق الوبر الأبيض، وبدأ البرق يخف تدريجياً. كان الطقس دافئاً ومظلاً في الاسطبل. احنت اليكس رأسها والفته على خاصرة ميسترال. سوف تنتظر لفترة بعد، حتى تتأكد أن ميسترال لن تسعل ثانية... كان الجلوس هكذا مريحاً بالفعل، ورأسها يعلو وينخفض بركة بينما أخذ تنفس ميسترال يهدأ. كانت العاصفة قد هدأت، وغمر الاسطبل هدوء مثير على الناس.

تحركت اليكس على صوت نادى باسمها، ثم عادت إلى النوم ثانية. وبدأت تستيقظ فعلاً على لمسة شفاه رقيقة على جبهتها. تمتمت قائلة: «جان بول! أنت عنيد!» سمعت صوتاً هو بالتأكيد ليس صوت جان بول، يقول بفظاظة: «استيقظي وانهضي!»

فتحت اليكس عينيها ورأت ماركوس يقف فوق رأسها وفي يده مصباح. كان شعره يلمع رطباً، وكان وجهه يحمل تعبير الامتعاض الشديد المألوف.

قالت: «أنت!» وشعرت بصدمة شديدة عندما اندركت أنها لمست وجهه لتوها الآن، وأضافت محاولة أن تخفي ارتباكها وهي تقفز على قدميها قائلة: «إنك مبتل تماماً.»

قال بسخرية: «وبالتأكيد لست الولد المحب.» اتقدت اليكس احمراراً لاشارته إلى طريقة ايقاظها، وقالت: «اعتقد... بدأت، ثم توقفت فجأة مترددة.

قال بجفاف: «اعتقدت ماذا؟»

أجابته: «لا شيء. كنت احلم.»

قال: «سرت في نومك إلى هنا، اليس كذلك؟»

قالت اليكس وقد بدأت تستعيد وعيها: «بالطبع لم أفعل. ايقظتني العاصفة واعتقدت ان الجوادين قد يكونا خائفين. كانا مضطربين جداً. فوقفت وتحدثت إليهما قليلاً، ثم سعلت ميسترال، فجعلتها تستلقي وبقيت لبرهة قصيرة. لا بد ان النوم غلبني. هل الوقت متأخر جداً؟»

قال: «لا. انها الساعة الثانية.» نظر حوله بارتياح وأضاف: «افترض انك بمفردك؟»

صرخت قائلة: «أوه، لا تكن سخيلاً جداً! وبالحديث عن السخافة، لماذا بقيت تحت المطر كل هذا الوقت؟»

قال: «لقد توقف مطعم الصوت والضوء عندما ازدادت كثيراً تأثيرات الاصوات الخارجية، لكن مضيفينا المجانين اصروا على الذهاب إلى مطعم فيتنامي بعد ذلك حيث خرجنا نتصيب عرقاً. على الأرجح أننا سنصاب جميعنا بذات الرئة.»

قالت ببراءة: «عدنا أنا وجان بول إلى هنا عند الساعة العاشرة والنصف. هل رأيته؟ كان يشاهد فيلماً يستمر عرضه حتى الساعات الأولى.»

قال ماركوس: «نعم، رأيته، لسوء الحظ.»

سألته: «ماذا تعني بسوء الحظ؟»

نظر إليها شزراً وقال: «اعتقد أن الأحقق سيكون متشوقاً ليخبرك بما حدث إن لم أفعل أنا. عندما صعدت إلى الطابق العلوي كان باب غرفتك مفتوحاً على مصراعيه وأنت لست موجودة في أي مكان. كانت غرف الحمامات فارغة، وعرفت أنك لست في الطابق السفلي، لذا سارعت إلى استنتاج النتيجة الظاهرة.»

«الظاهرة فقط لإنسان له مثل تفكيرك. وماذا فعلت؟»
 أجابها: «فعلت ما كان ليفعله أي رجل مسؤول. اتجهت إلى غرفة جان بول وأنا مستعد لصرعه...»
 «يا له من أمر مروّع وسخيف لتقوم به.»
 قال: «كان ذلك نوعاً ما رأي جان بول، إلا أنه لم يعبر عن ذلك بنفس القوة.»
 قالت: «إنك محظوظ لأنه لم يضربك.»
 صرخ قائلاً: «لا. إنه لا يجرؤ. معاملة النساء بخشونة عمل قد يقوم به.»

قالت: «لقد تصرف، على الأقل، اليوم بتهذيب.»
 أجابها: «ليس عندي دليل سوى كلمتك هذه.» واخذوا يحدقان ببعضهما البعض.
 قالت وهي تبتعد: «سأعود الآن لا طائل من هذه المحادثة. لا أعرف لماذا جئت إلى هنا.»
 لحق بها إلى الباب وقال: «أنظري خارجاً، وستعرفين في الحال.» فتح الباب على مصراعيه، ورأت اليكس أنه حيث كان يوجد من قبل خندق مائي وطريق واسع يطل الأسطبل عليها، قد أصبح الآن مجرد خندق مائي مخفوف بالمخاطر.

شهقت دون وعي منها وسألتها: «ماذا حدث؟»
 قال: «فكرة تيم الرائعة في حفر قناة لتمر بها المياه إلى الخندق المائي لإبقائه نقياً أدت إلى نتيجة عكسية. لم يستطع المجرور تصريف المياه بذات السرعة التي تتدفق بها.» نظر إلى قممها التي كانت تنتعل بهما خفين رقيقين وأضاف قائلاً: «تنتعلين حذاء مناسباً، أليس كذلك؟»

اتجه نحوها مما جعل اليكس تصرخ بغضب: «لا تلمسني!» نظر إليها شراً وقال: «بماذا تعتقدين أنني افكر؟ قبل أن تطلق العنان لمخيلتك، دعيني أقل لك إن ما أنويه فقط هو حملك إلى المنزل. لقد انقطعت الكهرباء أيضاً. وقد تستقطين في هذا الخندق المائي في هذه الظلمة.»
 قالت اليكس بسرعة: «استطيع أن اخلع هذه وأجذب.»
 قال: «لا تكوني سخيفة.» وقبل أن تتمكن من الاعتراض أكثر، حملها بين ذراعيه. ثم سالها بلهجة ارق قليلاً: «من أين جئت بهذا الثوب الحريري؟»

أجابته: «لقد اعارتني إياه كريستين.»

قال: «إنه أفضل كثيراً من بيجامتك تلك التي تزينها رسمة الفأرة والتي يبدو أنك فخورة بها جداً.» رفعها وقال بانفعال: «حاولي ألا تكوني ككييس البطاطا. ضعي ذراعك حول عنقي وتمسكي جيداً. هل يمكنك ذلك؟»
 فعلت ما طلبه منها، وحاولت أن تبقى رأسها بعيداً عنه. «أعطني فرصة لأرى أين أضع قدمي، هل تستطعين ذلك؟»
 لم ينس بعدها أي منهما ببنت شفة حتى أنزلها إلى الأرض على أعلى الدرج المؤدي إلى داخل المنزل.

دخلوا الردهة حيث ترك أحد ما نور المصباح الصغير مضاءً بشكل خافت، وكان إلى جانبه شمعتان مضاءتان. سالها ماركوس: «هل أنت في حاجة لشراب كي يدفئك؟» قالت وهي تتحاشى النظر في عينيها: «لا شكراً. سأصعد إلى فوق مباشرة.»

قال: «خذي إحدى الشموع معك. سوف تمنحك النور الكافي لتلمسي طريقك إلى الطابق العلوي.»

قالت: «نعم، شكرًا. عمت مساءً.»

«عمت مساءً.» لكن بعد نحو دقيقتين ناداها بقوة قائلاً: «لقد اعطى وقتاً جميلاً للذكرى، أليس كذلك؟»

توقفت ونظرت إليه، وشعرت بالدموع تترقرق في عينيها، وانتابها دافع قوي لتصرخ قائلة أن ما من شيء يستطيع جان بول القيام به ليؤثر بها بقدر هذه اللحظات الغالية القليلة، فيما هو، يحملها من الاسطبل إلى المنزل، وقد شعرت بخشونة ذقنه وتنبهت لضربات قلبه القوية ورائحة الصنوبر المنعشة للصابون الذي استعمله. كيف سيتصرف إن أجابته إجابة صادقة كهذه؟ ابعدت نظرها عنه وقالت: «كان مجرد قضاء نهار في الخارج...» ثم هرعت ترتقي الدرج المظلم.

كان مهتماً بشأن النور، كان هناك ما يكفي من النور لترى إلى أين تتجه في هذا المنزل، إنما المستقبل، فهو أمر مختلف، بدا المستقبل فجأة أكثر ظلمة وتعقيداً وضبابية من أي وقت مضى.

لا فائدة من خداع نفسها أكثر. فأنها اما تتجه نحو الجنون أو أنها وقعت في حب الرجل الذي يفترض أن يكون موضع كرهها. ربما هي تشعر بالاثنتين. لماذا هو؟ دوى السؤال في رأسها المعذب. أنها تحب شقيقتها والدة. أليس كذلك؟ وهي تكره ما فعله ماركوس ويكفورد بهما. جلست على سريرها تحت ضوء القمر يخالجها شعور بالخوف أكثر من أي وقت في حياتها. تمسكت بحافة الفراش وكأنما تعلقها بها هو الشيء الوحيد الذي يوقف سقوطها في هذا العالم.

الفصل السابع

حاولت اليكس معظم الليل مواجهة قلبها وعقلها، معترفة أن هناك شيئاً ما في ماركوس فاق ذلك الشعور القوي بينهما، وخلف تفاعلاً في نفسها يخيفها ولا ترغب به. أطل الصباح ليجدها ما زالت مستيقظة ويائسة، وأظهرت مرأتها شحوب وجهها القلق، وظلالاً سوداء تحت عينيها. لم تكن ترغب بمواجهة أحد من الآخرين على مائدة الفطور. فذهبت مباشرة إلى الاسطبل، لتجد أن ماركوس قد لحق بها.

غار قلبها كالعادة عند رؤيته لكنها استطاعت أن تتجاهل ذلك وتنتظر أنها لم تشعر بوجوده هناك واقفاً عند مدخل الباب ينظر إليها.

سألها: «لماذا لم تتناولتي طعام الفطور؟»

أجابته: «لم أشعر برغبة في ذلك.»

أنزل السروج ومرر إليها سرج ميسترال قائلاً: «لا بأس بذلك، إذا. يمكننا الذهاب إلى الطبيب البيطري مباشرة.» وأضاف بجفاف: «إلا إذا كنت لا ترغبين بالركوب أيضاً.» قالت له بهدوء: «لا خيار في ذلك. إنه عملي. لكنني سعيدة لأنك تعتبر أنه أصبح ممكناً امتطاء ميسترال ثانية.»

أكد لهما الطبيب البيطري بعد نحو ساعة أن الجواد الصغير قد تحسن كثيراً، وهو متأكد أنهما لن يواجها مناعب في المرفأ إن قررا أن يكملا رحلتها في الصباح.

قال ماركوس بارتياح ظاهر: «هذا أمر جيد». ونظر إلى اليكس قائلاً: «أعرف أنك ستكونين مسرورة لتتابعي لريقتك من جديد».

«مسرورة جداً». وقد تقاذفها شعور بالارتياح لفكرة نهاية الاتفاق وشعور مزعج من الألم لفكرة الغراق الذي لا مفر منه عن الرجل الذي كان له تأثير عميق على مشاعرها. ستحاول أن تتحاشاه طوال النهار، ومع قليل من الحظ، ستتمكن من ذلك. وفي الغد سيعبران القنال حيث يتبقى بضعة أميال عليهما عبورها على الأراضي الإنجليزية. صعدت عندما قال لها ماركوس فجأة وهما في طريق العودة: «حالما نتصل بالمنزل لنعلمهم بموعد وصولنا. سنخرج لتمضية بقية النهار».

سألته اليكس: «لماذا؟»

نظر إليها نظرة حزينة وقال: «لمسبب مهم جداً. إنني أدير قوة عاملة تفوق المائة عامل في أماكن عدة. لا أعلم عدد الزبائن وعدد المرات التي أتعامل فيها معهم. كل شيء يسير متيسراً وبسلاسة وفعالية. سأنفجر إن وصلت إلى المنزل وأنا أشعر أن فتاة صغيرة لا تقفل أبداً في إثارة غضبي. سنمضي معاً ساعات مهيبة، وإنني أقترح تمضية نهار في الخارج، وليس جلسة في غرفة التعذيب».

بدأت اليكس قائلة: «لكن...»

قاطعها قائلاً: «لكن لا شيء. سنرى إن كان في إمكاننا أن نكون مهنيين تجاه بعضنا البعض لساعة أو اثنتين. لذا لطفاً لا تقولي شيئاً وحاولي تحمل ذلك».

قالت بجفاف: «ليست هذه بداية واعدة جداً».

نظر إليها ودفع لاسكو ليجري خبياً وقد حدث ميسترا لحدوه أيضاً، وتساءلت اليكس يائسة، كيف ستتمكن من تخطي هذه المحنة الأخيرة؟

لم يكن هناك تأجيل لذلك الاقتراح بعدما عادا إلى المنزل حيث أرشدهما تيم إلى مطعم صغير في القرية المجاورة، وأخبرهما عن طريق جميلة للسير على الأقدام حيث يستطعمان القيام بذلك بعد تناول طعام الغداء إن شعرا برغبة في ذلك. ووعنتهما كريستين، حالما عرفت أنها قد تكون ليلتهما الأخيرة في ضيافتهما، بإقامة حفلة لهما. صعدت اليكس أخيراً إلى الرينج روفر إلى جانب ماركوس وقد غمرها الخوف من كل من الحفلة والنزلة غير المرغوب بهما.

كان للمبهجة التي أضفتها أجواء المطعم الصغير تأثيراً كبيراً على الطموح، ممازراً جداً كما وصفه تيم. لكن الجو بينهما لم يبق إلى مستوى الطعام. استمر ماركوس في محادثتها بطريقة مهذبة وكأنه يجري مقابلة مع ضيف عمل، لكن كل ما كانت اليكس قادرة على التفكير فيه، كان ياس شخصين متباعدين مثلهما يحاولان التوصل إلى أي شيء ككلمات جو مالوف بينهما.

لمنت وتضرعت أن يقرر عكس ما اقترحه تيم بشأن النزلة سيراً على الأقدام، لكن من الواضح أن ذلك كان تحدياً آخر عليها مواجهته. تقدم ماركوس في الطريق الريفى رغم أنه بدا منشغل البال إلا أنه ما زال مصمماً على ذلك، وقد بدا الجو نظيفاً والهواء منعشاً بعد عاصفة الليلية الماضية. لقد جففت أشعة شمس الصباح الساخنة الممطر وكأنه لم يكن قط. قادهما الممر إلى فوق هضبة تكسوها

قالت له: «كيف لا أكون كذلك؟ فنحن شقيقتان من نفس الأب والأم، العائلة والنشأة ذاتها.»

سألها: «والمشاعر؟ هل تشاركون أختك مشاعرها؟»

آوه. نعم. فكرت اليكس بمرارة. اني اشاركها مشاعرها من كل ناحية، حتى إلى درجة اني بدأت احب الرجل ذاته، لكنني اكثر حماسة منها، لأنني عرفت منها أن لا وجود لمستقبل بين امرأة من آل ليوارد ورجل من آل ويكفورد.

اجابته: «حتماً، في بعض المواضيع، لكن ليس كلها.»

قال: «حسناً. دعينا ندرس الموضوع من ناحية الإعاقة الجسدية. بيكي هي معاقة بشكل خطير جداً. هل تفضلين عدم مواجهتك بذلك؟»

صدمها السؤال لكونه لا يحتمل ابداً فأجابت عليه بسخط: «كيف استطعت أن تسألني عن أمر كهذا؟ لقد أمضيت معظم حياتي مع اناس يعانون من عاهة أو أخرى. هل كنت لأختار ان اواصل ذلك العمل لو أنني لا أستطيع التعامل معه؟»

قال دون أي شعور بالندم: «كان عليّ أن اسأل. عندما تحدثنا عن موضوع بيكي لأول مرة، لم نصل إلى هذه المسألة الخاصة، لقد... انحرفنا عنه، إن كنت تذكرين. لقد ولدت بيكي معاقة، وحالياً لا يمكنها السير دون القضبان الحديدية التي تضعهما على ساقيهما. الإعاقة هي جسدية تماماً. إنها لا تؤثر على نفسيته إطلاقاً. عندما يصل الأمر إلى الشجاعة الكلية، إنها أكبر وأكثر ضجة من الحياة نفسها. أتصور ان ذلك قد يغير قليلاً الصورة التي رسمتها لها في مخيلتك.»

«أعتقد أنك تستمد سروراً حقيقياً من اهانتني؟»

الأشجار حيث كان خلفها بقعة صخرية عالية، حيث يمكن عندها رؤية البقاع الريفية الخضراء في جميع الاتجاهات. كانت هناك بقعة خضراء على بعد بضعة أقدام إلى أسفل الجهة المقابلة من المنحدر، اتجهوا إليها وجلسا ينظران وقد لفهما الصمت. فكرت اليكس شاكراً ان مهزلة هذا اليوم ستنتهي قريباً.

تكلم ماركوس أخيراً قائلاً: «طالما أننا سنتابع طريقنا غداً وستلتقين بيكي في نهاية المطاف، هناك شيء يجب أن أخبرك به.»

نظرت اليكس إليه وقالت متسائلة: «نعم؟»

قال: «لدي انطباع بأنك تعتقدينها فتاة مدللة جداً.»

اعترضت اليكس قائلة: «لم أقل شيئاً كهذا.»

قال: «ليس بهذه الكلمات. لكن بوجه شفاف كوجهك، لست في حاجة الآن لأن تقولني ما تشعرين به.»

قالت: «إذاً أتمنى ألا تفعل ذلك بي. فالمشاعر غير المعلن عنها هي مشاعر خاصة.»

إلا أنها شعرت بارتياح عندما قال: «إن مشاعر بيكي هي التي تهمني كثيراً الآن، مع فكرة أنك ستلتقين بها فعلاً في الغد. في ليلتنا الأولى في المنزل هنا تظاهرت أنك في حاجة لتأكيد عن وجود الفتاة. ولو أنني لا ادرك كيف ذلك، مع أنك تحدثت عني إلى حد معين مع شقيقتك الغالية.»

قالت اليكس بدفاع حاد: «ايلين هي شقيقتي الغالية! تماماً كما هي بيكي الغالية بالنسبة إليك.»

نظر إليها متأملاً وقال: «لكن السؤال الذي اطرحه على نفسي هو، هل أنت من ذات طينة أختك؟»

أجابها: «إني لا أفكر في اهانة أحد. لكنني أقوم بأي شيء لأدافع عن بيكي وأحميها من المزيد من الأذى. لقد قست عليها الحياة كفاية. لا تحب أن تسمعني أقول ذلك، والحقيقة المجردة أنني بصدق تام، لا أفكر بها معظم الوقت كطفلة معاقة. عندما تلتقينها ستعرفين لماذا. إنها ليست موضع شفقة. إنها فتاة جريئة صغيرة. مقاتلة منذ ولادتها. تلك هي الصورة التي ترسم عنها في ذهن، وليس ما عليها أن تحارب ضده.»

سألتها: «ماذا حدث لو ألدتها؟»

قال: «لقد وقعا في إحدى تجمعات الضباب، تلك التي لا يمكن تفسيرها على الطريق العام فقتلا على الفور.»

ابتلعت اليكس ريقها بصعوبة وقالت: «ونجت بيكي؟»

أجابها: «لم تكن معهما. كانت في ذلك الوقت في المستشفى تستعيد صحتها من إحدى العمليات العديدة التي خضعت لها. كان جاك وتريسيا هناك، بالطبع. لكن احتاجا إلى بعض الأشياء من المنزل، وحالما تعدت حالة الخطر عادا إلى ساسكس ليأتيا بها. كانا في طريق عودتهما إلى لندن عندما حصل لهما ما حصل. لقد اعتادت بيكي على المستشفيات، إنما كما يمكنك أن تتخيلي أن هذه العملية قد خلّفت آثاراً مختلفة في نفسها عن غيرها. وستعاود الدخول إلى المستشفى ثانية في غضون ستة أشهر. تستطيعين تصور الخطر هذه المرة. ستذكر أن المستشفى مرتبط بفقدانها إنساناً أحببتهم. لذلك، عندما أظهرت هذا الحب لجواد الكامارغ، قررت أنها يجب أن تحصل على واحد، ربما إن استطاعت أن تحد تفكيرها في العودة إلى جوادها

المحبيب، لن تنجرَ بذلك إلى التفكير في أمور أخرى.»

عندما لم تجب اليكس استدار لينظر إليها ورأى الدموع تنهمر من عينيها. قال برقة: «لا تبكي. إن بيكي لا تبكي على نفسها. إنها تكره أن يبكي لأجلها أي شخص آخر.»

تنهدت وقالت بصوت مخفوق: «لا تكن لطيفاً معي.» وبدا بكاؤها جدياً.

«اليكس» بدا ناسياً من تكون للحظة، وضع ذراعه حولها وأمال برأسها على قميصه القطني وأخذ يداعب شعرها ليتركها تبكي وتبكي. شعرت أنها أكثر ارتباكاً كما لم تكن مرة في حياتها. لماذا كانت تبكي؟ جزئياً من أجل بيكي، ولكن أيضاً على الورطة التي وجدت نفسها فيها.

استدارت يائسة وتعلقت به كطفلة مذعورة، ودفنت رأسها بقوة أكثر عند عنقه. ظنت في البداية أن ذراعيه قد أحكما الطوق حولها، لكنها تيقنت لاحقاً أنه كان يبعتها بلطف وثبات بعيداً عنه.

قال لها ضاحكاً: «دعينا لا نتخطى القمة.»

تحولت مشاعر اليكس المرتبكة ثانية وانفجرت غضباً.

قالت ما جال في خاطرها عن كل شيء بتناقض يفتقر إلى العقلانية: «بالطبع، كان عليّ أن أتذكر بأن آل ويكفورد ليس لديهم شعور بل سعة دم بارد فقط لاتخاذ القرارات.»

تغيرت ملامحه وسألها بخبث: «هل هذا هو رأيك السيد أو أنه واحد من أخطائك الفاضحة؟ لنرى إن كنت أستطيع لقناعك بطريقة أخرى.» كان هناك وقت مختصر لنظرة خائفة من عيون متأججة. دُفعت اليكس إلى الوراء على العشب فيما كان يضغط عليها بثقله، وقد هوى عليها بقبلة

وكانه يعاقبها بقساوة لم تستطع معها أن تطلق صرخة حذر. وتنفست أخيراً بعباء. فقد أفلتها وجلس ينظر إليها باحتقار. سألها بقساوة: «هل اكتفيت بهذا؟»

ردت عليه فيما كانت تلملم نفسها المهانة بسرعة: «لم يكن ذلك شعوراً! بل قوة وحشية. وأعني وحشية.»

نهض واقفاً وقال: «أعطيتك ما تطلبينه، والآن لا تريدين ذلك. أنت متقلبة ولا يوقف لك على حال مثل أختك. لكن على الأقل يبدو أننا وضعنا حداً للألعاب الصببانية. لذا ربما يمكننا أن نقوم بشيء مفيد وننهي هذه النزعة اللعينة.»

انتظر حتى تمكنت من الوقوف على قدميها، ثم سار أمامها نزولاً عن الهضبة. تبعته اليكس وهي تناديه بصوت يملؤه الغضب قائلة: «ارجوك، اريد العودة الى المنزل.»

صاح غاضباً: «لا تقلقي! لقد نلت الكفاية أنا أيضاً.» فكرت اليكس وهي تحزم امتعتها في غرفتها في القصر ان ما ألمها أكثر من الشفاء المجروحة والكبرياء المهان، معرفتها بأن حتى تلك الذكرى المهينة كانت أمراً واضحاً أرادت التعلق به.

لقد ضببت نفسها متلبسة وهي تمسك علبة الثقب التي رمتها داخل حقيبتها في المطعم حيث تناولا الطعام. كانت دعاية للمطعم وقد رسمت عليها صورة للمبنى الحجري للمطعم.

وضعتها جانباً مع شريط القبة الأحمر الذي يربط قرني الثور، مزديرة نفسها. «مفسدات المرأة». كلاهما تذكاران ليس فقط عن الرأس ذي الشعر اللامع والعينين الرماديتين اللتين تنتقلان بين حرارة الفضة وبرودة حجر الصوان، بل

عن ضعف ولائها وخيانتها الأولية، ربما يستحقان الاحتفاظ بهما كتذكارات وخاصة تلك الأخيرة.

تنهدت بصعوبة وغطت التذكاريين الصغيرين مع الكثير من القطع العادية. لو أنها لم تقابل لين قط، مهما كانت الصعوبة في العودة إلى الديار كانت أفضل لديها من أن تجد نفسها الآن في نفس الوضع الذي كانت فيه أختها. وقد سحرها الرجل المستحيل بسهولة. كم هي حمقاء. لقد عرفت من تجربة إيلين الحزينة، ان لا خير بأي نوع من الترابط بين عائلتي ليوارد وويكفورد. ومع ذلك فقد سمحت لنفسها أن تحترق بالنار التي لم يكن عليها قط اللعب بها.

تنهدت ثانية. مهما يكن، فقد انتهى الأمر. غداً العودة إلى إنجلترا، حيث البيت والأمان وفرصة اكتشاف حقيقة المثل القديم القائل: «بعيد عن العين، بعيد عن القلب.»

رفضت كريستين كل عروض المساعدة بتحضير طعام الحفلة، قائلة بما أن اليكس هي واحدة من ضيوف الشرف لذا عليها الحضور فقط لتجد كل شيء كمفاجأة ضخمة. أخبرت أن غرفتي الطعام والجلوس قد فتحتا على بعضهما البعض وخيارها الوحيد السماح لها برؤية واطعام الجوادين وتأمين الراحة لهما وان تأخذ قدر ما تشاء من الوقت استعداداً للحفلة.

لذلك كانت اليكس المهندمة والأنيقة التي غادرت غرفتها عند السابعة والنصف عازمة على إخفاء ملامح روحها المبعثرة وراء طلتها المحببة. كانت ترتدي ثوباً رائعاً اسود اللون عاري الكتفين، وقد لف جسدها النحيف. ياقته المربعة تدلت منها شرائط تقاطعت فوق بشرة ظهرها التي

معشر الإنجليز، سأجرب بعضاً من كلماتي الجميلة على اليكس خلال العشاء وأرى ماذا ستفعل بها. آوه، هل أرى شقيقتي تحاول أن تسترعي انتباهك يا ماركوس؟»
 فيما استدار ماركوس لينظر إلى الناحية التي كان جان بول يشير إليها. قام الرجل الفرنسي وقد وضع أصبعه على شفتيه، ودفع اليكس عبر الباب نحو غرفة الطعام.
 شعرت اليكس أنها أسيرة معركة حامية الوطيس على وشك الإندلاع. كانت تشعر أن ماركوس على أهبة الاستعداد للمقاتلة مع أي كان. وسرت أن تكون بعيدة عنه، لكنها كانت قليلة الصبر تجاه مزاح جان بول.
 أخبرته قائلة: «لا أتذكر أنني وعدتك أن أكون رفيقتك على طاولة العشاء..»

«ليست طاولة، إنما عشاء مفتوح. لكنك وافقت أن تشاركي إن سألتك، اليس كذلك؟ كيف يمكنك مقاومتي؟»
 قالت: «بسهولة. لكن لا أستطيع مقاومة طعام ألبرتين اللذيذ، لذا سأوافق على أن تكون رفيقتي الطارئة..»
 قال لها: «جميلة وقاسية! تألف أسر وحالة دراستها أمر ممتع. لكن دعينا نأكل أولاً. بالمناسبة لا تنظري تجاه ماركوس وأنت تاكلين فقد تسبب لك ملامحه عسراً في الهضم..»

ضبطت اليكس ماركوس عدة مرات خلال السهرة وهو يحدق بها بنظراته الخطيرة لكنه لم يلق نظره مرة أخرى على جان بول. كما أنه مر وقت طويل دون أن يقوم بأي محاولة ليصبح قريباً منها. أخبرت نفسها أنها مسرورة لذلك، لكنها كانت تعرف موقعه بالضبط في الغرفة، وبماذا يفكر من دون أننى تسأول يساورها.

لوحتها أشعة الشمس لتثبت مع الزرّين الذهبيين المرصعين، الزينة الوحيدة للثوب. بدا شعرها النحاسي اللون بلمعانه مقابل بساطة الثوب الأسود. بمنأى عن الرباط الذهبي اقتصرت حلّيتها على قرطين لهما شكل حبيبات من الأجراس الذهبية الصغيرة والصوت الناعم الذي تحدثه، جعلها تبدو وكأنها قادمة من عالم آخر.

شق تيم طريقه وسط الضيوف المجتمعين حالما دخلت غرفة الجلوس وجال معها معرفاً عن كل شخص بمفرده.
 سأل ممزحاً آخر شخصين عرفهما بها: «هل تعتقدان وأنتما تنظران إلى هذه الآية من الجمال بأنها قادرة على العمل الشاق في الأسطبل كأي رجل عادي؟» تناهى ذلك إلى مسمع جان بول والذي همس قائلاً بنعومة في أذنها بعدما انتحى بها جانباً: «تبدن جميلة الليلة، أيتها الأميرة..»
 قال ماركوس وقد انضم إليهما: «هل تضع عليك سحر فرنسا القديمة يا جان بول؟» واستدار نحو اليكس قائلاً: «عمت مساءً يا اليكس. أرى التكلف باب عليك..»

قال جان بول: «هل هذه هي فكرة الرجل الإنجليزي نحو ملاحظة الاطراء..» فيما التفت يده حول ذراع اليكس بطريقه استملاكية، أضاف: «لا عجب إن وفدت الفتيات الإنجليزيات إلى هذه البلاد وهن في أمس الحاجة لذلك..»

قال ماركوس ببرود: «حاجة ماسة؟ اعتقدت أنها نظرة النفور نحو كل أمر تافه يسمعون. تذكر انهن لم يتبعن حمية تجاه ذلك من المهد..»

ضحك جان بول بسخرية طويلاً، لكن جوابه كان يشوبه مسحة من الخبث حيث قال: «طالما أن هناك تفاهماً بينكما

كان تيم قد أوصل الأنوار بين الأشجار في الجهة الغربية للقصر. وقد مد خطاً فوق الخندق المائي حيث يمكن عزف الموسيقى للرقص. كانت اليكس تشعر برغبة ملحة لذلك وعمل جان بول على أن يبقيا تراقصه ملتصقة به طوال الوقت.

سألته اليكس عندما أفرط في إضفاء سحره الفرنسي عليها عندما رقصا قريبين جداً من ماركوس ورفيقته: «هل أنت مضطر لتفعل ذلك؟»

قال: «لِمَ لا؟ قد أكون خاسراً معك، يا حلوتي، ولكني أنظر إلى مهمتي في الحياة وهي تحريك مشاعر أكبر عدد ممكن من الرجال الإنجليز. إلا إذا كنت مخطئاً، فإن صديقنا العزيز ماركوس قد نال كفايته من تحريك المشاعر لهذه الليلة بحيث أنه متوجه نحونا الآن يحدوه العزم الكبير. استعدي للمواجهة يا عزيزتي اليكس.»

ربت ماركوس على كتف جان بول قائلاً: «امضي في طريقك. هذه الرقصة لي.»

تابع جان بول رقصته وقال: «ماذا يحدث إن لم أوافق؟» قال ماركوس بصوت حاد وابتسامة مصطنعة: «سأرميك في الخندق المائي. لا تشك بذلك ولو ثانية واحدة.»

تنحى جان بول جانباً وقال: «انني لا أرغب أن نبذو كلانا سخيخين، طالما أنك وضعت ذلك بهذا الإطار الجميل يا ماركوس...» نظر بتمعن نحو اليكس وانحنى ساخراً تجاه ماركوس.

قالت اليكس بشدة فيما دفعها بقسوة بين ذراعيه: «ها أنت ترمي بثقلك يا ماركوس.»

قال بخبث: «ليس باكثر مما يستحق ذلك المزاجي الساخر والمغرور!» فيما يده على ظهرها تدفعها نحوه بقوة أكثر وقد خشن صوته وهو يقول هامساً في أذنها: «بما أنك كنت ملتصقة بالفرنسي المفضل لديك وكأنك شريط لاصق خلال الرقصتين السابقتين، ربما يمكنك إيقاف أبحاثك بأننا قطبا المغناطيس المتنافران.»

قالت اليكس: «اعتقد أن ذلك هو ما نحن عليه.» لكن جسمها رفض الإنصياع لأوامر عقلها وسمحت لنفسها أن تذوب بين يديه.

لم الحال هكذا؟ سألت نفسها يائسة فيما تحرك ببطء على أنغام الموسيقى. هل هو الإنجذاب نحو الممنوع؟ هل كان المستحيل أكثر فتنة من الحاضر المتوفر؟

فليس ولاؤها لشقيقيتها ووالدها ولا اهتمامها المعقول بمصلحتها الشخصية بدا عاملاً ضد الاعتداء المحير على حواسها عندما لمسها. وشعرت أنه كلما أسرع في العودة كان ذلك أفضل. والمحير في الأمر بالرغم من تركيزها على هذه الفكرة، ان جسمها كان متيقظاً بكل حواسه ويتمنى ألا تنتهي هذه الرقصة أبداً ليبقى ملاصقاً لجسمه.

انتهت الأغنية وتبعته أخرى. قامت اليكس بمحاولة ناشلة لتحرر نفسها من الذراعين اللتين أمسكتاها بقوة. قالت عاجزة: «لقد نلت مرادك ضد جان بول، فلماذا الإصرار على مواصلة الرقص معي؟»

قال بصوت ساخر: «لأقنع كل واحد أن الأمور على ما يرام. إنها حفلة كبيرة ونحن نمضي وقتاً رائعاً.» وضغط عليها لتلتصق به أكثر. وتوالت الموسيقى وبقيا يرقصان

دون كلام. وعندما شارفت الأسطوانة الثالثة على الانتهاء أحسست اليكس بإطلاق سراحها ونظرت إليه وهي مذهلة. قال وهو ينظر إليها برقة: «أعتقد أن ذلك قد أوفى بالغرض. شكراً لك يا آنسة ليوارد على هذه الرقصة الممتعة. يمكننا الالتحاق بما تبقى من الحفلة الآن.»

لم يقترب منها ثانية حتى غادر الضيوف، فيما وقفاهما وجان بول، تيم وكريستين يلوحون بأيديهم للضيوف المغادرين وهم يراقبون أنوار السيارات تنير الأشجار وهي تشق طريقها في الظلام الواحدة تلو الأخرى. عادوا إلى الداخل ليرتبوا الأشياء دون اهتمام ويأووا إلى الفراش تاركين التنظيفات الجديدة إلى الصباح. قالت كريستين لاليكس بأسف بينما كانتا تجمعان الكؤوس من غرفة الجلوس: «كم يكون جميلاً أن تكوني بيننا ثانية. هذا ما أمله. أنا متأكدة أن ماركوس سيصحبك ثانية لرؤيتنا.»

قالت اليكس بخيبة أمل: «لا، لن يقوم بذلك فعلاً. الحقيقة أن علاقتنا علاقة عمل فقط. أما كأفراد مستقلين فنحن قطبان متباعدان.»

أمالت كريستين برأسها وهي تتأمل اليكس وقالت: «رأيتكما ترقصان سوية. فلغة الجسد تعبر أكثر من الكلمات.» توردت اليكس وقالت: «لكن قد تكون كاذبة. كنت نصف نائمة هذا كل ما في الأمر.»

قالت كريستين بمرح وتسامح: «يا حبيبتي اليكس، أعرف مثلاً إنجليزيًا يقول: «قص تلك على البحارة.» وهذا جواب مناسب تماماً لعذر! على أية حال سوف نرى.» وقف كل من ماركوس واليكس جنباً إلى جنب متكئين

على حافة المركب دون أن يتكلما وكل منهما غارق في تفكيره. كانا يراقبان المرفأ الفرنسي وهو يختفي تدريجياً عن أنظارهما كلما ازداد المركب إبحاراً في اليم. سألها ماركوس فجأة: «هل قررت ماذا ستفعلين. أعني فيما يتعلق بالعمل.»

«تقريباً. أود الاستمرار في العمل الطبي، وسأحاول أن أحصل على وظيفة أخرى في مركز الصحة الوطني.» قال: «لقد فاجأنتي.»

أجابت: «لماذا؟ لقد تدربت في مركز الصحة الوطني.» نظر إليها وقال: «اعتقدت أنك قد تهتمين بمصلحتك الشخصية لجني المال من خلال خدمات طبية خاصة.»

أجابته بسأم: «حسناً، لقد كنت مخطئاً.» دون أن تهتم للمعنى الضمني الجارح الذي تضمنته كلماته.

أخذاً ينظران بصمت إلى طيور النورس فوق مجرة المركب. وقد بدأت تشعر بثقل الصمت الذي يسود بينهما قالت اليكس أخيراً: «لا بد أن بيكي قلقة الآن.»

قال: «لقد جعلتني أحسب بالضبط كم تستغرق رحلتنا من نيويورك إلى المنزل، كما أنها أوضحت لي أنها تتوقع وصولنا على صهوة الجوادين. هل لي أن أطلب منك أن تقوم بذلك؟»

نظرت إليه اليكس وقالت: «أنت الرئيس.»

قال لها بقساوة: «لقد كنت متعاونة جداً. اني آسف لأن رحلة العودة قد طالت مدتها.»

هزت كتفها وقالت: «لم يكن ذلك غلطة أحد منا.»

التصب في وقفته وقال: «أوشكت رحلتنا على النهاية

الآن. على أية حال، بعد ثلاث ساعات ونصف نصل إلى المرفأ. ثم نقطع مسافة هي قصيرة جداً إذا ما قورنت بالمسافة التي قطعناها. سأذهب لتناول القهوة، هل تأتين؟ كانت عينا اليكس ما زالتا تنظران نحو الشاطئ الفرنسي الذي كان يختفي تدريجياً وقالت: «ليس الآن. سأنزل بعد برهة.»

فارقها دون أن يحاول اقناعها بمرافقته. لقد شعر على الأرجح بالارتياح لتركها كما كان شعورها لمغادرته. حالما يصلان إلى ساسكس حيث جذور النزاع بين عائلتي ويكفورد وليوارد، حينها ستكتشف سبب اضطراب عواطفها المرتبكة، الناجمة عن وجودها على أرض غريبة وتقارب غير مرغوب به... ونفحة صغيرة من القدر. رسي مركبهما في نيو هافن في وقت مبكر بعد ظهر ذلك اليوم، وكانت الشمس على وشك المغيب عندما مرّا بالبلدة متجهين نحو وادي شكير حيث شاستس، منزل ماركوس، الذي يربض في ثنايا الدونز.

اعتمر ماركوس قبعته فيما كانا يستعدان للركوبة الأخيرة عبر الطريق المتبقية للوصول إلى شاستس. كان شكل المنزل طويلاً، وقد امتدت نبتة معترشة فوق بابيه وعبر الكلس الأبيض طليت به الجدران بين الأرض ونوافذ الطابق الأول.

لم يكادا يتعطفان نحو الطريق الخاص حتى ظهر طيف صغير عند مدخل البيت وقد هرع نحوهما، دون أن يعيقهما المسمكان اللذان كانا في ساقبهما الهذيلتين. كانت الفتاة تقفز تقريباً فوق الأرض قفزاً حتى وقفت أخيراً دون خوف

في طريق الجوادين. كانت تبدو رقيقة وهزيلة، شعرها الأسود المجعد معقوص إلى الوراء بعقدة عريضة واحدة والاثارة تملأ عينيها.

عندما توقف الجوادان، ذهبت مباشرة نحو ميسترال ومدت يدها لتمسك بلجامها. أخفضت الفرس رأسها بفضول للتحقق من الوجه الصغير المشرق، تنفست برقة على عنق الطفلة وأطلقت صهلاً خافتاً. أطلقت الفتاة الصغيرة تنهيدة رقيقة، ويدها تلاعب شعر عنق الفرس الأبيض وهي تضع وجهها على خطم الفرس.

ترجلا، اليكس وماركوس، عن ظهر الجوادين وقال ماركوس بمرح: «مرحباً، يا بيكي! لا حاجة لأن أسأل من يأتي في الطليعة عندك!»

قالت بصوت مكتوم وقد تعلققت بساقه: «آه يا عمي ماركوس! إنها رائعة!» ومدت يدها لتلامس لاسكو وأضافت: «وأنت أيضاً!»

ابتسم ماركوس ابتسامة عريضة، وبدأ لاليكس انها ترى رجلاً مختلفاً الآن، لطيفاً وغير معقد. حين قال: «لا شك انهما رجلا استحسنانا لديك يا آنستي الصغيرة.»

لاحظت بيكي وجود اليكس فابتسمت لها ابتسامة خجلة. قال لها ماركوس: «هذه اليكس، التي اهتمت بميسترال طوال الرحلة إلى المنزل. إنها قادرة على اخبارك كل شيء عن حسناتها وسيئاتها.»

الاستمعت اليكس لها ابتسامة مطمئنة وقالت: «مرحباً، يا بيكي. لا تقلقي، إنها لا تملك أية سيئات طالما أنت تذكرين أن تسفلي اجامها وقدميك عليها برقة.»

قالت بيكي بجرأة تامة: «ذلك من حسن حظي، فساقاي الضعيفتان سوف تناسبانها تماماً، إذاً، هل لي أن امتطيها إلى الأسطبل، يا عمي ماركوس؟ أرجوك! لقد جهزنا أنا وأنا لحظيرتين ووضعنا فيهما بندياً وثبناً وماء وكل شيء.»
نظر ماركوس نحو المنزل وقال: «أين أنا؟ اعتقدت أنها ستكون جزءاً من فرقة الإستقبال.»

قالت بيكي بلا ميالة: «كان عليها الرجول، تركت لك رسالة تخبرك عن ذلك، أرجوك هل لي أن امتطي مسترال؟»
قال: «لحظة، إذاً، من معك هنا إن لم تكن أنا موجودة؟»
قالت: «كانت السيدة أرتون هنا طوال اليوم، كل شيء على ما يرام حقاً، يا عمي ماركوس، أرجوك هل لي»
رفعها إلى فوق سرج الفرس وقال: «فقط إلى الأسطبل واليكس سوف ترافقك، لأن هذا السرج غير مناسب لك»
استدار نحو اليكس ليقول: «هل تمانعون؟ يجب أن أرى ماذا يجري هنا. أنا هي المسؤولة عن كل شيء هنا.»

امسكت اليكس بمسترال جيداً، فيما رسن لاسكو في يدها الأخرى وقالت: «سنكون بخير، هيا يا بيكي»
ناداهما بعد أن انطلقا قائلاً: «بعد إعادة النظر، أرجو أن من الأفضل أن تلعبا الجوادين في الحقل في الوقت الحاضر، لدي شعور أنه لن يكون هناك متسع من الوقت لتدريبهما بشكل جيد الليلة.»

كان في إمكان اليكس أن تعرف على الفور، عندما عادت هي وبيكي إلى المنزل أن ماركوس قلق جداً، لكنه تجاههم وأشار لها بهدوء ألا تطرح أية أسئلة، طلبت بيكي من اليكس أن ترافقها إلى الطابق العلوي لترى غرفة نومها، لذا مرت

نحو نصف ساعة قبل أن يتمكن من اخبارها عن المحنة التي وقع فيها.

قال لها: «لقد أصيبت شقيقة أنا بنوبة قلبية، وليس هناك من أحد ليهتم بها سوى أنا، وتعتقد أنها لن تتمكن من العودة قبل أسبوع، اتصلت بالوكالة التي احضرت منها أنا، لكن الأمر لا يبدو مشجعاً جداً، كل الأشخاص الدائمين لديهم في وظائفهم، واثنان من ممرضات الطوارئ مصابتان بالأنفلونزا، اللعنة على المتاعب.» مزر يده بحيرة في شعره ثم نظر إلى اليكس وأضاف: «لكن لا بد أنك تريدان المغادرة، يبدو أن هناك وجبة طعام جيدة في انتظارنا، قد يعاودون الإتصال من الوكالة، لذا، ربما علينا أن نأكل.»

أتى اتصال الوكالة في منتصف تناولهما الطعام، عاد ماركوس في النوم وهو متجهماً.

قال: «أخشى من أنه لا يوجد مفر، العرض الوحيد الذي استطاعوا تقديمه للأسبوع القادم هو تأمين شخص من الثلاثاء حتى الخميس، ذلك ليس كافياً، ببساطة على العودة إلى العمل نهاية الاثنين وأخذ فرصة بقية الأسبوع كله، على تحسين بيانين مهمين مهمين.»

سألته: «ماذا عن السيدة التي كانت هنا اليوم؟»

قال: «السيدة أرتون؟ إنها تعمل عند اناس آخرين أيضاً، كان توقفت حالة الطوارئ التي حصلت اليوم جيداً، لأنه نهار السبت، لكنها لا تستطيع التخلي عن التزاماتها الأخرى طوال الأسبوع.»

أخذ يتناول بعض الفراولة بصمت لفترة من الوقت فيما كانت اليكس منشغلة بأفكارها الخاصة، كانت على وشك أن

تتكلم عندما قال: «أفكر في شخص أو اثنين من الأشخاص المحليين قد يشغلون هذه الوظيفة لمدة أسبوع. عندما يحين موعد تناول القهوة، سأتناولها في مكتبي، إن كنت لا ممانعين وأقوم ببعض الإتصالات.»

استطاعت اليكس سماعه، فيما كان يرتشف قهوته وهو يجري اتصالاً تلو الآخر، ومن التحركات التي تناهت إلى مسمعيها عرفت أنه لم يلق نجاحاً.

قال بمرارة، عندما عاد إلى غرفة الجلوس: «لم يمر علي من قبل أناساً منشغلين إلى هذا الحد. فهم جميعاً إما مرتبطون بمواعيد خلال عطلتهم أو ينتظرون قدوم ضيوف يزورونهم أو مدعوون لحفلات زفاف خلال الأسبوع.» نظر إليها وقال: «إسمعي، لا تدعي ذلك يؤخرك. فليست هذه مشكلتك، سأوصلك إلى المحطة عندما تصبحين جاهزة.» سكت له المزيد من القهوة. ثم استجمعت شجاعته وقالت: «أعرف شخصاً ليس منشغلاً.»

نظر إليها، فقالت ببساطة وقلبها يخفق بقوة: «أنا.» حلق بها، ثم قال رافضاً الفكرة: «تعنين، حسناً، لكن لا اعتقد أن أياً منا يستسيغ الفكرة، أليس كذلك؟ اعتقد أن الأيام القليلة الماضية تضمنت ما يكفي من المشاكل دون اطالة الوضع.»

صدمت اليكس من موقفه، فقالت باقتضاب: «لم أكن أفكر تماماً في التفاوض. كنت أقدم فقط عرضاً يتناسب مع الظروف الراهنة.»

قال: «أدرك ذلك.» تجهم بتركيز ثم أضاف: «ما زال هناك اصدقاء قد يكونون على استعداد لأخذ رعاية بيكي

على عاتقهم، رغم أنهم لا يستطيعون العيش هنا، حيث عليهم العناية أيضاً بالكثير من الدواجن.»

سألتها: «هل تتذكر دواجنك التي اشتريتها مؤخراً؟ رعاية بيكي بعيداً عن هنا يعني إبعادها عن ميسترال ولاسكو بهذه السرعة بعد وصولهما مباشرة، ألا يبدو ذلك نوعاً مذهباً من التعذيب؟»

«افنعيني أنك حقاً تريد البقاء.»

قالت اليكس بتوتر: «يمكنك أن تنسى تلك الفكرة. لقد شجعني التدريب الذي قمت به للإستجابة للحالات الطارئة، هذا كل ما في الأمر.»

وقف غارقاً في بحر أفكاره لبرهة. ثم قال أخيراً: «سأحاول الاتصال بعائلة هاركورتس.» وغادر الغرفة. نبت اليكس لو أنها لم تتقدم بعرضها هذا، لقد اكتشفت أنها كانت حقا لتفكر في هذا الطلب.

عاد في الحال أشعث الشعر تقريباً. فقال: «أنت محقة بما قلته حول الجوادين. أنظري، هل تعتقدين حقاً أنك تستطيعين تحمل البقاء هنا؟ أكره أن أطلب منك ذلك، لأنني أعرف كيف تشعنين حيال الأمور.»

لجأته بهدوء: «أنت لم تطلب أنا عرضت عليك. ونعم، أستطيع تحمل البقاء هنا.» ولأن لهجته كانت جارحة، أضافت: «على أية حال، لن تكون هنا، أليس كذلك؟ ذلك يجعل الأمور أسهل.»

نعم قائلاً: «مغرورة كما أنت دائماً.» تجاهلت ما قاله، ولما شعرت فجأة بتعب شديد.

قالت: «والآن، إن كنت لا تمانع، أريد أن أنظف هذه

الفصل الثامن

استيقظت اليكس باكراً صبيحة اليوم التالي قلقة تجاه الأسبوع القادم. كان المنزل هادئاً يلغى السكون. أخذت تراقب من نافذتها لبرهة الخراف على البساط الأخضر في التلة المجاورة. وقررت النزول إلى الطابق السفلي لتتعرّف على المطبخ قبل أن يتوجب عليها فعلاً القيام بأي شيء هناك. وجدت أن أنا قد تركت قائمة بالحاجات الخاصة المتنوعة التي تحتاجها بيكي للمدرسة، وقائمة اقتراحات مفيدة عن الوجبات مشيرة عن الأطعمة المتوفرة في البراد والأشياء التي يجب شرائها. كان المطبخ مرتباً، والخزائن نظيفة حيث يشير كل شيء فيها إلى مستوى العناية التي وفرتها أنا وبأنتها مثال يحتذى به.

شارفت الساعة على الثامنة صباحاً عندما وضعت الفطور على الطاولة. أعدت الشاي وحملت الصينية إلى فوق. سكبت الفينجان الأول فور وصولها، وقرعت باب غرفة نوم ماركوس. لم يكن هناك من ردّ فوري، لذا تنهّى إلى مسمعها صوت الماء الجاري في إحدى غرف الحمام، وانترضت أن ذلك الصوت منبعث من غرفته. فتحت الباب بهدوء ودخلت الغرفة دون تردد، أحست بالصدمة عندما وجدت أن ماركوس مازال مستلقياً في سريره، ووجهه ناحيتها فيما كانت يده مطوية تحت رأسه الجميل. ومضت تنظر إليه وهي تفكر كيف بدا وجهه محبباً وقد زالت خطوط

لصحنون وآوي إلى الفراش. ربما ستريني المكان الذي سأنام فيه.

قال: «قبل أن أفعل ذلك، من الأفضل أن أذهب وأحضر أرينج روفر أو أنك لن تحصلي على بيجامتك التي تزينها صورة الفارة، لا حاجة لأن تزعجي نفسك بتنظيف الصحنون. في امكاننا أن ننظفها غداً، إن كنت تشعرين بالتعب.»

قالت له بفضاضة: «غسل الصحنون لا يزعجني. إنني فقط لا أشعر برغبة في البقاء هنا والتحدث.»

قال: «حسناً، لن أتأخر.»

حملت اليكس فنجانتي القهوة إلى المطبخ. ماذا فعلت؟ ما الذي دفعها لتقدم ذلك العرض المجنون؟ وضعت الصحنون وهي تعرف تماماً الجواب عن هذا السؤال. ولم يكن في الأمر أي عمل نبيل. كانت هناك أمنية جنونية في داخلها، وكم هي نادمة عليها الآن، لأن تستمر تجربة الأيام الماضية، وإن لا يفترقا.

حسناً، لقد كانت حمقاء. والآن عليها أن تدفع ثمن ذلك. كان عليها أن تأمل في أن تتمكن من دفع الثمن.

القساوة والصرامة التي تعودت رؤيتها عليه لتبدو رقيقة وهو يقط في نومه. وضعت الفنجان بهدوء على الطاولة هي تتساءل إن كانت مزيج الستائر وتوقظه أو تمضي في سبيلها. كان القرار عائداً لها. لكن الجلبة الصغيرة التي أحدثها الفنجان جعلته يستيقظ حيث فشل قرع الباب في إيقاظه. تحرك وفتح عينيه وظنت لوهلة أنه سيبتسم لها، وحالما تحقق من شخصية من كان في غرفته، استعاد وجهه النظرة القاسية المألوفة لديها وجلس فجأة قائلاً: «ماذا تفعلين هنا؟»

قالت: «استيقظت باكراً وأعددت الشاي». وأشارت إلى الفنجان الذي إلى جانبه.

قال: «هكذا أذا، إشارة أكيدة على عودتك إلى تلك المنيئة». تناول الفنجان ورشف رشفة طويلة وهو يتأملها. كانت اليكس ما زالت مرتدية بيجامتها. ولم تكن المرة الأولى التي ترى فيها ماركوس عاري الصدر كما هو الآن، كما لم تكن المرة الأولى التي تتحدث معه قبل أن ينهض ليرتدي ثيابه. شعرت اليكس أنها قد فعلت شيئاً طائشاً واستفزازياً تقريباً. شعرت أنه كان يفكر ضمن هذا الإطار فيما كانت عيناه الرماديتان تنظران بثبات نحوها.

قالت: «اعتقدت أنك في الحمام. لهذا السبب دخلت. لقد قرعت الباب مرتين». وسارت نحو النافذة وسحبت الستائر الثقيلة قائلة: «لا بد أن بيكي قد استيقظت.»

كانت تشدد على تلك النقطة لتحول الانتباه الذي قد يفسر خطأ، فبيجامتها المشهورة برسم الفأرة عليها بدلاً من أن تبدو محتشمة بدت رقيقة وملتصقة بجسمها.

سألها وكأنه يقرأ أفكارها: «أليس عندك عباءة نوم؟» قالت: «لم أحضر واحدة معي.» قال: «إذا نظرت في الخزانة ناحية يدك اليسرى، ستجدين بيجاما خضراء من الكشمير لم أرتداها قط. يمكنك استعمالها بينما أنت هنا.»

أخرجت اليكس عباءة النوم وارتدتها بسرعة. لامس بزلها الأرض فيما تدلت أكمالها. كانت فعلاً محتشمة. قالت باختصار: «شكراً» وجعلت طريقها نحو الباب وهي تنوي أكمالها.

توقفت ونظرت إليه بعد أن ناداها قائلاً: «لست في حاجة باليكس لاختلاق الأعذار لتحضري لي الشاي في الصباح. إن هنا للاهتمام بأمر بيكي وليس بي.»

وردت منزعجة وقالت: «أحضرت الشاي لنا جميعاً.» قال: «لكن بيكي لا تشرب الشاي.»

لم أكن أعلم هذا. سأذكر ذلك في المستقبل وأعد لثاي لنفسي فقط. لست في حاجة لترغم نفسك على شربه. لم تكن تريد ذلك. سأخذ الفنجان من طريقك.»

قال فيما كانت تستدير لتتوجه نحو الباب ثانية: «هناك شيء آخر.» توقفت ونظرت بتمرد نحوه، وقالت: «نعم؟»

قال: «هناك أمر ما زال يقلقني. اعتقد أنه من الأفضل تنقية الجو حيال هذا الموضوع قبل أن يستفحل أمره. يؤدي إلى سوء تفاهم. من المؤكد أن أنا ستعود إلى هنا. بالطبع سترجع. أنت قلت انها ستغيب لمدة أسبوع.»

قال وقد نظر بثبات نحوها بعينه الرماديتين: «خطر لي أن حاجتك إلى وظيفة ومقارنة إلى سهولة العمل هنا، قد

تعمدين لانتهاز فرصة بقاءك هنا هذا الأسبوع لتمضي قدماً في الاستمرار في العمل. وتفكيرك في هذا الاتجاه ليس بالفكرة الجيدة..

«هل تعتقد حقاً أنني قادرة على التخطيط هكذا؟»

قال: «كانت أختك تبقي تفكيرها منصباً على الإهتمام بمصالحها الخاصة. ربما تكون ميزة في العائلة تشاركينهم بها..»
قالت منفعة: «التفكير كذلك يعكس الخزي عليك بدلاً مني. لا أتعهد العمل هنا بشكل دائم للحصول على فدية كبيرة. في الواقع بعد بداية يوم كهذا. بدأت أتساءل لماذا عرضت أن أبقى هنا؟»

فتح الباب فجأة وبدا صوت بيكي مشرقاً حيث قالت:
«صباح الخير! ها أنتما هنا!»

كانت ترتدي سروالاً وسترة وقد احتضن المسمماكان ساقيهما النحيلتين، لكن وجهها كان يشع حماساً واشواقاً.
قالت اليكس بنعومة: «صباح الخير، يا بيكي..»

أمسكت بيكي بيدها وقالت: «يا اليكس ويا عمي ماركوس، لن أكون مصدر إزعاج. أعدكما، لكن مضى على وجود ميسترال هنا اثنتي عشرة ساعة حتى الآن ولم أمتطها بعد بشكل جيد. لذا هل يمكننا الخروج وبسرعة...؟»
قال لها ماركوس: «يا لك من فتاة عديمة الصبر! علينا أن نرى إن كانت اليكس تفكر بركوب الجواد قبل تناول الفطور.»
قالت اليكس بثبات: «لا تعتمد علي. سأعد الفطور، بينما تكونان في الخارج. بعدها تعودان جائعين جداً وسيكون حينها كل شيء جاهز..»

قال ماركوس: «من الأفضل أن تذهبي وترتدي ثيابك يا بيكي. هل اغتسلت جيداً؟»

قالت: «آه، يا عمي ماركوس! بالطبع. لقد كنت أغتسل جيداً منذ أمد طويل حتى الآن..»

قال: «هيا بسرعة إذا.» تبعت اليكس بيكي، لكنه ناداهما ثانية قائلاً: «مهلاً يا اليكس، دقيقة فقط.»

أجابته: «اعتقدت أن كل شيء في حاجة للقول عنه قد قلناه..»

تدلت رجلاه عن السرير ورفع سروال بيجامته ووقف ينظر إليها ويداه على خصرته. قال: «ربما قيل الكثير، لكن تجربتي مع بنات جنسك دفعتنني إلى الشك بدوافع كل شخص.

اني أعترض، إن كنت على خطأ وقد تسببت بجرح مشاعرك..»
«أؤكد لك بأنه ما من حاجة لأن تخلط بيني وبين أختي عندما ينتهي هذا الأسبوع، لن تكون لتطلب مني أن أرحل، سأكون في طريقي ولن أتأخر دقيقة واحدة.»

«إن اخترت تجاهل طلب الاعتذار، فليكن كذلك، لنغير الموضوع، فيما يتعلق بمهمة ركوب الجواد، لم أكن أقترح عليك المجيء معنا لمظاهر اجتماعية. أردت أن أريك أفضل الطرق التي تسلكينها، عندها سأعرف بأنك أنت وبيكي سوية على ما يرام عندما أكون مرتبطاً بعمل آخر. لذا أكون مسروراً إن قبلت ولو مكرهة بالمجيء معنا.»

قالت اليكس بقساوة: «كما الحال دائماً، أنت الرئيس.» غادرت غرفته، وأقفلت الباب وراءها بنعومة متناهية، بينما كانت مشاعرها تدعوها لأن تصفع الباب في وجهه.

كان للهواء النقي وحماس بيكي الزائد للقيام بالجولة، الأثر في جعل اليكس تنسى ما لحقها من أذى.

امتطى ماركوس فرساً كبيرة. كانت اليكس على ظهر لاسكو، فيما بيكي كانت تنهب الأرض على ظهر جوادها

تقاربين مثال الطفل. شابة، جميلة، تركيبين الخيل وفوق هذا كله تبدين وكأنك حورية تخرج من البحر على ظهر جواد أبيض تماماً كما في القصص الخرافية السحرية.»

قالت: «أتوقع أن بيكي ستعلم تدريجياً بأن الزواج يعتمد على إثنين يقبلان ببعضهما البعض.»

«أتوقع أنها ستفعل ذلك، ولكن هذه مفاجأة غريبة كلياً عن عالم قصص الأطفال كما نعلم جميعاً. من الأفضل اللحاق بها الآن فأنها تمضي بعيداً أمامنا.»

سحنت الفرصة الأولى لاليكس لترسي دعائم نظرية «ارتباطها الآخر» عندما اقترح ماركوس أن يقودها إلى محل لتناول الشاي والحلوى عشية يوم الأحد، عندما قالت فجأة، وهي تعرف أن بيكي تنظر إليها: «سابقى هنا، إن سحنت لي، علي أن أكتب رسالة إلى أمبروز.»

سألت الطفلة على الفور: «ومن يكون أمبروز هذا؟»

قالت: «صديقي.»

قالت بيكي غاضبة: «إنني لا أحب اسمه.»

حضرها ماركوس بحزم قائلاً: «هذا قول فظ، يا بيكي.»

قالت: «سفة، هل لي أن أرى صورتها؟»

كانت اليكس مجبرة على القول: «أخشى أن ليس معي صورة له، فلم يكن هناك متسع لها في حقيبتني.»

ساد الصمت لحظة قالت بيكي بعده: «لِمَ لم يأت معك؟»

قالت لها: «لا يسع الأطباء دائماً أن يأخذوا عطلة عندما يريدون ذلك.»

أجاب بيكي: «ألم يطلب منك الانتظار حتى تسنح له الفرصة ويأتي برفقتك أيضاً؟»

وب ماركوس لنجدتها قائلاً: «بيكي، ان استمررت في

ميسترال أسرع منهما، لقد تعلمت بسرعة درجة التحكم المطلوبة على الجواد الصغير، وها هي الآن تعود نحوهما لتدور حولهما وتسير بينهما وعلى ثغرها ابتسامة مشرقة.

قالت: «أليس هذا امرأ محبباً؟ نحن الثلاثة كاب وأم وطفلتها. عائلة حقيقية.» وتركتهما لتعود بجوادها بهدوء، تاركة اليكس تبسم ساخرة للكلمات البريئة فيما بدا وجه ماركوس متجهماً.

قال: «ربما كان علي أعدادك لهذا المنحى الخاص.»

تصلبت اليكس وقالت: «هل تعتقد أنني أخذت ما كانت تقوله الطفلة على محمل الجد. هيا يا ماركوس! كانت ملاحظة طفولية دون تفكير. فهي لم تقصد ذلك.»

قال: «لست متأكداً حيال ذلك. منذ خاضت محاولات زواجي أكثر من مرة. ولم تكن علي علم كم هي فكرة الزواج غير ملائمة بالأخص في هذه الحالة.»

قالت باقتضاب: «لا تقلق. سأحرص على جعلها تعلم أنني على علاقة بشخص آخر.»

«قد تبدو بيكي أكبر من سنها، لكنها الوحيدة في مدرستها من دون أم وهذا الأمر يجعلها عرضة للتأثر. إنها بمثابة صفحة بيضاء وهي مصممة على أن أملا سطون لها، وكان هذا واحداً من الأسباب وراء عدم رغبتني في بقاءك هنا. وبمعاني عن أي افتراضات من ناحيتها، وإن كانت لا تعني لك شيئاً، لكنها في النهاية ستؤذي بيكي.»

«اعتقدت أنك تأكدي بأنني سأكون ملزمة بالوضع، لكن ماذا عن أنا؟ أليست معنية بهذا الدور أيضاً؟»

«أنا أكبر منك سنًا بمرتين. وهي أكثر من جذة لها. كما وأنها لا تهتم بالجيار لسوء الحظ أنت كما أنتخيك،

طرح الأسئلة طويلاً، لن نحصل على الحلوى ولن نحصل أميرور على رسالته. أمسك يد الطفلة وقادها بحزم نحو الباب، ونظرة عينيه تقول لاليكس، ألم أقل لك ذلك؟ تلك الليلة لاحقاً، بعد أن أوت بيكي إلى فراشها، طرح موضوع دفع أجرتها، الأمر الذي أغضب اليكس لأنها تقدمت بعرضها للمساعدة فقط وليس تمديداً للعمل الذي تتقاضى أجراً عليه. قالت، وقد شعرت بالندم للكلمة التي قالتها: «عرضت المساعدة كصديق».

قال: «أنت تعرفين حق المعرفة اني لا أسمع لك أن تفعلي ذلك». بدت كلماته وكأنه يشير إليها كم هو مستحيل بالنسبة إليه أن يعتبرها كصديقة. توردت من شدة الإرتباك. وقالت له بنزق: «إذا، ادفع لي ما تعتبره مناسباً لخدم».

استهل كلامه قائلاً: «بالطبع، إنني لا أنظر إليك كخادم...» قاطعته قائلة: «لا أريد الخوض في هذا الموضوع. صمم الرأي طالما أنت افترعت هذه المشكلة ولا تتوقع مني أن أفأوضك كعامل في مكان».

«أرى أنك قررت أن تكوني صعبة للغاية».

قالت: «صعبة فقط لأنك تجبرني على أن أكون كذلك».

وخرجت هذه المرة وقد صفقت الباب وراءها بقوة.

كان لها ما أرادت، فقد كان لدى ماركوس أسبوع حافل بالعمل. ولم تره إلا قليلاً. كان يتناول طعامه خارج الدار ويعود في المساء بعد أن تكون قد أوت إلى فراشها.

في يوم، وفيما كانت جالسة في غرفة مكتبه، وجدت على طاولة مكتبه صورة ضمن إطار فضي جميل، تضم الزوجين الباسمين والدي بيكي.

وقفت اليكس تنتظر إليها حزينة لما آلت إليه هذه الإبتسامة التي فارقت الحياة. على الأقل انهما يرقدان وهم على ثقة أن هناك من يحسن العناية بابنتهما. ليس هناك من عم لديه هذا الشعور الصادق مثل شعور ماركوس تجاه بيكي. ومهما كان ما تحمله اليكس ضده، فانها بالتأكيد لا تنكر عليه ذلك.

لقد أحبت الرجل. فقد كانت تمضي الساعات الطوال تقوم بالمهام الصغيرة والتي هي خير دليل على ذلك، من وضع الزهور على مكتبه، وتقديم صينيّات العشاء والتي كانت تعود إليها في الغالب دون أن تمس، إضافة إلى غسل ملابسه.

سألت نفسها باحتقار عندما تيقنت مما كانت تفعله تعبّين دور الزوجة وليس كذلك؟ أيتها الغبية! الخائنة والحمقاء التي لا تعرف الحجل! لذا تعمدت ليلة الأربعاء ألا ترسل له صينية العشاء.

دخل عليها بمكابرة قبل أن تأوي إلى فراشها وأرغمها على أن تعد له شيئاً قائلاً: «إن كنت لا تمانعين أمر سهل، أن نحضري لي شيئاً للأكل».

ورمى بنفسه على الكرسي وأدار جهاز التلفزيون ليشاهد الأخبار، فيما هي مضت نحو المطبخ لقطع بعض الخبز وتضع في داخله لحم الدجاج.

عندما سكبت له القهوة وحملت فنجانها لتأخذه معها إلى نرق. قال لها: «إبقي هنا واشربيه معي».

قالت: «حسناً. فقط لعدة دقائق».

سألها: «هل بيكي بخير؟»

قالت: «إنها بالف خير، تغط في نومها الآن».

قال: «سأزورها عندما أصدق لاغتسل من غيار المدينة. هل أنجزت فروضها؟»

قالت: «لقد ساعدتها قليلاً في ذلك.»

«عادة يوم الاربعاء يوم سيء. يا لبيكي الطيبة.»
استمعنا لبرهة إلى الأخبار وعندما نظرت إليه اليكس وجدت عيني ماركوس مغمضتين. بدا متعباً جداً. كان ما زال حاملاً فنجان القهوة في يده وقد مال على نحو خطر. نهضت وحاولت أن تأخذ منه الفنجان بلطف.

مفهمت الأهداب الطويلة وانفتحت. وارتسمت ابتسامة دائئة وصادقة غير متوقعة مما جعل قلبها يخفق شوقاً.
قال: «أسف. لقد كان يوماً عصيباً. إنه لأمر غريب أن

أفتح عيني وأجدك هنا وليس لائقاً أن أدعهما يغمضان.»
قالت اليكس بهدوء: «إن تكون لائقاً ليس أمراً يظهر بقوة على جدول الأعمال بيننا، اليس كذلك؟»

امسك معصمها وقد اختفت الابتسامة ولمعت عيناه بخبث قائلاً: «أنت لا تدعين شاردة تفوتك، اليس كذلك؟»

ركزت على ألا تتأثر بلمسته وقالت: «لا أستطيع إلا أن أكون واقعية. هل ترغب بالمزيد من القهوة؟»
اطلق يدها وقال: «سأندبر أمري عندما تغادرين المكان.»

سألها حالما وصلت إلى الباب: «هل اتصل احدهم؟»

أجابت: «لا، اجريت اتصالاً واحداً مع أهلي.»

قال بتوتر: «ليس عليك أن تقدمي تقريراً عن كل اتصال تجريئه، هل أخبرتهم عن مكان وجودك؟»

قالت باقتضاب: «لم ادخل معهم في التفاصيل.»

«ألا تتمنين لو أنك توقيت الحذر تجاه مالك؟ فقد قدان المال لم يجعل الحياة سهلة بالنسبة لك.»

قالت: «أو أنت، على أي حال، من قال أن الحياة سهلة؟»
قال: «خبرتي حتى الآن لم تبرهن انها هكذا.»

كما في كل مرة، لم يتوصلا إلى اتفاق طوال الوقت الذي بقضيانه سوية.

توجهت اليكس في اليوم التالي إلى ايستبورن وحصلت على مجموعة من اعلانات للوظائف حول طبيعة عملها. كان عليها ان تفعل شيئاً لتحول تفكيرها تجاه مستقبلها الحقيقي بدلاً من العيش مع أسطورة مستحيلة. أخذت أوراقاً ومغلفين معها وجلست في مقهى يطل على البحر لترسل طلبتي توظيف.

دخل ماركوس تلك الليلة قبل أن تمضي بيكي إلى فراشها. كان يحمل كيساً من الورق وقد وضعه بين يدي لطفلة وهو يقول: «اعتقد، ان في داخله شيئاً تتمنيه.»

فتحت بيكي الكيس برغبة وأطلقت صيحة من الابتهاج نباحاً سحبت بيجاما عليها رسم قارة.

قالت مستغرقة بفرح شديد: «آه، رائع، يا عمي ماركوس! انظري يا اليكس، تماماً مثل بيجامتك!» نهضت متعثرة ورمت ذراعيها حول ماركوس قائلة: «انها رائعة! شكراً لك سأرتديها الليلة، الآن.»

صعدت السلم بأسرع ما يمكنها، فيما احضر ماركوس كيساً آخر ووضع على الطاولة امام اليكس قائلاً: «هذه لك. دليل تقدير، ان احببت.»

فتحت اليكس الرزمة بقليل من التحسب. لتخرج منها

غلالة من الحرير والدانتيل المخرم، خضراء اللون، الأكثر اغواءً قد يمتنى أي شخص أن يراها. لكن اليكس حدثت فيها وكأنها حية رقطاء تخرج من الكيس.

تطلعت بعينيها اللامعتين احتجاجاً نحو ماركوس وقالت: «ما هذا؟»

أجاب دون مبالاة: «تعبت من رؤيتك وتلك الفأرة اللعينة تزحف فوق صدرك لقد كنت ترتدينها منذ غادرنا الكامارغ. لقد حان وقت غسلها.»

قالت اليكس بطريقة مؤذية: «بالطبع، قد غسلتها، لدي منها زوجان متشابهان.»

قال: «إذاً، حان الوقت المناسب للتغيير، اليس كذلك؟» وضعت الثوب، في الكيس ودفعته على الطاولة نحوه سألها: «ماذا أفهم من تصرفك هذا؟» ارتفع صوتها قائلة: «بأنني لا أقبل هديتك. كان عليك أن تعرف كم هو غير لائق أن تعطيني شيئاً كهذا.»

قال مستغرباً: «توقفي عن التفكير بطريقة سخيفة لقد رأيت الاثنين في واجهة المحل واشتريتهما دون تردد. ولم يكن هناك من معنى وباعث خفي وراء ذلك.» «لقد قطعت مسافة طويلة اليوم خارج المدرسة لأصحح ما قالت بيكي في وصفي لصديقتها أيما بأني أعيش مع العم ماركوس. ان وصل خبر هذه الهدية إلى المدرسة عندها ستصدق الاشاعة وتضيق جميع جهودي سدى.»

نظر بطريقة مؤذية نحوها وقال: «هل الأمر فعلاً بهذه الأهمية أن تثرثر بعض اطفال المدرسة عنه؟» قالت: «لا بد أن الأمر يعني لك الكثير حتى لو أن طفلاً

واحداً حصل على أفكار خاطئة، إذا كانت بيكي ذكية جداً، ألن تأخذ هدية كهذه بأنها ايماءة حميمة جداً بالفعل؟» في غمرة انفعاله دفع الرزمة على الطاولة لتستقر في حضنها. وقال: «ما تفعلين به لا يعني لي شيئاً. دعيه يتطاير على سارية علم المستشفى، اعطه إلى عامل التنظيفات.»

قالت اليكس: «لا تتصور أنني سأفعل غير ذلك!» امسكت الكيس وتوجهت نحو الباب وكأنها تحمل قنبلة لم تنفجر بعد.

قال لها: «افعلي ما بدا لك. لقد ارتكبت غلطة. لم أدرك بأنك امرأة متخلفة ذات عقلية تعود إلى العصر الفيكتوري.» «فكر كما تشاء. اني سعيدة لأقول ان أنا قد اتصلت بعد ظهر اليوم وستعود إلى هنا يوم السبت.»

قال: «شكراً على ذلك.» مضت إلى فوق مصممة على ألا تخرج من غرفتها تلك الليلة. سمعت ماركوس وهو يصعد ويتحدث إلى بيكي في غرفتها، ثم يعود ليقفل على نفسه داخل المكتبة. عندها فقط شعرت بالارتياح لتبدأ بترتيب الاشياء التي لن تكون في حاجة إليها ثانية، لوضعها في حقيبتها.

كانت قد غسلت شعرها وجففته وعلى وشك أن تخلع ثيابها وترتدي عباءة النوم الخضراء وتتدس في الفراش، عندما سمعت قرعاً ناعماً على باب غرفة نومها.

اسرعت اليكس إلى اطفاء النور وحبست انفاسها. قال ماركوس بصوت ناعم: «ليس امراً جيداً التظاهر بأنك نائمة، لقد رأيت النور، هيا يا اليكس.»

مضت ببطء نحو الباب وفتحته وقالت: «كنت على وشك أن آوي إلى الفراش.»
«اسمعي، كان ذلك جداً سخيلاً. لا يستحق الذهاب إلى النوم من أجله. لقد أعددت الشاي. تعالي وتناولي كوباً.»
قالت ببطء: «حسناً، إذاً.» وتبعته إلى الأسفل.
سكب لها الشاي ودفع بصحن من البسكويت بالشوكولا نحوها.

قال: «بادرة سلام. لم اقصد حقاً أن اضايقك. ربما كان علي أن اختار هدية اقل خصوصية. لقد رأيت قميص النوم في الواجهة وفكرت على الفور أن هذا هو لونك المفضل. ولم اكن اقصد شيئاً غير ذلك.»

فيما التقت عيناها بعينه الرماديتين، شعرت اليكس أن كل هواجسها قد ذابت. وقالت: «اعتقد أنني تمايت كثيراً في ردة فعلي، لا انكر بأنه كان شيئاً جميلاً.» وقد شعرت بأن كلمة «شوب النوم» كان مستحيلاً عليها قولها وفيها احياء مثير على المدى البعيد. ومن شدة خوفها بدأت يدها تهتز وهي تتكلم وكذلك صوتها. وضعت الفئجان واستدارت لتفر هاربة.

وقف قبالتها ومنعها من المغادرة قائلاً: «اليكس...»
كان تعبيره رقيقاً. وتأثرت بذلك مما دفعها إلى أن تشفق بصوت عالٍ وتمسح دموع عينيها بكم رובהا.

قالت: «لا اعرف ما الذي يحدث لي. أثور للحظة ثم أنفجر باكياً بعدها.»

تراجعت إلى الوراء وقالت: «لكنني اتوقع أن الدموع ونوبات الغضب حالة سوية للمسار عندما يجتمع واحد من آل سيوارد وآخر من آل ويكفورد.»

تغيير تعبيره بدا هزلياً، قالت: «اعتقد أنني سأخذ الشاي لاتناوله فوق.» والتقت عيناها اللامعتان بعينه قيما مبادرة السلام إلى سلاح للحرب.»
قال بشراسة: «امضي إذاً، اهربي! اللحظة واحدة اعتقدت فعلاً أنك كنت ستنسرين من أي عائلة أنت.»

«لا أظن أن أي واحد منا قادر أن يفعل ذلك يا ماركوس.»
طوى ذراعيه وراقبها وهي تمضي. عندما وصلت إلى الباب سمعته يطلق ضحكة مرة. «كثير عليك هذا التصرف المثالي.» عبارة سمعتها وهي تصعد الدرج.
بتصميم ملح، أخبرها ماركوس في اليوم التالي بأنه يسم على ألا يفترقا وهما متخاصمان. فهو سيأخذ عطلة في الظهر، حيث يمكنهما اصطحاب بيكي من المدرسة ويمضيان في نزهة إلى برلينغ غاب. نزهة صغيرة فقط، لأنه عازم على اصطحابهما سوية لتناول العشاء مساءً في الخارج. اعترضت اليكس بأنه ليس مضطراً أن يفعل ذلك، لأنها كانت تعلم أنه يعرف هذا ولكنه عليه أن يفعل ذلك. فكرت في أن عندما رحل واعتقدت أنه لا بأس في ذلك طالما أن بيكي ستكون معهما طوال السهرة. فوجود الطفلة معهما ساعدها كثيراً في السيطرة على نفسها.

كانت النزهة جيدة. مع أن اليكس فكرت أن قلبها كاد ينخلع بها كانت تراقب ماركوس وبيكي. كانا كلاهما عزيزين عليها... فكرت في صورتها التي ستبقى في ذاكرتها لتعذبها في أحلامها فيما قد تصبح عليه طيلة حياتها.

لكن، بدا ان كليهما لم يكونا في هذا الوارد. فالمحادثة السطحية كانت أفضل ما توصلنا إليه. كانت اليكس تجد صعوبة كبيرة في تناول طعامها على الرغم من أنه كان طعاماً شهيئاً. وكلاهما اعتذرا عن قبول الحلوى من صينية ضخمة جلبت إلى طاولتهما.

لقد بذلت جهداً كبيراً لترفع كأسها وتقول: «هذا نخب مستقبل خالٍ من المتاعب يا ماركوس..»

رفع كأسه بايماء ظاهرة وقال: «سأشرب ذلك، لكن دون إيمان كبير بحدوث المعجزات، مهما كان حجم ما يفعله ذلك بالنسبة إلى طفلة مثل بيكي ورجل لديه الكثير من الأعمال ليقوم بها..»

أخفضت اليكس عينيها وسألته: «هل فكرت يوماً أن تفعل ما تريد بيكي منك ان تفعله، الزواج؟»

شعرت ان الصمت أصبح مهزأ للمشاعر، وان يكسر جداره تحطم كأس ماركوس الفارغة في يده المشدودة عليه. بدا وكأنه غير عالم بما فعله. قالت بصورة واهية: «لقد عنيت فقط أن الأمر سيكون اسهل بكثير عليك، فإن بيكي محقة في ذلك..»

قال بقوة: «هل هذا ما يعنيه الزواج لك؟ الحياة سهلة؟ ولا وجود للمتاعب اطلاقاً؟»

قالت: «أنت تحرف سؤالاً بريئاً تماماً..»

قال: «إذا دعيني أجيب عن سؤالك البريء برد تهكمي. لقد تعلمت بسرعة ان جنسكن بعيد عن العيون الحالمة عندما يأتي الأمر إلى الزواج. فرجل يملك منزلاً جميلاً ولديه ابنة اخ تحتاج إلى عناية اكثر مما يحتاجه الطفل العادي، أمر

كانوا يستعدون للذهاب وتناول العشاء في الخارج، عندما جاء ماركوس إلى غرفة اليكس ليقول ان بيكي ليست على ما يرام. فهي تشعر بأنها مريضة وتريد الذهاب للنوم. اخبرته اليكس قائلة: «إذا يجب علينا أن نلغي حجز الطاولة لهذه الليلة، فهناك لحم في البراد..»

قال: «لكن بيكي لا تريد ذلك. في الواقع لقد اتصلت بالسيدة آرلتون حتى قبل أن تخبرني بأنها متوقعة وطلبت منها أن تحضر وتجلس معها. وهي تقول انها لا تريد أن تفسد علينا الأمسية.» أخذت اليكس على حين غرة بهذه المبادرة. وقررت بعد لحظة قائلة: «لا أبالي اطلاقاً في البقاء هنا..»

قال لها وهو ينظر إلى ثوبها الأسود، فيما الشال الايطالي يتدلى من يدها: «لكن بيكي تبالي كثيراً جداً، لا، أنت على أهبة الاستعداد. اعتقد ان علينا ان نمضي قدماً فيما خططنا له، فليس من خطب ينال بيكي حتى وإن يكن ذهابها إلى النوم باكراً لن يشفيها..»

قالت: «إن كان فعل ذلك يسعدك...»

قال وهو يستدير لينزل إلى الأسفل: «لست سعيداً تماماً بأي شيء. إنما الأمر هو الاختيار بين أهون الشرين.» زانت شكوك اليكس حيال دوافع بيكي عندما دخلت إليها لتودعها. وقالت لها عندما رأت الثوب الأسود: «عمي ماركوس سيحب ذلك! إنه عاري الكتفين اليس كذلك؟»

قررت اليكس ان لا جدوى من قول أي شيء. فغداً سينتهي كل ذلك وستعود بيكي لتستقر ثانية بين يدي أنا.

لم يجد كلاهما هي وماركوس بأن الأمسية سهلة. فالكهف الذي كانا يجلسان فيه كان معداً للجلسات الحميمة.

غير مرغوب فيه. ولأعيد عليك ما قلته أنت حرفياً، حتى ولو كانت «فدية كبيرة» لن تجعل عرضك قابلاً للتنفيذ. تحمل ذلك لاسبوع هو أقصى ما يمكن لأحدهم أن يتقبله. مواجهة واحدة أو اثنتان من هذا النوع من التصرف تجعلان الرجل يتخلى سريعاً عما يسمونه الجنس اللطيف. فانا وبيكي سنتدبر أمورنا على طريقتنا. لكن كفانا حديثاً عني. دعينا نتكلم عن واحدة قد احسنت تنظيم حياتها جيداً. أخبريني كيف حال ايلين هذه الأيام؟»

اصيبت بالذهول عندما سمعته يذكر اسم اختها بهذا القدر من السخرية. جاوبته باختصار: «إنها بألف خير.» «واحدة من المحظوظات في أن تجد شريكاً مناسباً؟» «أجل، ولقد سبق وعلقت على ذلك. لا اعتقد أن هناك شيئاً تكسبه من وراء مناقشة أمر أختي، ليس كذلك يا ماركوس؟» «اني سعيد لأعرف بأنها سعيدة. من المؤكد أنك لا تجدني خطأ في ذلك؟»

قالت اليكس باهتياج: «سعادة ايلين توقفت على أن تكون امرأ يعينك منذ وقت طويل.» قال وقد التقت عيناه بعينيها رافضاً ان يدعها تنظر جانباً: «ومع هذا يبدو أنك ما زلت تحملين ضغينة تجاهي لما حدث منذ أكثر من سنتين. إنني اجد ذلك امرأ غريباً.» ارتفعت حدة غضب اليكس، مما جعل الشرر يتطاير من عينيها وقالت: «أمر غريب؟ لو أن تلك الأمور لم تحصل بينكما أنت وايلين، لكانت بقيت في هذا البلد. كيف تتوقع ان يكون شعورنا؟ إنها اختي الوحيدة وبالكاد استطيع رؤيتها. فوالداي لديهما حفيد ولم يتعرفا عليه بعد.»

قال: «الواقع أن ايلين شعرت أن هروبها كانت غلطتي. إذا لم تستطع أن تقوى على ما حدث. فالأمر عائد إليها. فانا ما زلت هنا.»

قالت بهدوء: «لست بصدد مناقشة ما حدث بينك وبين ايلين. ارجب في العودة إلى المنزل يا ماركوس.» قال: «الا تعنين أنك تريدين العودة إلى شاستس؟ حسناً. هذه الليلة كانت غلطة. وهذا الاسبوع برمته كان غلطة. والغلطة الأكبر من هذا كله هو انسياقي وراء الفكرة بأنك يمكنك أن تأخذي مكان ليز.»

نهض واقفاً ليسحب كرسيها إلى الورا. فقالت: «واافقك الرأي. على أية حال، شكراً لك على هذا العشاء.» «العشاء في زنزانة منفردة قد يكون أفضل من هذا.»

فيما نزلت من السيارة في شاستس. تعثرت اليكس بحصاة على الأرض مما انتف كعب حذاءها. فسقطت على ماركوس. ولم تكن هذه الملامسة الفجائية امراً يمكنها استراكه... وبدا ان كليهما لا يستطيعان استدراكه.

قال بوحشية: «لا تتكلمي! ما فائدة الكلام بيننا؟ فالكلمات لا تفعل شيئاً سوى التفريق بيننا خصوصاً عندما اعرف ان وراء كل هذه الكلمات يكمن هذا...» انحنى وقبلها وأحست بيران التجاوب تتأجج في داخلها. كانت شفتاهما، يداها وجسدها في شوق إليه كما هو حاله نحوها.

دفن وجهه في شعرها وقال: «منذ البداية لقد دفعني نحو الجنون. لقد حاربك وخدعتك وأقنعت نفسي بأنني كرهك. لكن تحت كل هذا لم اطلب شيئاً من ذلك. وأنت أيضاً تشعرين بذلك يا اليكس. ليس في إمكانك ان تنكري. فإني

أرى ذلك واضحاً في عينيك، واسمعه جيداً في صوتك.
واشعر به كهالة حول جسدك عندما اقترب منك.»
قالت بصوت مخفوق: «ماركوس...» دفعت صدره عنها
مستخدمة كل قوتها وتابعت: «لا فائدة من الأمر.
فالكلمات موجودة هناك سواء قلناها أم لا. والسبب
الذي فصلك عن أيلين كامن هناك كما هو الحال بيني
وبينك الآن. هذا ليس سوى جنون وعندما يخفني هذا
الجنون، ستكون الكلمات في انتظارنا حتى نسمعها جيداً.
فما من شيء سيتغير.»
حكمت ترعاء الطوق حولها وقال: «كيف يمكنك قول
هذا الآن، وأنت قريبة مني إلى هذا الحد؟»
سأته يانكسار: «وما الفارق إن قلت ذلك أم لم أقله.
فالوضع الذي يفرقنا لن يرحل غداً وكلانا نعرف ذلك.»
في تلك اللحظة فتح الباب بقوى ما تشع، سلسلة الأمان
المتصلة به تلقيا الضوء في المعمر وقد اتبع صوت السيدة
آرلتون وهي تقول: «هل هذا أنت يا سيد ويكتور؟»
تراجعت اليكس وقالت مرتعية: «لا أستطيع مواجعتها،
استعداد ماركوس سيطرته على نفسه وقتل بيته وهو
يتجه نحو الباب: «أجل، يا سيدة آرلتون. فقد دعيت اليكس
لنوها لتتفقد الجياد هل كل شيء على ما يرام؟ وهل أنت
جاهزة لأوصلك إلى المنزل؟»
سمعت أصواتهما تخفني تدريجياً داخل المنزل ودفعت
نفسها نحو الشجيرات. ولم تتحرك ثانية حتى خرجا من
المنزل ودخلا السيارة وشقا طريقهما في الظلام. ثم دخلت
المنزل بصمت ورأت صورتها الشاحبة في مرآة الصالة

وهي تصعد السلم إلى غرفتها. كان عليها الرحيل، وإن لا
تعرض نفسها للعزيب من العذاب مع ماركوس.
انتهت توضيب امتعتها. بعد ذلك، جلست اليكس عند
النافذة في الظلام تدرف الدمع ببطء على خديها وهي تعرف
أن شق الضياء طريقه في السماء. مضت بحذر إلى الطابق
الأسفل. لم يسمعها أحد. وتركت ملاحظة لماركوس تشرح
لها فيها أنها لم تجد وسيلة أخرى توصلها إلى المحطة.
يقول له أنه يمكنه أن يجد السيارة متوقفة عند موقف
لسيارات في المحطة. وكتبت ملاحظة أخرى ليبيكي تقول
نبيها أنها تكره الحفظات الوداع، ووعدتها أن تكتب لها عن
قريب، رسالة إلى بيكي فقط مرسلتها لها فقط.
مع تفرغ أيلين من البيت القديم الحبيب، انطلقت راحة.
ولم الفراق خلف المصوح. خلف الكلمات وقد جعل قلبها
ثيلاً وضخماً يحجم صخرة في صدرها...

الفصل التاسع

دخلت اليكس البيت بعد ما دفعت اجرة التاكسي التي أفلتها إلى منزل والديها وهي في طريق عودتها إلى كنقستن عن طريق البحر. لم يكن هناك أحد. لا بد أن والدها يمضي وقته بلعب الغولف بعد ما حثه الطبيب أن يلعب بحذر مرة واحدة في الاسبوع، وحدث تدفق الماء في الطابق الأعلى جعل الأمر واضحاً بأن السيدة ليوارد في الحمام. كانت اليكس سعيدة بأن لديها الوقت الكافي لتشرب فنجاناً من القهوة قبل أن تقول لوالدتها ان كل شيء على ما يرام. رن جرس الهاتف بينما كان ليريق القهوة يغلي على النار. التقطت السماعه وكررت رقم الهاتف تلقائياً. سمعت صوت ماركوس يقول: «إذاً، أنت هناك.» رمت السماعه جانباً وكأنها قد التقطت أفعى عن طريق الخطأ. لا يمكنها التحدث إليه. وادارت المصباح الآلي للهاتف، في الوقت المناسب، حيث رن جرس الهاتف ثانية. وبعد رنات ثلاث جاء صوت ماركوس هذه المرة هادئاً وقال: «اليكس، من الواضح أنك وصلت إلى المنزل بأمان، مع أنه كان من الأفضل أن تطلعينا على ذلك. عليّ أن اتحدث معك بشأن المال الذي ادينه لك. من فضلك تناولي سماعه الهاتف. كل ما اريده هو رقم حسابك في المصرف.» المال... هذا كل ما في الأمر. كان ألكم يفوق التصور أن يكون المال فقط هو ما تبقى بينهما لتسويته. أقفلت المصباح

الآلي. إن كان يريد التحدث عن المال، فيمكنها تقديم رأيها حيال هذا الموضوع. ويهدوء أكثر، التقطت اليكس سماعه الهاتف عندما رن ثانية وسمعتة يقول: «هكذا أفضل...» قبل أن تقاطعه قائلة: «لا أريد أن اتحدث معك بعد الآن يا ماركوس. لا بد أنك تعرف كم هو غير لائق أن تتصل بي في منزل اهلي. كما وأنني لا اريد مالك. هناك بعض الأشياء التي يمكن تعويضها ببساطة عن طريق المال. والاسبوع المنصرم كان واحداً منها. ارجوك لا تتصل ثانية.» عندها، ودون أن تعطيه فرصة ولو لثانية واحدة بأن يجيب اعانت السماعه إلى مكانها لترفعها من جديد وتتركها تتأرجح في الهواء.

لقت السيدة ليوارد نظرة واحدة على وجه ابنتها الشاحب عندما نزلت السلم وهي تثرثر بارتياح فيما كانت ترتشف نهوتها وتغضم بدون شهية قطعة من الخبز المحمص، سألتها أمها برفق: «هل كان اسبوعاً قاسياً؟ لا تبدين تماماً وكأنك عائدة إلى المنزل بعد تمضية عطلة جيدة.»

قالت اليكس: «قاسياً فقط لأنني لم أتعف مع الرجل الذي كنت أعمل معه. كان صراعاً ثابتاً بين طباع مختلفة وليست هذه الظروف بالأمر السهل.»

سألتها السيدة ليوارد غير مقتنعة: «إذاً، لماذا وافقت على البقاء لمدة اسبوع آخر بمجرد عودتك إلى انجلترا؟» قالت: «لأنني تعاطفت مع مشكلة الموظفين التي كانت بانتظاره. ولم أرغب أن ادعه يقوم بذلك وحده. اضافة إلى أن الفتاة الصغيرة التي كنت اعنتي بها كانت جميلة للغاية. على أية حال، لقد انتهى ذلك الآن. دعينا ننسى الأمر.»

كانت السيدة ليوارد تعرف اليكس جيداً وكانت متأكدة أن هناك أكثر مما كانت ابنتها ترغب في الإفصاح عنه، لكنها تيقنت من نبرة التصميم في صوتها ولم تسألها أية أسئلة أخرى.

عندما عاد السيد ليوارد من نادي الغولف وقد بدا أفضل بكثير، رأى اليكس وكان جل اهتمامه منصباً على تعنيفها لأنها لم تدعه يعرف شيئاً عن متاعبها المالية في الكامارغ. أخبرته اليكس بأنها لم ترغب في أن تقلقه، وذكرته بأنها أصبحت كبيرة كفاية لتحل مشاكلها بنفسها ثم انتقلت في حديثها عن بحثها عن وظيفة جديدة.

خلال الأيام التالية تدبرت أمرها ظاهرياً وفي وضوح النهار لكن في الليل كانت الكوابيس تنتابها واحدة تلو الأخرى. وكانت كلها لها صلة بماركوس ويكفورد.

في ليلة راودها كابوس كان الأسوأ. رأت نفسها عند حافة هوة عميقة، والتي كانت تتسع وتكبر باستمرار وكان على الجانب الآخر يقف ماركوس والهوة تدفعه بعيداً عنها كلما كبرت الحفرة الفاصلة بينهما. وشعرت بالأسى المطلق عندما رآته يختفي وراء الظلال وتيقنت كم كان الأمر مستحيلاً بالنسبة إليها أن تصل إليه ولا تستطيع لمسها.

لا بد أنها صرخت في أثناء نومها، لأنها عندما عادت إلى رشدها وجدت المصباح مضاءً قرب سريرها وقد انحنى والدتها فوقها.

سألتها بكثير من الود والاهتمام بعدما جلست إلى جانبها: «اليكس، ما الذي يسبب لك هذه الأحلام المزعجة؟ ليست هذه المرة الأولى التي تصرخين فيها وأنت نائمة. هل هناك أمر تشعرين أنه من الأفضل اطلاعي عليه؟»

سأهم الليل والكابوس في جعلها سهلة التأثر. قبيح مجرد أن تأكدت أن والدها ما زال يغطي في نوم عميق. أفضت اليكس بكل ما تعرفه لأُمها وقد وجدت في ذلك عزاءً مؤقتاً في مشاركتها معرفة ما كان يضعها في حلقة من العذاب اللاواعي. اصغت السيدة ليوارد بصمت لعدم تصديقها المبدئي بأن ماركوس ويكفورد واليكس قد التقيا سوية بتلك الطريقة الغريبة، وبدا وجهها هادئاً، عطوفاً ومهتماً حتى نهاية القصة. وخلصت اليكس إلى القول بكلمات متعثرة: «لا بد وأنني الأكثر حماقة في هذه الخليقة. لم يخف امتعاضه عندما اكتشف أنني شقيقة ايلين. لم يدعني لحظة واحدة أشعر بأنه يمكن أن ينسى بأنني واحدة من عائلة ليوارد التي يكرهها، ومع هذا اصررت ومضيت قدماً في ألا يكون هذا عائقاً بيننا».

قالت السيدة ليوارد بهيولة: «نحن لا نختار من نحب، إن وقعنا في غرام شخص ما وكان مناسباً، بغض النظر إن كان املاً لذلك، وإن بادلنا الحب ذاته فعندها تكون، معجزة المعجزات، ونكون حقاً أناساً محظوظين.»

ردت اليكس: «لكن أحدهم قد تسبب بمرض والدي».

قالت أمها بثبات: «ليس ماركوس ويكفورد الشخص الوحيد الذي يقع عليه عبء هذه المسؤولية، فايلين قد شاركت في اللعبة وخسرت. والدك قد أُنذر مراراً من قبل طبيبه، ومنذ عدة سنوات، أن لا يأخذ الأمور على محمل الجد، لكنه مضى يعمل فوق طاقته. مع أنه يمكن القول إن ردة فعل ماركوس عندما اكتشف خداع ايلين له قد اطلقت عقال تلك الأحداث البالية والمزمنة التي كانت تهدد العائلتين على

مر السنين. لقد آن الاوان بأن تلك النزاعات القديمة قد نسيت. فقد سببت ضرراً كافياً على مر السنين..»

قالت اليكس بتعاسة وهي تمسح وجهها الرطب بمنديل: «حاولي اخبار ماركوس بذلك فهي دائماً حية وجاهزة في تفكيره. لكن الآن وقد حملتك وزر هذا السر المخزي، ربما يمكنني أن اعود نفسي على نسيانه. لقد حصلت على مقابلة نهار الغد. وهذا أمر جيد في أن اتطلع إليه.»

قالت أمها مقتنعة: «أمر واحد من عدة أمور، يا حبيبتي..» حصلت اليكس على الوظيفة. بديلة مؤقتة مكان شخص ما يتعافى من جراح اصابه أثناء ممارسة رياضته، لكنه كان شيئاً تقوم به، شيئاً يستحوذ على أفكارها حتى تجد وظيفة دائمة لها.

تبادلت بضعة رسائل مع بيكي، وهي تخبر نفسها بأن تلك المراسلة سوف تموت طبيعياً من جانب الفتاة بعد وقت قصير. وكانت رسالة بيكي المليئة بالاطخاء الاملائية تدور في مجملها حول أخبار ميسترال والمباريات القادمة والذين هم اول من يشارك بها. كان هناك إشارة واحدة عن ماركوس الذي وصفته بيكي في لغتها بأنه «مشتغل جداً». كان هناك العديد من الناس يرغبون في صداقتها في عملها الجديد في المستشفى وقد قبلت اليكس معظم الدعوات الاجتماعية التي تلقتها.

في ليلة، بينما كانت في المنزل، تفاجأت عندما ردت على الهاتف وسمعت صوت بيكي على الخط الآخر.

قالت اليكس: «بيكي! كم هو جميل أن اسمع صوتك!» كان لدى الطفلة مطلب، وقالت مباشرة: «يا اليكس، إن

عرض الالعاب والمباريات يبدأ يوم السبت ولدى عمي ماركوس اجتماع عمل سخيف. اريد شخصاً يعرف ميسترال جيداً ليراقبنا. هل يمكنك الحضور؟ أرجوك!»

سمعت اليكس النداء الملح، وتصورت كم ستكون خيبة أمل بيكي لأن عمها لا يستطيع رؤيتها وهي تركب الجواد. سألتها بحذر: «هل عمك موجود معك الآن؟»

قالت: «لا، إنه هناك يعتني بالحياد. اريد شخصاً يهتم بي هناك. أرجوك يا اليكس..»

قالت اليكس: «اعتقد أن أنا ستشجعك، اليس كذلك؟» قالت: «أجل... لكنها لا تعرف ميسترال حقاً. ليس مثلك أنت. إنه عرضنا الأول يا اليكس.»

قالت اليكس بلطف: «اعتقد أنه ليس عليك القيام بذلك، مع

لنني افهم خيبة امك.»

قالت الطفلة: «في استطاعة أي كان الحضور. تدفعين ثمن التذكرة عند البوابة. صدقاً أنها لا تكلف الكثير، وهي ليست بعيدة عنك كثيراً. أليس كذلك؟ لقد رأيت ذلك في الخارطة.» ألح الصوت المرتعش قائلاً: «أرجوك... لقد حصلت على موعد دخولي ثانية إلى المستشفى.»

قالت اليكس: «ربما فقط هذه المرة، بما أنها المرة الأولى بالنسبة إليك...»

قالت الطفلة: «آه، شكرًا لك يا اليكس. ستقام المباراة في حقل إلى جانب الطريق وستكون هناك يا فطة كبيرة.»

ودخلت معها في تفاصيل مثيرة حيث مكان اقامة العرض بالتحديد، مشددة على الوقت وجداول مواعيد الاحداث الرياضية وأقفلت الخط بعد ما امطرتها بوابل من الشكر.

لامت اليكس نفسها على تصرفها غير العاقل. لكنها قامت به الآن، ولن تتراجع في كلمتها.

كان يوم السبت مشمساً. ارتدت اليكس ثوباً قطنياً وانتعلت حذاءً ملائماً لأرض الملعب، وقد عقصت خلف شعرها المتوهج شالاً ذهبياً مخططاً باللونين الأسود والنحاسي. كانت الأرض حيث تُقام المباريات تعج بالمتبارين وهم يتحضرون لتقديم عروضهم عندما وصلت ووقفت سيارتها الصغيرة في الموقف. جالت بين حشود الأهالي، والأحصنة الصغيرة تبحث عن ميسترال.

رأتها أخيراً عند نهاية الحقل. كانت بيكي في ستره الركوب. وسروال الركوب المعد خصيصاً لها قد غطى «رجليها الآخرين» كما كانت تدعو المسماكين. كانت تضع اللمسات الأخيرة على ناصية ميسترال المثالية فيما كانت تراقبها سيدة وكأنها أمها والمفترض أن تكون أنا، وقد ظهر على وجهها مسحة صغيرة من القلق انتابتها حين فكرت ببيكي في حال سقطت عن الجواد.

نابتها بفرح: «مرحى، أيها الفارس!» استدارت بيكي ورمت نفسها بين ذراعي اليكس. وقالت لها بحرارة: «شكراً لك على قدومك.» ثم قالت بلهجة منخفضة على عجل: «لن تصابي بسوء أليس كذلك؟»

تسألت اليكس للحظة ما الذي قصدته من وراء هذه التحية الغريبة، لكن عندئذٍ ومن فوق كتف بيكي حصلت على التفسير. هيئة رجل طويل القامة مألوف لديها كان يتقدم عند زاوية غربة الحصان، رجل له شعر أسود لامع، وعينان رمائيتان تنظران إليها وقد بدت عليهما عبارات الصدمة

الكلية. وشعرت اليكس وكأن الدم قد تجمد في عروقها. كانت بيكي ممسكة بيدها قالت وقد ساد صوته قليل من الارتعاش: «نسيت أن أخبرك يا عمي ماركوس، اني قد طلبت من اليكس أن تأتي وتراني اليوم.»

قال ماركوس بطريقة تنذر بالشر: «غريب أن تنسي.» لكنه مدّ يده تجاه اليكس وقد ضبط اعصابه قائلاً: «طاب يومك يا اليكس. هذه مفاجأة.»

ماذا حدث للاجتماع الذي كان من المفترض أن يكون حائلاً عن عدم حضوره إلى هنا اليوم؟ نظرت في عيني بيكي ورأت فيهما بريق الشعور بالذنب، اللعنة، لقد غرر بها على يد فتاة في السابعة من العمر.

كان ماركوس يسألها بطريقة ناعمة ليسهل عملية التعارف: «لم تلتقي بنا من قبل، أليس كذلك؟»

قالت أنا الوحيدة بينهم التي كانت حقاً على سجيتهما: «لقد سمعت الكثير عنك، فبيكي لم تتوقف في الحديث عنك منذ رحيلك. كان جميلاً منك أن تأتي وتلبي الحالة الطارئة.»

قالت اليكس: «كيف حال اختك الآن؟ لا بد أنها قد مرت في وقت عصيب جداً.»

«إنها تتحسن باستمرار. سأزورها في الغد لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام.»

نوى صوت عبر مكبر الصوت يدعو المشتركين في العبارة الأولى إلى التوجه إلى نقطة الانطلاق. واتسحت بيكي شاكرة وقد تبعتها أنا التي قالت إنها تريد التحدث مع والدتها أيما صديقة بيكي. وخفق قلب اليكس استحساناً كقرع الطبول لفكرة أن تبقى بمنزلة ماركوس.

قال ماركوس فجأة: «ما كان عليك الحضور. ما قصدك من وراء ذلك؟»

أجاب اليكس بفضفاضة متساوية: «هل تعتقد أنني كنت قمت بذلك لو عرفت أنك ستأتي إلي هنا؟»

قال: «ليست بحاجة لكثير من التخيلات لتعرفني أنني بالطبع ساكون موجوداً لمشاهدة ابنة أخي تركب الجواد الجديد في أول مباراة لها.»

قالت: «لقد أوحى إلي بأن لديك اجتماع عمل مهم اليوم.»

قال: «كذلك أنا. لقد فعلتها ثانية تلك الطفلة اللعينة، اليس كذلك؟ الكثير من التخطيط والكثير من الفضول العايب. لكن، لم يكن عليك أن تكوني حمقاء بهذا القدر لتقعي في هذا الشرك.»

قالت: «هل تعتقد أنني لا أقول ذلك لنفسني؟ لكن عندما قالت لي إن لديها موعداً لدخول المستشفى...»

فجأة بذلك أيضاً وقالت: «هل هذا صحيح؟»

قال باختصار: «على الأقل هذا أمر صحيح.»

«أنا هنا الآن. سأراقب بيكي في ركوبها، ويمكنك أن ترتاح وانت متأكد بأنني سأرحل بعد ذلك. فليس لدي رغبة لأطيل عمر تجربة بدت واضحة أنها غير مستحبة لكلانا.»

ساد الصمت ثانية فيما كانا يحقدان في الأطفال الذين يركزون بقوة على حث الجياد الصغيرة التي تجري على حلبة السباق.

قالت وقد ألخت عليها الحاجة أن تبرر نفسها: «كل ما أردته أن لا تشعر بيكي بخيبة الأمل في ألا يكون هناك أحد يعرف

ميسترال جيداً ويشاهدها وهي تمتطي صهوة الجواد.»

قال: «وهل تعتبرين نفسك بأنك تعرفين ميسترال جيداً؟»

هل هذا صحيح؟» وبدت السخرية واضحة في صوته. وقبل أن تجد جواباً لترد عليه مضى قائلاً: «دعينا نركز على السباق. نحن نحول انتباهنا إلى أمور غير مستحبة.»

أنقذت أنا الموقف بعودتها والانضمام إليهما. وبدأ سباق بيكي. راقبوها بانتباه، وقد تناسوا الأمور الشخصية وهتفوا بقوة عندما حلت بيكي في المرتبة الثانية، وبأمان.

قالت اليكس وقد رمقت ماركوس بنظرة هجومية: «أمر يستحق القدوم من أجل مشاهدته، لكنني أخشى بأنني يجب أن اذهب الآن. فلدي أعمال أخرى لانجزها اليوم.»

قال: «لا يمكنك المغادرة الآن فما زال هناك سباق فاصل يحدد ترتيب الراحين. في إمكان بيكي أن تبذل جهداً إضافياً وتحل المرتبة الأولى. فلا جدوى من حضورك اليوم إلى هنا إذا لم تتابعي المباراة حتى نهايتها.»

أضافت أنا بانقطاع حار وصادق: «آه، أجل. ابق معنا وشاهدي تقديم الجوائز أيضاً.»

بقيت اليكس لترى بيكي وقد حافظت على مرتبتها الثانية بشكل نهائي، شعرت أن قلبها يكاد ينفجر زهواً، عندما رأت الطفلة الصغيرة تمضي قدماً لاستلام جائزتها.

أخبرت بيكي عندما عانقتها: «لقد كنت رائعة.»

قالت: «لا، بل هو ميسترال.» وربت على عنق الفرس وأضاف: «أأنت سعيدة يا اليكس لرؤيتها ثانية.»

قالت: «سلى، لكن علي أن اذهب الآن.»

نسيت بيكي السباق وارتعبت عندما رأت مخططاتها تتهاوى، وقالت: «ولكن هناك شاي في الخيمة الكبيرة» ثم

صاحت: «عمي ماركوس اجعل اليكس تبقى معنا لتناول

جانباً عن الباب مما جعلها تجلس في مقعدها وهي تسعى
يائسة للهروب منه.

دار المحرك مرة، ثم رفض أن يظهر أي إشارة تدل على
أنه يعمل على الرغم من محاولات اليكس العصبية في إدارة
المفتاح. لعنته في سرها وحاولت ثانية. قال ماركوس: «لا
جدوى من وراء ذلك. ستفرغين مخزون البطارية فقط.»
قالت: «على الأقل قد اتفقنا حول امر ما.» خرجت ثانية
من السيارة واقلعتها ثم مشت لتقف عند حافة الطريق.

سألها: «إلى أين تعتقدين أنك ذاهبة؟»

قالت: «لأجد مرباً لتصليح السيارة.»

قال: «ليس هناك مرباً على بعد اميال من هنا. ولن
تحضري احداً لا يعرفك ليأتي معك عشية يوم السبت.»

«إذاً علي أن امشي، اليس كذلك؟»

أمسك ذراعها وقال: «توقفي عن التصرف كحمقاء.

سأذهب واخبر أنا بما حدث، ثم اجلب السيارة واصطحبك
إلى شاب اعرفه والذي على الأرجح سيأتي معك لأجلي.»

قالت: «كم هو رائع أن تكون لديك كل هذه السلطة!»

قال بحدة: «توقفي عن ذلك يا اليكس، فكلانا لا يريد ما
حدث دعينا نقوم بما هو أفضل.»

مشى بخطوات واسعة نحو بوابة الملعب وبمجرد أن غاب
عن الانظار، تهاوى غضبها.

بعد مضي عشر دقائق كئيبة، وقفت الرينج روفر إلى
جانبها. قالت بائسة: «لا يمكنك أن تغادر المكان وتترك
شخصين وجواداً حتى تقلني معك.»

قال: «هيا اصعدي. بالطبع لن اتخلي عن أنا وبيكي. لقد

الشيء!» نظرة ماركوس الحازمة ابدت عدم رغبته في تلبية
طلبها. قال: «لدى اليكس مشاريع أخرى اليوم. قللي لها
وداعاً الآن. وبعد ذلك تذهبين إلى الخيمة الكبيرة برفقة أنا
فيما اوصل ضيفتك إلى سيارتها.»

عرفت بيكي أنها وصلت إلى حدود التصرف المسموح.
عانقت اليكس وهمست لها قائلة: «أنا آسفة يا اليكس.»
عرفت اليكس أن هاتين الكلمتين عنت بهما الإشارة إلى
الدعوة، وليس إلى خيبة أمل الطفلة لأنها ستتركها.

أجابتها اليكس هامسة: «لا تقلقي. لكن ابقِي على
مشاريعك المستقبلية لميسترال، اتفقنا؟»

مشى ماركوس إلى جانبها في صمت فيما اتجها نحو
موقف السيارات. قالت اليكس بغضب: «هذا أمر سخيف! هل
عليك أن تبدو وكأنك تدفعني إلى خارج المبنى؟»
قال: «لا تكوني سخيصة. فسيبدو الأمر فظاً إذا لم اوصلك
بأمان إلى سيارتك.»

«ألم تحدث معك بأني قد افضل ذلك النوع من الفظاظة
على هذا العرض من الاخلاق الحسنة الذي لا معنى له؟»

«لم يحدث واقلقت فكري بما تفكرين فيه الآن.»
وعندما وصلا إلى السيارة. وضع يده على باب السائق
ليمنعها من الدخول إليها. وقال: «اتمنى أن تكوني قد
تيقنت مدى التهور ان حاولت تكرار ما حدث اليوم.»

قالت اليكس بعصبية: «لا تقلق. لن تكون هناك محاولة
أخرى، فلن تجرني الجياد البرية في هذا الاتجاه ثانية.»
قال: «لا تنقي ابدأ بالجياد البرية. فاثنان من هذه
المخلوقات قد اوصلانا إلى هذا الوضع المؤسف.» تنحى

بها إلى التطاير خارج زجاج النافذة الأمامية لو لم تكن تضع حزام الأمان.

قال لها: «اعيدي ذلك ثانية». واستدار في مقعده، ثم أمسك ذراعها وقال: «تقولين اني تخليت عن أختك..»

قالت: «هل تنكر ذلك؟»

«هل تعتقدين حقاً أن هذا ما حصل؟»

«كلانا نعتقد ذلك، أليس كذلك؟»

«هل أخبرتك ايلين بذلك؟»

«كانت مضطربة جداً حتى تقول أي شيء. رفضت التحدث عنك كلياً، في الواقع. لكنها لم تكن في حاجة لذلك. كانت ترتعد خوفاً لأنها أخفت عنك حقيقة هويتها. كان من الواضح أنها فقدت كل اهتمام منك في اللحظة التي اعترفت لك فيها بأنها من عائلة ليوارد.»

قال: «هل هذا هو ما تعتقدينه؟»

قالت بحرارة: «هذا ما اعرفه، وامامنا المحيط يفصل بيننا لتبرهن لك ايلين صدق ذلك.»

قال: «إذاً عندما قلت ان السبب الذي فصل بيني وبين ايلين ما زال قائماً ليفصل بيني وبينك، كنت حينها تشيرين إلى حقيقة الأمر الذي تعتقدينه بأني تخليت عن ايلين لأنها من عائلة ليوارد؟»

قالت: «كم مرة علي ان اقول لك ان كلينا نعرف ذلك؟ لا يمكنك إعادة التاريخ يا ماركوس.»

قال: «ربما لا أستطيع ذلك بقدر ما يعينيك الأمر. لكن أختك اللعينة يمكنها ذلك!»

بنفس السرعة التي اوقف بها الرينج روفر. أدار المحرك

تدبرت الأمر مع والد آيما لكي يأخذ ميسترال معه في مقطورتته. فهم يعيشون بالقرب من هنا. لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق حتى يوصل متاعه إلى منزله ثم يعود ثانية لي. سوف أرد له الجميل يوماً، لا شك بذلك.»

جلست اليكس صامتة فيما كان ماركوس يقود، لكنها قالت يائسة أخيراً: «اني أسفة بشأن ذلك يا ماركوس. كانت غلطة كبيرة مع أنني قمت بها مدفوعة بنوايا حسنة.»

قال بقساوة: «دوافعك تلك هي التي لا يمكنني فهمها، لماذا التظاهر بأنك تهتمين بأمر بيكي؟ لماذا لا تكوني صادقة في مشاعرك؟»

قالت محتجة: «لكنني فعلاً اهتم بأمر بيكي! كيف يمكن لأحد أن يعرفها ولا يهتم بها؟ لماذا تتهمني بذلك؟»

قال: «كل هذا هراء، يا اليكس. نسيت بأنك لم تخفي سراً حول شعورك تجاه بيكي في ليلتك الأخيرة في شاستس. ومع هذا فما زلت تحتفظين بهذا الرياء نحو بيكي نفسها. أية نية حسنة تخفينها وراء هذا العرض السطحي؟»

قالت: «ما الذي تعنيه، أنا لا أخفي اسراراً عن حقيقة مشاعري تجاه بيكي؟ ولماذا تتكلم عن التظاهر؟»

قال: «أنت قلت ان السبب وراء الانفصال بيني وبين ايلين ما زال قائماً. لا شيء أكثر وضوحاً من ذلك.»

«هذا صحيح. ولكن ما علاقة هذا الأمر مع بيكي؟ إنها ليست غلطتها ان تخليت أنت عن واحدة من آل ليوارد وكأنها محراك نار عندما عرفت من تكون، ومن الصعب عليك ان تنكر بأنك شعرت نحوي تماماً نفس الشعور.»

داس برجله على الفرامل بطريقة مفاجئة، كادت تؤدي

وانطلق ليعود في طريق مختلفة وقد زعت دوليب السيارة لشدة سرعته. سألته بخوف: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

قال: «عائدان إلى شاستس»
قالت والرعب يملأ صوتها: «لا يمكنك فعل ذلك!»
«لماذا يا اليكس؟ لأنه مؤلم بالنسبة اليك؟ أو لأنك تودين أن تكوني هناك ولكن لا تحبين أن تتذكرى ذلك؟»
قالت اليكس بحدة: «ماذا أصابك لتصبح حسن الطباع الآن؟ توقف ودعني أخرج يا ماركوس فأنا لا أريد أن أعرف ان كنت أصبحت مجنوناً.»

«سأخبرك ماذا سنفعل. سنجري اتصالاً هاتفياً مع اختك.»
داس على الفرامل مرة ثانية وسألها: «هل تعرفين رقم هاتفها؟ هل تحملينه معك الآن؟ لا نقولي لي انه ليس معك.»
قالت اليكس: «أنت مجنون»
قال: «أنا أكثر عقلانية الآن منذ وقعت عيناى عليك.»
قالت: «لا يمكن ان تكون جاداً في الاتصال بأختي وتكون عاقلاً في نفس الوقت.»

«سنرى. هل معك رقم الهاتف؟ اجيبي يا اليكس.»
«أجل، ولكن...»
قال: «ليس هناك من لكن.» وانطلق ثانية على الطريق وقد تمسكت اليكس جيداً بحافة مقعدها.

كان مفتاح المنزل في يده في اللحظة التي خرج فيها من السيارة وجرّ خلفه اليكس ليدفعها إلى الجلوس على الكرسي في الصالة. وضغط على الزر الخاص في الهاتف الذي يتيح لهما سماع صوت المحدث على الطرف الآخر. أمرها قائلاً: «اعطني رقمها.»

قالت: «نحن لا نعرف كم هي الساعة الآن هناك.»
قال: «محاولات تأجيل فاشلة يا اليكس. انه صباح السبت وليس هناك سبب على الأرض يمنع اختك من تلقي اتصال هاتفى منك. هيا.»

طلبت اليكس رقم اختها وهي تشعر بالخجل وقالت: «لن نتكلم معك...» وعندما توقف رنين جرس الهاتف سمعت صوت ايلين. قالت لها: «يا ايلين، معك اليكس.» وابتلعت ريقها دون أن تعرف ماذا ستقول بعد ذلك. تدخل ماركوس وقال: «معك ماركوس. كيف حالك يا ايلين؟»

تلعثم صوت ايلين وقالت: «ماركوس؟ ماركوس ويكفورد؟ ما الذي يجري؟»

قال: «الكثير. اريد منك ان تغعلي شيئاً لأجلي. اريدك ان تخبري أختك عما حدث بيننا تماماً منذ سنتين. فقط قبل ذلك إلى الولايات المتحدة ان اردت انعاش ذاكرتك.»
قالت: «يا ماركوس، لا أفهم لماذا كل هذا. ولماذا أنت واليكس سوية؟»

قال: «ستفهمين ذلك. حقاً. لكن الآن لست في حاجة إلى ذلك. اريدك أن تخبري اليكس تماماً لماذا افرقنا انت وأنا. حقيقة الصداقة يا ايلين؟»

قالت ايلين: «إنها قصة قديمة الآن، اليس كذلك؟»

قال: «لا. الأمر في غاية الأهمية. صدقيني.»

قالت ايلين: «يا اليكس؟»

ردت عليها اليكس: «اني هنا.»

قال ماركوس بثبات: «ولدي أمور ملحة علي مناقشتها معها. لذا، أرجوكم يا ايلين قولتي الحقيقة المجردة وسأقول

لك من أين تبدأين. عندما أخبرتني بأنك واحدة من عائلة ليوارد. اكلمي من عندها.»

جاء صوت ايلين المشوش قائلاً: «لا اعرف لماذا علي قول ذلك ولكن هذا ما جرى. لقد ضحكت. لقد ضحكت فعلاً.» واتسعت عينا اليكس وهي تحديق في ماركوس. وأضافت أختها: «وقبل أن نقول شيئاً آخر. رن جرس الهاتف فقد كانت الشرطة على الخط الآخر يخبرونك عن الحادث المروع الذي اصاب أخاك وزوجته... كان عليك الذهاب في الحال. وانتظرت انا في شقتك. ولكن قبل أن تذهب قلت انك لا يهمك كثيراً أمر اسمي، لكن إن اردت البقاء معك بعد الآن، علي أن اتذكر من الآن وصاعداً بأنك لن تكون لي وحدك، بل أنت وابنة اخيك. وكان علي من تختار أن تكون شريكة لك أن تعد نفسها لتأخذ علي عاتقها ايضاً ملقبة محالقة يبلغ عمرها خمسة اعوام. وجلست وحيدة في شقتك واعترف بذلك صراحة بأنني لم ارجب ان افعل ذلك. وجعلني ذلك، ادرك اني عدت إلى الأعيبي ثانية. لقد ارتكبت حماقة، في زواجي الأول. واستمتعت في أن اكون عابثة معك. كان علي أن انضج. ولم اشعر بالخجل من نفسي في حياتي قط. لقد أخبرتك ذلك في الملاحظة التي تركتها لك.»

قال ماركوس بهدوء: «احسنت فعلاً يا ايلين. سنتركك الآن لأنني يجب أن اتحدث مع اختك، لكن سنبقى على اتصال بك. واسمعي يا ايلين. لاضغينة من أي نوع. فنحن اكبر من ذلك. وقد تخطيناها.» ضغط على الزر الذي يقطع المكالمة. وامسك يدي اليكس بيديه وجذبها لتقف على قدميها. حدقت اليكس فيه وقالت: «ايلين تخلت عنك؟»

قال: «تماماً كما أخبرتك.»

قالت: «وأنت لا تكرهني لأنني من عائلة ليوارد؟» نظر إليها بطريقة لم تعتقد قط انه سينظر إليها بها وقال: «هل يبدو علي حقاً بأنني اكرهك؟» كان هناك رقعة ودفع وكل شيء تمتنت رؤيته في تينك العينين الرماديتين البراقتين وتلك الرقعة المتفهمة في تعبيره.

قال: «لدي سؤال واحد فقط يا اليكس. عندما تحدثت عن السبب الذي يبقينا منفصلين هل كنت تعنين بيكي بذلك؟ فكري ملياً قبل ان تجيبي.»

قالت دون تردد: «بيكي بالنسبة إلي هي علاوة مكافأة. علاوة على شيء مثالي اصلاً.»

جذبها نحوه، وقال: «آه، يا اليكس! كفاني اسئلة كفاني انتظار كل ما اريد هو أنت.»

كان عناق قريباً وكلمة مساعر الحب التي رأتها على وجهه. قالت وهي تتسائل وتضحك في آن معاً: «أنت لا تكرهني إذا؟» قال وقد ضغط وجهه على شعرها: «وهل أبداً كذلك.» «يلزمني الوقت حتى اعتاد على هذا النمط من الحياة.» قال: «لا تقلقي. سأعطيك الكثير من الوقت.»

قالت: «اعني طريقتك في النظر إلي...»

قال: «آه، يا اليكس. الا تعرفين أنني كنت مغرماً بك وكنت أخفي عنك ذلك. منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها بطلتك المشرقة إلى المكتب في ماس. لكن في البداية بدا الأمر صعباً تصديقه على الفور. لكن بعدما عرفت حقيقة من أنت، بدا لي الأمر مستحيلاً. والآن...»

«والآن انها حقيقة... يجب علينا أن نخبر اهلي.»

قال: «سيلقون نظرة واحدة على وجهك ويصدقون كل كلمة تقولينها.»

قالت: «وماذا عن ايلين.»

قال: «ايلين سعيدة في زواجها. واكون أكثر سعادة لو تزوجت أنا. وما المشكلة في ذلك؟»

«هل عنيت حقاً عندما قلت انه لا ضغينة بعد الآن؟»

قال: «يا حبيبتي. ان ايلين مرحة وجذابة، ولكنها لم تكن تساوي جزءاً من مليون مما اصبحت الآن أنت في حياتي. المرارة التي شعرت بها نحوها كانت ببساطة لأن اختك عمدت إلى تفريقنا وبدلت رأيك لتفسد حياتنا. لكن الآن انتهى كل شيء. انها شقيقة الفتاة التي تحبني!»

أحكمت اليكس ذراعيها حول عنقه وقالت: «لو أنك اخبرتني ان هذه ليست هي الجنة فاني لن اصدقك.»

كان هناك محرك عربية تقف قرب البيت. خرجا نحو الباب وقد تشابكت يداهما.

نزلت من السيارة فتاة صغيرة ووقفت عند الممر، وقد ظهر اليأس على وجهها.

سألها ماركوس: «هل يمكننا أن نفسح مجاًلاً لهذا الملاك الصغير أن يدخل إلى جنتنا؟»

خرجا سوية ليضيئاً عالم بيكي.

تمت